



لِلْمَوْلَى النَّبِيِّ
مُسْتَلِمِ بْنِ عَقِيلٍ

وقائع السفارة

الجزء الأول

ثائر أم سفير - قصة التطير

تأليف

السيد علي السيستاني رحمه الله تعالى

المطبوعة الكاملة



المولى الغريب مسلم بن عقيل عليه السلام

المجموعة الكاملة

رحمہ اللہ السيّد علي جمال أشرف الحسيني

أشرف الحسيني ، سيد علي

العنوان : المولى الغريب مسلم بن عقيل عليه السلام ، وقائع السفارة - المجموعة الكاملة ج ١

السيد علي السيد جمال أشرف الحسيني

مشهد : إعتقاد ما ، قم : مكتبة الإمام الحسين عليه السلام التخصصية

٣٣٦ ص . الطبعة الأولى ١٤٣٦ ق = ١٣٩٤ ش = ٢٠١٥ م ٨ أجزاء . المجلد الأولي .

طبعت المجموعة كأجزاء متفرقة من سنة ١٤٣٠ إلى سنة ١٤٣٥ هـ ق .

ISBN : ٩٧٨ - ٦٠٠ - ٧٧١٢ - ٣٩ - ٠ ISBN : ٩٧٨ - ٦٠٠ - ٧٧١٢ - ٣٩ - ٠ دورة : ISBN :

ج ١ . مسلم بن عقيل عليه السلام ثائر أم سفير - قصة التطير . ج ٢ . وقائع دخول الكوفة .

ج ٣ . قصة معقل - قصة محاولة اغتيال ابن زياد . ج ٤ . معركة القصر .

ج ٥ . بين المسجد الأعظم ودار طوعة - الحرب الأخيرة . ج ٦ . وقائع الشهادة .

ج ٧ . ناصرة سفير الحسين عليه السلام - الخاتمة (مختصر في وقائع السفارة) .

ج ٨ . أولاد المولى الغريب مسلم بن عقيل عليه السلام

الفهرسة طبق نظام فيفا . المصادر بالهامش .

١ . مسلم بن عقيل عليه السلام ، ٦٠ هـ ق ٢ . واقعة كربلاء ٦١ هـ ق

٣ . الحسين بن علي عليه السلام ، الإمام الثالث ، ٤ - ٦١ هـ ق - الأصحاب

الإيداع في المكتبة الوطنية :

٣٨٨١٧٤٤ • ٢٩٧ / ٩٥٣٧ • Bp ٤٢ / ٤ / م ٥١ ، ١٣٩٤ ح ٥١

الطبعة : الأولى ، ذوالحجة ١٤٣٦ هـ ق

المطبعة : ذاكر

الكمية : ٥٠٠ نسخة

مركز التوزيع :

قم : شارع چهارمردان ، فرع ٦ رقم ١٥٣ +٩٨ ٩٣٦٩٨٩٤٤٧٢

مشهد : تقاطع شهداء ، شارع بهجت ، نشر إعتقاد ما (رستگار) +٩٨ ٩٣٥٢٢٢٤٦٢٩

تهران : سوق السلطاني ، رقم ٩٩ ، دار الكتب الإسلامية +٩٨ ٢١٥٥٦٢٧٤٤٩

البريد الإلكتروني للمؤلف : saliaashraf@hotmail.com



مكتبة الإمام الحسين عليه السلام التخصصية
للنشر والتوزيع

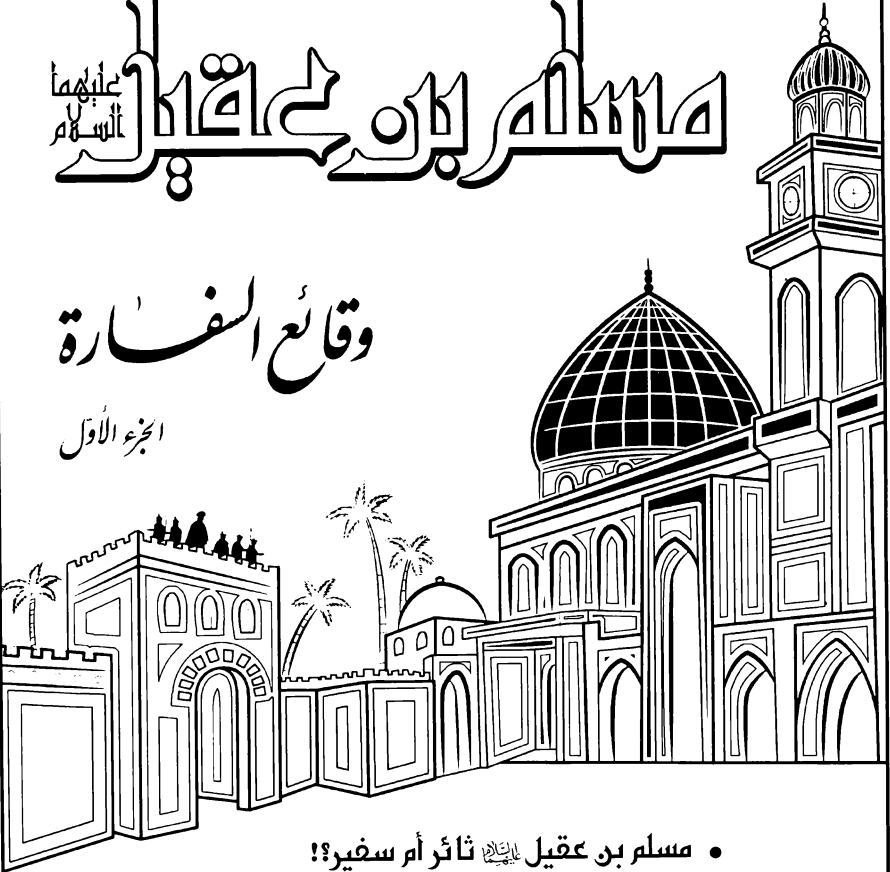
ketabashura@hotmail.com



مسلم بن عقیل عليه السلام

وقائع السفارة

الجزء الأول



- مسلم بن عقیل عليه السلام ثائر أم سفیر؟! •
- قصّة التطيّر •

السید علی السید جمال اشرف الحسینی

• الفهرس الإجمالي

الديباجة	٥
المقدمة	١٩
المدخل	٤٧

• مسلم بن عقيل عليه السلام ثائر أم سفير؟! •

المقدمة	٧١
أسباب ضرورة معرفة مهمة مسلم عليه السلام	٧٣
المهمة في المصادر	٨١
مضامين النصوص	٩٣
أدلة القائلين بـ«الثورة»	١٧١
مهمة مسلم عليه السلام	٢٣٧
ملاحظات مهمة	٢٤٥

• قصّة التطيّر •

المقدمة	٢٥٥
نصّ القصّة	٢٥٩
مناقشة القصّة	٢٦٥
لوازم القصّة	٣١٥
النتيجة	٣١٧

الديباجة

الحمد لله الذي لا إله إلا هو الملك الحق المبين، المدبّر بلا وزير، ولا خلق من عباده يستشير، الأول غير موصوف، والباقي بعد فناء الخلق، العظيم الربوبية، نور السماوات والأرضين وفاطرهما ومبتدعهما، بغير عمدٍ خلقهما، فاستقرت الأرضون بأوتادها فوق الماء، ثم علا ربّنا في السماوات العلى، الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى، لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَى، فأنا أشهد بأنك أنت الله، لا رافع لما وضعت، ولا واضع لما رفعت، ولا معزّل لمن أذلت، ولا مذلّ لمن أعزّزت، ولا مانع لما أعطيت، ولا معطي لما منعت^(١).

اللَّهُمَّ واجْعَلْ شَرَائِفَ صَلَوَاتِكَ، وَنَوَامِي بَرَكَاتِكَ، عَلَى مُحَمَّدٍ عَبْدِكَ

وَرَسُولِكَ، الْخَاتِمَ لِمَا سَبَقَ، وَالْفَاتِحَ لِمَا انْغَلَقَ، وَالْمُعْلِنَ الْحَقَّ بِالْحَقِّ،
وَالدَّافِعَ جَيْشَاتِ الْأَبْاطِيلِ، وَالْدَّامِعَ صَوْلَاتِ الْأَضَالِيلِ، كَمَا حُمِّلَ،
فَاضْطَلَعَ قَائِمًا بِأَمْرِكَ، مُسْتَوْفِزًا فِي مَرْضَاتِكَ، غَيْرَ نَاكِلٍ عَنْ قُدَمٍ، وَلَا وَاهٍ
فِي عَزَمٍ، وَاعِيًا لَوْحِيكَ، حَافِظًا لِعَهْدِكَ، مَاضِيًا عَلَى نَفَازِ أَمْرِكَ، حَتَّى
أُورَى قَبَسَ الْقَابِسِ، وَأَضَاءَ الطَّرِيقَ لِلْخَابِطِ، وَهُدَيْتَ بِهِ الْقُلُوبَ بَعْدَ
خَوْضَاتِ الْفِتَنِ وَالْآثَامِ، وَأَقَامَ بِمُوضِحَاتِ الْأَعْلَامِ وَنَيِّرَاتِ الْأَحْكَامِ، فَهُوَ
أَمِينُكَ الْمُتَأَمُّونَ، وَخَازِنُ عِلْمِكَ الْمُخْزُونِ، وَشَهِيدُكَ يَوْمَ الدِّينِ، وَبَيْعُكَ
بِالْحَقِّ، وَرَسُولُكَ إِلَى الْخَلْقِ ^(١).

اللهم وضاعف صلواتك ورحمتك وبركاتك على عترة نبيك، العترة
الضائعة الخائفة المستدلة، بقية الشجرة الطيبة الزاكية المباركة، وأعل
- اللهم - كلمتهم، وأفلج حجتهم، واكشف البلاء والأواء، وحنادس
الأباطيل والعمى عنهم، وثبت قلوب شيعتهم وحزبك على طاعتهم
وولائتهم ونصرتهم وموالائهم، وأعنيهم، وامنحهم الصبر على الأذى فيك،
واجعل لهم أياماً مشهودة، وأوقاتاً محمودة مسعودة، توشك فيها فرجهم،
وتوجب فيها تمكينهم ونصرهم، كما ضمنت لأولياك في كتابك المنزل،
فإنك قلت - وقولك الحق - : ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا
الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ

وَلَيَمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا
يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا ﴿١﴾.

والعن اللهم أول ظالم ظلم حق محمد وآل محمد، وآخر تابع له على ذلك، اللهم وأهلك من جعل يوم قتل ابن نبيك وخيرتك عيداً، واستهّل به فرحاً ومرحاً، وخُذ آخرهم كما أخذت أولهم، وأضعف اللهم العذاب والتنكيل على ظالمي أهل بيت نبيك، وأهلك أشياعهم وقادتهم، وأبرحهم وجماعتهم (٢).

وصل اللهم على حبيبي ومالك رقي وسيدي وإمامي، الشهيد السعيد، والسبط الثاني، والإمام الثالث، والمبارك، والتابع لمرضاة الله، المتحقق بصفات الله، والدليل على ذات الله، أفضل ثقات الله، المشغول ليلاً ونهاراً بطاعة الله، الناصر لأولياء الله، المنتقم من أعداء الله، الإمام المظلوم، الأسير المحروم، الشهيد المرحوم، القاتل المرحوم، الإمام الشهيد، الولي الرشيد، الوصي السديد، الطريد الفريد، البطل الشديد، الطيب الوفي، الإمام الرضي، ذو النسب العلي، المنفق الملي، أبو عبد الله الحسين بن علي عليه السلام.

منبع الأئمة، شافع الأمة، سيد شباب أهل الجنة، وعبرة كل مؤمن

(١) مصباح التهجّد: ٧٨٥.

(٢) مصباح التهجّد: ٧٨٥.

ومؤمنة، صاحب المحنة الكبرى، والواقعة العظمى، وعبرة المؤمنين في دار البلوى، ومن كان بالإمامة أحق وأولى، المقتول بكرىلاء، ثاني السيد الحصور يحيى ابن النبي الشهيد زكريا عليه السلام، الحسين بن علي المرتضى.

زين المجتهدين، وسراج المتوكلين، مفخر أئمة المهتدين، وبضعة كبد سيد المرسلين صلى الله عليه وآله، نور العترة الفاطمية، وسراج الأنساب العلوية، وشرف غرس الأحساب الرضوية، المقتول بأيدي شر البرية، سبط الأنساب، وطالب الثأر يوم الصراط، أكرم العتر، وأجل الأسر، وأثمر الشجر، وأزهر البدر، معظّم مكرّم موقر، منظّف مطهر..

أكبر الخلائق في زمانه في النفس، وأعزهم في الجنس، أذكاهم في العرف، وأوفاهم في العرف، أطيب العرق، وأجمل الخلق، وأحسن الخلق، قطعة النور، ولقلب النبي صلى الله عليه وآله سرور، المنزّه عن الإفك والزور، وعلى تحمّل المحن والأذى صبور، مع القلب المشروح حسور، مجتبي الملك الغالب، الحسين بن علي بن أبي طالب ^(١).

الذي حمّله ميكائيل، وناغاه في المهدي جبرائيل، الإمام القتيل، الذي اسمه مكتوب على سرادق عرش الجليل: «الحسين مصباح الهدى وسفينة

(١) مناقب آل أبي طالب لابن شهر آشوب: ١٠ / ١١٣ - بتحقيق: السيد علي أشرف

النجاة»، الشافع في يوم الجزاء، سيّدنا ومولانا سيّد الشهداء عليه السلام (١).
الذي ذكره الله في اللوح الأخضر، فقال: «... وجعلتُ حسيناً خازنَ
وحيي، وأكرمتُهُ بالشهادة، وختمتُ له بالسعادة، فهو أفضل من استشهد،
وأرفعُ الشهداء درجة، جعلتُ كلمتي التامة معه، والحجة البالغة عنده،
وبعترته أثيبُ وأعاقب» (٢).

الذي قال فيه جدّه المبعوث رحمةً للعالمين صلّى الله عليه وآله: «حسين مَيّ وأنا
من حسين، أحبّ الله من أحبّ حسيناً» (٣).

وقال رسول الله صلّى الله عليه وآله - وهو الصادق الأمين - : «إِنَّ حُبَّ عَلِيٍّ قُذِفَ فِي
قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ، فَلَا يَحِبُّهُ إِلَّا مُؤْمِنٌ، وَلَا يَبْغُضُهُ إِلَّا مُنَافِقٌ، وَإِنَّ حُبَّ الْحَسَنِ
وَالْحُسَيْنِ قُذِفَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ، فَلَا تَرَى لَهُمْ
ذِمّاً» (٤).

فَمِنْ أَيِّ المَخْلُوقَاتِ كَانَ أَوْلَئِكَ المَرْدَةُ العَتَاةُ، وَأَبْنَاءُ البَغَايَا
الرَّخِيسَاتِ، الَّذِينَ قَاتَلُوهُ بَغْضاً لَأَبِيهِ، وَسَبَّوْا الْفَاطِمِيَّاتِ، وَلَمْ يَحْفَظُوا
النَّبِيَّ صلّى الله عليه وآله فِي ذُرَارِيهِ !!؟

(١) معالي السبطين: ٦١.

(٢) كمال الدين: ٢ / ٢٩٠ ح ١.

(٣) بحار الأنوار: ٤٥ / ٣١٤.

(٤) مناقب آل أبي طالب: ٩ / ٤٧، بحار الأنوار: ٤٣ / ٢٨١ الباب ١٢.

قال الإمام سيّد الساجدين عليه السلام: «.. أيّها الناس، أصبحنا مطرّدين مشرّدين شاسعين عن الأمصار، كأنا أولاد ترك وكابل، من غير جُرمٍ اجترمناه، ولا مكروه ارتكبناه، ولا ثلّمة في الإسلام ثلّمنّاها، ما سمعنا بهذا في آبائنا الأولين، ﴿إِنْ هَذَا إِلَّا اخْتِلَاقٌ﴾. فوالله لو أنّ النبيّ ﷺ تقدّم في قتالنا كما تقدّم إليهم في الوصاية بنا لما ازدادوا على ما فعلوا بنا، فإنّا لله وإنا إليه راجعون، من مصيبةٍ ما أعظمها، وأوجعها، وأفجعها، وأكظّها، وأقطعها، وأمّرها، وأفدحها، فعند الله نحتسبه فيما أصابنا وما بلغ بنا، إنّه عزيزٌ ذو انتقام» (١).

ولكنّ الله لهم بالمرصاد، فإنّ دمه الزاكي الذي سكن في الخلد، واقتشعرت له أظّلّة العرش، وبكى له جميع الخلائق، وبكت له السماوات السبع، والأرضون السبع، وما فيهنّ، وما بينهنّ، ومن يتقلّب في الجنة والنار من خلق ربّنا، وما يرى وما لا يرى، سوف لا ولم ولن يسكن، لأنّه قتيّل الله وابن قتيّله، وثار الله وابن ثاره، ووتر الله الموتور في السماوات والأرض (٢)، حتّى «يبعث الله قائماً، يفرّج عنها الهم والكربات».

قال الحسين عليه السلام: «يا ولدي يا علي، والله لا يسكن دمي حتّى يبعث

(١) بحار الأنوار: ٤٥ / ١٤٧.

(٢) انظر: بحار الأنوار: ٩٨ / ١٥١ الباب ١٨.

الله المهدي» (١).

فذلك قائم آل محمد عَلَّاهُ اللَّهُ تَعَالَى
فَرَجَّاهُ الشَّرِيفُ يخرج، فيقتل بدم الحسين بن علي عليه السلام .. «وإذا قام - قائمنا - انتقم الله ورسوله ولنا أجمعين» (٢).

وقد بشّر بذلك رسول رب العالمين صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، فقال: «لَمَّا أُسْرِي بِي إِلَى السَّمَاءِ أَوْحَى إِلَيَّ رَبِّي (جَلَّ جَلَالُهُ) فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، إِنِّي أَظْلَعْتُ عَلَى الْأَرْضِ أَطْلَاعَةً فَاخْتَرْتُكَ مِنْهَا، فَجَعَلْتُكَ نَبِيًّا، وَشَقَقْتُ لَكَ مِنْ اسْمِي اسْمًا، فَأَنَا الْمَحْمُودُ وَأَنْتَ مُحَمَّدٌ، ثُمَّ أَظْلَعْتُ الثَّانِيَةَ فَاخْتَرْتُ مِنْهَا عَلِيًّا، وَجَعَلْتُهُ وَصِيَّكَ وَخَلِيفَتَكَ، وَزَوْجَ ابْنَتِكَ، وَأَبَا ذَرِيَّتِكَ، وَشَقَقْتُ لَهُ اسْمًا مِنْ أَسْمَائِي، فَأَنَا الْعَلِيُّ الْأَعْلَى وَهُوَ عَلِيٌّ، وَخَلَقْتُ فَاطِمَةَ وَالْحَسَنَ وَالْحُسَيْنَ مِنْ نُورِكُمَا، ثُمَّ عَرَضْتُ وَلَايَتَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ، فَهَنَّ قَبْلُهَا كَانَ عِنْدِي مِنَ الْمُقَرَّبِينَ.

يَا مُحَمَّدُ، لَوْ أَنَّ عَبْدًا عَبْدَنِي حَتَّى يَنْقُطَعَ، وَيَصِيرَ كَالشَّنِّ الْبَالِي، ثُمَّ أَتَانِي جَا حَادًّا لَوْلَايَتِهِمْ، فَمَا أَسْكَنْتُهُ جَنَّتِي، وَلَا أَظْلَلْتُهُ تَحْتَ عَرْشِي.

يَا مُحَمَّدُ، تَحَبُّ أَنْ تَرَاهُمْ؟

قُلْتُ: نَعَمْ يَا رَبِّ.

فَقَالَ (عَزَّوَجَلَّ): إِرْفَعْ رَأْسَكَ. فَرَفَعْتُ رَأْسِي، وَإِذَا أَنَا بِأَنْوَارِ عَلِيٍّ، وَفَاطِمَةَ، وَالْحَسَنَ، وَالْحُسَيْنَ، وَعَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ، وَمُحَمَّدَ بْنِ عَلِيٍّ، وَجَعْفَرِ بْنِ

(١) مناقب آل أبي طالب لابن شهر آشوب: ١٠ / ١٣٤.

(٢) بحار الأنوار: ٥٢ / ٣٧٦.

محمد، وموسى بن جعفر، وعلي بن موسى، ومحمد بن علي، وعلي بن محمد،
والحسن بن علي، و(محمّد) بن الحسن القائم في وسطهم كأنه كوكبٌ دري.

قلت: يا ربّ، ومن هؤلاء؟

قال: هؤلاء الأئمّة، وهذا القائم الذي يحلّ حلالي، ويحرّم حرامي، وبه
أنتقم من أعدائي، وهوراحةٌ لأوليائي، وهو الذي يشفي قلوب شيعتك من
الظالمين والجاحدين والكافرين، فيُخرج اللّات والعزّى طريّين فيحرقهما،
فلفّتنةُ الناس - يومئذٍ - بهما أشدّ من فتنة العجل والسامري» ^(١).

وروى عبد الله بن سنان قال: دخلتُ على سيدي أبي عبد الله
جعفر بن محمد عليه السلام في يوم عاشوراء، فألفيته كاسف اللّون، ظاهر
الحزن، ودموعه تنحدر من عينيه كاللؤلؤ المتساقط، فقلت: يا ابن رسول
الله، ممّ بكأؤك؟ لا أبكى الله عينيك.

فقال لي: «أَوْ في غفلةٍ أنت؟! أما علمتَ أنّ الحسين بن علي أُصيبَ في
مثل هذا اليوم؟!».

فقلت: يا سيدي، فما قولك في صومه؟

فقال لي: «صُمه من غير تبييت، وأفطره من غير تشميت، ولا تجعله
يوم صوم كماً، وليكن إفطارك بعد صلاة العصر بساعة على شربة من ماء،
فإنّه في مثل ذلك الوقت من ذلك اليوم تجلّت الهيجاء عن آل رسول الله،

(١) كمال الدين: ١ / ٢٥٢ الباب ٢٣ ح ٢، بحار الأنوار: ٥٢ / ٣٧٩ ح ١٨٥.

وانكشفت الملحمة عنهم، وفي الأرض منهم ثلاثون صريعاً في مواليمهم، يعزّ على رسول الله ﷺ مصرعهم، ولو كان في الدنيا - يومئذٍ - حياً لكان ﷺ هو المعزّى بهم».

قال: وبكى أبو عبد الله عليه السلام حتى اخضلت لحيته بدموعه.. ثمّ علّمه آداب يوم عاشوراء، وآداب الزيارة في ذلك اليوم، إلى أن قال: ثمّ قل:

«اللّهم عذب الفجرة الذين شاقّوا رسولك، وحاربوا أولياءك، وعبدوا غيرك، واستحلّوا محارمك، والعن القادة والأتباع، ومن كان منهم فخبّ وأوضع معهم أو رضى بفعالهم، لعناً كثيراً.

اللّهم وعجل فرج آل محمد ﷺ، واجعل صلواتك عليه وعليهم، واستنقذهم من أيدي المنافقين المضلّين، والكفرة الجاحدين، وافتح لهم فتحاً يسيراً، وأتّح لهم روحاً وفرجاً قريباً، واجعل لهم من لدنك على عدوك وعدوّهم سلطاناً نصيراً..

اللّهم إنّ كثيراً من الأئمة ناصبت المستحفظين من الأئمة، وكفرت بالكلمة، وعكفت على القادة الظلمة، وهجرت الكتاب والسنة، وعدلت عن الحبلىين اللّذين أمرت بطاعتها والتمسك بهما، فأماتت الحقّ، وجارت عن القصد، ومالأت الأحزاب، وحزفت الكتاب، وكفرت بالحقّ لما جاءها، وتمسّكت بالباطل لما اعترضها، وضيّعت حقك، وأضلتّ خلقك، وقتلت

أولاد نبيّك، وخيرة عبادك، وحملة علمك، وورثة حكمتك ووحيك.

اللهم فزلزل أقدام أعدائك، وأعداء رسولك، وأهل بيت رسولك.

اللهم وأخرب ديارهم، وافلل سلاحهم، وخالف بين كلمتهم، وفتّ في أعضادهم، وأوهن كيدهم، واضربهم بسيفك القاطع، وارمهم بحجرك الدامع، وطّمهم بالبلاء طمّاً، وقّمهم بالعذاب قماً، وعدّ بهم عذاباً نكراً، وخذهم بالسنين والمثلث التي أهلكت بها أعداءك، إنّك ذو نعمة من المجرمين.

اللهم إنّ سنّتك ضائعة، وأحكامك معظّلة، وعثرة نبيّك في الأرض هائلة، اللهم فأعن الحقّ وأهله، واقع الباطل وأهله، ومُنّ علينا بالنجاة، واهدنا إلى الإيمان، وعجل فرجنا، وانظمه بفرج أوليائك، واجعلهم لنا ودّاً، واجعلنا لهم وفداً»^(١).

والصلاة والسلام على أصحاب الحسين عليه السلام الذين كشف لهم سيّد الشهداء عليه السلام «الغطاء، حتّى رأوا منازلهم من الجنّة، فكان الرجل منهم يقدم على القتل ليبادر إلى حوراء يعانقها، وإلى مكانه من الجنّة»^(٢)، ووعدهم ربّ العزة أن يعيد لهم الكرة على أعدائهم، فقال: ﴿ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ﴾، يخاطب بذلك أصحاب الحسين^(٣).

(١) مصباح المتجّد: ٧٨٤، بحار الأنوار: ٩٨ / ٣٠٥ الباب ٢٤.

(٢) علل الشرائع: ١ / ٢٢٩ الباب ١٦٣ ح ١، بحار الأنوار: ٤٤ / ٢٩٧ الباب ٣٥ ح ١.

(٣) تأويل الآيات الظاهرة: ٢٧٢.

وصلّ يا ربّ صلاةً خاصّةً نامية زاكية طيّبة دائماً على مولاي

الغريب مسلم بن عقيل عليه السلام:

سلام الله العليّ العظيم، وسلام ملائكته المقرّبين، وأنبيائه المرسلين، وأئمّته المنتجبين، وعباده الصالحين، وجميع الشهداء والصّدّيقين، والزكايات الطيّبات فيما تغتدي وتروح، عليك يا مسلم بن عقيل بن أبي طالب، ورحمة الله وبركاته.

أشهد أنّك قد أقمّت الصلاة، وآتيت الزكاة، وأمرت بالمعروف، ونهيت عن المنكر، وجاهدت في الله حقّ جهاده، وقتلت على منهاج المجاهدين في سبيله، حتّى لقيت الله - عزّ وجلّ - وهو عنك راضٍ. وأشهد أنّك وفيتّ بعهد الله، وبذلت نفسك في نصرة حجّته وابن حجّته، حتّى أتاك اليقين.

أشهد لك بالتسليم والوفاء والنصيحة، لخلف النبيّ المرسل، والسبط المنتجب، والدليل العالم، والوصيّ المبلّغ، والمظلوم المهتضم، فجزاك الله عن رسوله وعن أمير المؤمنين وعن الحسن والحسين أفضل الجزاء بما صبرت واحتسبت وأعنت، فنعم عقبى الدار.

لعن الله من قتلَكَ، ولعن الله من أمر بقتلك، ولعن الله من ظلمك، ولعن الله من افترى عليك، ولعن الله من جهل حقّك واستخفّ بجرمتك، ولعن الله من بايعك وغشّك، وخذلك وأسلمك، ومن ألّب

عليك ولم يُعِنِكَ، الحمد لله الذي جعل النار مثواهم وبئس الورد المورود.

أشهد أنك قد قتلت مظلوماً، وأن الله منجزُ لك ما وعدك... قتل الله أُمَّةً قتلتك بالأيدي والألسن.

صلى الله عليك أيها العبدُ الصالح، المطيع لله ولرسوله ولأمير المؤمنين والحسن والحسين عليهما السلام، صلى الله على روحك وبدنك.

أشهد أنك مضيت على ما مضى به البدريون والمجاهدون في سبيل الله، المبالغون في جهاد أعدائه ونصرة أوليائه، فجزاك الله أفضل الجزاء، وأكثر الجزاء، وأوفر جزاء أحد مَن وفى ببيعته، واستجاب له دعوته، وأطاع ولاة أمره.

أشهد أنك قد بالغت في النصيحة، وأعطيت غاية المجهود، حتى بعثك الله في الشهداء، وجعل روحك مع أرواح السعداء، وأعطاك من جنانهِ أفسحها منزلاً، وأفضلها غرماً، ورفع ذكرك في العلين، وحشرك مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، وحسن أولئك رفيقاً.

أشهد أنك لم تهن ولم تنكل، وأنت قد مضيت على بصيرةٍ من أمرك، مقتدياً بالصالحين، ومتبعاً للنبيين، فجمع الله بيننا وبينك وبين رسوله وأوليائه في منازل المختبين، فإنه أرحم الراحمين.

اللهم ارزقنا زيارة مولانا الغريب الحبيب ما أبقيتنا، واحشرنا معه،

وَعَرَّفَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُ وَبَيْنَ رَسُولِكَ وَأَوْلِيَائِكَ فِي الْجَنَانِ.
اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ، وَتَوَفَّنَا عَلَى الْإِيمَانِ بِكَ وَالتَّصَدِيقِ
بِرَسُولِكَ وَالْوَلَايَةِ لِعَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ (صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ) وَالْأُمَّةِ مِنْ
وُلْدِهِ وَالْبَرَاءَةِ مِنْ أَعْدَائِهِمْ.. (١).

(١) أنظر: المزار لابن المشهدي: ١٧٧، بحار الأنوار للمجلسي: ٩٧ / ٤٢٨، زيارة
المولى مسلم بن عقيل عليه السلام.

المقدمة

يمكن استطلاع صورتين للمولى الغريب مسلم بن عقيل عليه السلام ..
صورتان متنافرتان، متناقضتان، متعاكستان .. كأنَّ بينهما بُعد
المشرقين:

إحدهما: صورة تكاد تكون طبق الأصل، لا يفصلها عن واقع المولى
الغريب عليه السلام سوى بُعد الأيام وامتناع المشاهدة الخارجية بالعيان، لأنها
مرسومة في القلوب، ومستوحاة من مؤديات الكلمات والبيان ..
والصورة الأخرى: مرسومة على أحوال صفحات التاريخ الملوّث
بقبح دواة المؤرّخ الذي يعيش في البلاط، ويجد مادة دواته وحبر قلمه
جاهزاً، ويمشي ضمن الخارطة التي يريدها السلطان، وترقص يده على
سطور بياضه على أنغام رنين الصفراء والبيضاء وإيقاعات اصطكاك
الدرهم والدينار داخل البدرات .. فما أعسر الوقوف بين يدي المولى

الغريب مسلم بن عقيل عليه السلام، إته موقفٌ صعبٌ عسير، إن كان في الدنيا أو في الآخرة..

* * * * *

الصورة الأولى التي كتبها الله للمولى الغريب عليه السلام، ورسم معالمها في التكوين، وأبان تفاصيلها بما لا يترك للمستطلع شكٌ يمكن أن يخالج اليقين..

رسمها له من خلال نسبه، وما أودعه فيه من خصال وصفات ومحامد الأخلاق، ورائة وهبة وعطاءً غير مجذوذ من رب العالمين..

ومن خلال ما رسمه لنا أهل بيت العصمة الذين لا ينطقون عن الهوى، فهم أعرف الخلق بالخلق، وهم أعرف الناس بعثرة النبي وآله وذاري الأنبياء والأوصياء وسلالة الطيبين وفروع الشجرة الزاكية من آدم إلى النبي الخاتم صلوات الله عليه وآله.. وهم الذين قرن الله رضاه برضاهم وسخطه بسخطهم؛ فمن رضوا عنه رضي الله عنه، ومن سخطوا عليه سخط الله عليه، ومن مدحوه مدحه الله، ومن ذمّوه ذمّه الله، ومن اصطفوه وارترضوه واختاروه وانتجبوه اصطفاه الله واختاره وانتجبه، ومن قرّروا له منزلة قرّرها الله له.. وهذا من بديهيّات معتقد الحق.

ثمّ من خلال الصورة التي رسمها المولى الغريب عليه السلام لنفسه بنفسه، فوظف ما منحه الله من موادّ لتكوين الصورة وصدّق الصديقين

بفعاله، فجمع كلّ ذلك في سيرته الذاتية التي يمكن أن نتصيّد لها من آيات أئمة الدين البيّنات، أو فلتات أقلام المؤرّخين، أو تصريحات الرواة والمهتمّين بشأنه..

فهذه الصورة صورة حقيقة، لا يقال عنها أنّها تحكي الواقع إذا اكتملت موادّها وتوفّرت لدينا بطرقها الثابتة، بل ستكون هي الواقع ذاته.. صورة طبق الأصل.. صورة الرجل العظيم الذي عاش وتحرك على الأرض ذات يوم، وسطّر لنا أروع ملاحم التاريخ وأعظم مواقف الأبطال وأنصع صور الرّواد للفضل والفضيلة والحقّ ومواجهة الباطل والضلال والذيلة..

صورة أرادها الله للبطل الهاشمي، ورسمها المولى الغريب عليه السلام بمواقفه وسلوكه ومشاهده - كلّها - التي لا تُنسى... وثبتّها المعصوم الذي لا ينطق عن الهوى، إن هو إلّا وحيّ يوحى!

صورة محبّكة، متجانسة الألوان، مشدودة الجوانب والأركان، متناغمة المواقف، متلائمة في المشاهد، منسجمة في جميع الحالات، لا تمّوج فيها إلّا ما كان من روعة الطلعة وشعاع النور الصاعد من جبينه الوضّاء..

صورة ثابتة، متماسكة، متعاضدة، لا اختلال فيها ولا اهتزاز.. تنساب معها روعة الجمال منذ اللّحظة الأولى التي يواجهها المتلقّي إلى

النهاية التي تدهش المتابع بالعظمة والجلال والجمال..
صورة واضحة المعالم، جليلة التفاصيل، دقيقة في التعبير.. تجدها في
المولى الغريب عليه السلام منذ الولادة، بل قبلها!
تجده نوراً يتقلب في أصلاب الساجدين، ثم ثمرة ناضجة تتدلى من
أغصان شجرة الموحدين التي بسقت في الحرم..
لا تجد في آباءه إلى آدم عليه السلام دنس الشرك، ولا قذر الحسب
الرديء، ولا ظلمات الجاهلية الجهلاء، ولم يحرص لهم الكرام الكاتبون
سوى معالي الأخلاق وحصائد أعمالهم الحسنة، التي صارت مثلاً
يحتذى به للبشرية جمعاء..

آباء جمعوا مكارم الأخلاق، فأتعبوا ملك اليمين بما أملوه عليه من
أعمال تربو على الجبال ثقلاً وعظمة في الموازين، حتى لكأنه يستحث
ملك الشمال ويستنجد به ليعينه على تسجيل المكرمات..

لقد حازوا المعالي ونالوا «الثريا بأيديهم وهم قاعدون»، فكانت
مآثرهم مفاخر، ومفاخرهم تستوعب لحظات أعمارهم، فلا تُعدّ بالسنين
والشهور والأيام والساعات، وإنما تكتض بها الثواني وتزدحم بها
اللحظات..

فهو من شجرة قال عنها مولى الموحدين وقائد الغر المحجلين وسيد
الوصيين - عمه وأبوزوجته - أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام:

«فَاسْتَوْدَعَهُمْ فِي أَفْضَلِ مُسْتَوْدَعٍ، وَأَقَرَّهُمْ فِي خَيْرِ مُسْتَقَرٍّ تَنَاسَخْتَهُمْ كَرَائِمِ الْأَصْلَابِ إِلَى مُطَهَّرَاتِ الْأَرْحَامِ، كُلَّمَا مَضَى مِنْهُمْ سَلَفٌ قَامَ مِنْهُمْ بِدِينِ اللَّهِ خَلْفٌ، حَتَّى أَفْضَتْ كَرَامَةُ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى إِلَى مُحَمَّدٍ ﷺ، فَأَخْرَجَهُ مِنْ أَفْضَلِ الْمُعَادِنِ مَنِبَتًا، وَأَعَزَّ الْأَرْوَامَاتِ مَغْرَسًا، مِنَ الشَّجَرَةِ الَّتِي صَدَعَ مِنْهَا أَنْبِيَاءُهُ، وَانْتَجَبَ مِنْهَا أَمْنَاءُهُ، عِثْرَتُهُ خَيْرُ الْعِثَرِ، وَأُسْرَتُهُ خَيْرُ الْأُسْرِ، وَشَجَرَتُهُ خَيْرُ الشَّجَرِ، نَبَتَتْ فِي حَرَمٍ وَبَسَقَتْ فِي كَرَمٍ، لَهَا فُرُوعٌ طَوَالُ وَثَمَرٌ لَا يُنَالُ» (١).

هو ذا المولى الغريب ﷺ:

مسلم بن عقيل بن أبي طالب بن شيبه الحمد عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان..

ولكل واحدٍ من هؤلاء الآباء الكرام شرفٌ ورياسة، ومجدٌ ضخيم، وكل واحد منهم في عصره سيّد قومه، وزعيمهم المقدّم عليهم، بما امتاز به من كرم الأصل ومكارم الأخلاق، لأنّ كلّ فردٍ منهم لا يشبهه من في عصره - لا عربيٌّ ولا أعجمي - في جميع المكارم وسائر السجايا والشميم، فهو الممتاز من حيث الصفة البدنيّة، كالصباحة، وحسن الملامح،

والسيماء التي يتفرّس منها كلّ خير، وكما كساه الله الجمال والبهاء
كساه المهابة والجلال وحُسن الهيئة، وبجّله في أعين الناظرين، وجعل
له هيبَةً ورهبةً في قلوب المناوئين..

أمّا من حيث الصفات النفسيّة النفيسة، فقد أربى عليهم وفاقهم
كمالاً كما راقهم جمالاً، فلا يدانيه رئيس ولا متوّجٌ في المحامد والمكارم،
نحو الشجاعة والسخاء والفصاحة، وسائر المفاخر المنتخبة والمكارم
المتخيّرة عند عامّة العقلاء، وكلّ واحدٍ منهم قاد قومه في الحروب، وكان
مع تفوّقه بفنّ القيادة مظفّراً منصوراً^(١).

* * * * *

نسبٌ ناصع، تزهو الدنيا برجاله، وتزهربه الآخرة بتلألؤ أنواره.. إنّ
المولى الغريب مسلم بن عقيل عليه السلام شعاعٌ من أنوار الأنبياء والمرسلين
والأوصياء والصالحين.. سليل إبراهيم الخليل عليه السلام، وغصنٌ شامخ من
عبد المطلب، وفرع زاكٍ من أبي طالب عليه السلام حجة الله الصديق العظيم،
وثمرّة عقيل الموحّد الشجاع الأمين، وصهر تاج الموحّدين، مجدل الأبطال
ومجبن الشجعان، أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام، وأخ الحسن
والحسين عليه السلام سيّدَي شباب أهل الجنة أجمعين..

(١) اقتباس من كتاب العباس بن أمير المؤمنين عليه السلام حامل لواء الحسين، للسيد
علي أشرف: ٣٤.

فإن كانت الأخلاق الحميدة والمكارم العتيدة وراثته، فما أعظم محدد المولى الغريب ﷺ، وما أعرق نجاهه ونسبه! اكتنز الأخلاق من «آبائه الصيد الكماة» وراثته، وامتلاًبها امتلاءً، ففاضت منه عبقاً لَف الدنيا بأريجها، وغمر التاريخ بشذى عطره الفواح.. فهل تجد مكرمةً وخلقاً يتمناه الكُمل من بني البشر إلا في آبائه الكرام وسادات الأنام؟!

وقد ورثها المولى الغريب ﷺ بوعاءٍ واسع متين..

وإن كانت اكتساباً! فقد انتهل المولى الغريب ﷺ من أصفى معين خلقه الله سلسلاً عذباً فراتاً سائغاً للشاربين، وأحاطته عناية رب العالمين، فرفل متنعماً برعاية رُعاة الكون ومالكي الجنة والجحيم والأئمة على الخلق أجمعين.. هم رعاة الخلق:

«أَهْلَ بَيْتِ النَّبُوَّةِ، وَمَوْضِعِ الرِّسَالَةِ، وَمُخْتَلَفِ الْمَلَائِكَةِ، وَمَهْبِطِ الْوَحْيِ، وَمَعْدِنِ الرَّحْمَةِ، وَخَزَائِنِ الْعِلْمِ، وَمُنْتَهَى الْحِلْمِ، وَأُصُولِ الْكَرَمِ، وَقَادَةَ الْأُمَمِ، وَأَوْلِيَاءِ النَّعَمِ، وَعَنَاصِرِ الْأَبْرَارِ وَدَعَائِمِ الْأَخْيَارِ وَسَاسَةَ الْعِبَادِ، وَأَرْكَانَ الْبِلَادِ، وَأَبْوَابِ الْإِيمَانِ، وَأَمْنَاءَ الرَّحْمَنِ، وَسُلَالَةَ النَّبِيِّينَ، وَصَفْوَةَ الْمُرْسَلِينَ، وَعَشْرَةَ خَيْرَةِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَرَحْمَةَ اللَّهِ.. أَيْمَةَ الْهُدَى، وَمَصَابِيحِ الدُّجَى، وَأَعْلَامِ الثَّقَى، وَذَوِي التَّهَى، وَأُولِي الْحِجَى، وَكَهْفِ الْوَرَى، وَوَرَثَةِ الْأَنْبِيَاءِ، وَالْمَثَلِ الْأَعْلَى، وَالِدَعْوَةِ الْحُسْنَى، وَحُجَجِ اللَّهِ عَلَى أَهْلِ الدُّنْيَا، وَالْآخِرَةِ

وَالأُولَى ..».

والمولى الغريب عليه السلام ينعم بالرحمة الإلهية الواسعة، متنقلاً من يد معصومة إلى أخرى معصومة، لم يبعد عن الكساء وأصحابه، تُظِلُّه جلايب الإمامة، وتغظيه أردية وأكسية أصحاب الكساء..

* * * * *

عاش مع أصحاب الكساء عليه السلام.. مقرباً مبجلاً مجللاً، له حظوة وعناية خاصّة، فامتلك ناصية الأدب، ونهل من ينابيع الحكمة، وأحيط بالهبة الربّانية والاهتمام المميّز..

جاوز القمّة المرجوة في البشر غير المعصوم بالعصمة الخاصّة، متفقيّاً ظلال سرادق العزّ الإلهي في كنف «أصحاب الكساء» و«النسب الوضاء»، مرضياً عندهم، ورضاهم - بالقطع واليقين - رضا جبار السموات والأرضين..

فعلمه متّصل بمادة لا تنضب، ومعين لا ينزف، وغيث منهمر مُنعش لا ينقطع، لأنه ينهل من عذب فرات الفيض الإلهي المتدفّق بالعلوم الربّانية المترشّح من أئمة الهدى عليه السلام على الكائنات طُرّاً وعلى البشرية، ويصدر عن ﴿بُيُوتِ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تَرُفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ﴾.. محدود بنظرة المعصوم المباشرة، مظلل بسقف الشريعة الفاصلة، محاط بعناية الأئمة الخاصّة، داخل في دائرة الإشراف المباشر والتعليم المركز،

يسمع كلام الله في كل آتاته على لسان أئمة الهدى الميامين عليهم السلام، ويتلو الكتاب حق تلاوته، راعياً حدوده وأحكامه وألفاظه ومضامينه، فقيهاً يأخذ العلم من معدنه، ويرتشف الزلال من منبعه، ملاً نور حديث الأئمة عليهم السلام كيانه، وسرى الإيمان الحق الصراح في مشاشه، وتجذر الدين في كيانه..

تعلم العلم من أصوله فصار له علامة، وسلك طريق الأدب فعرق شرع الآل في ذاته، وأضاء نور الإيمان نفسيته وأرجاء قلبه فشع بنور أمير المؤمنين والحسن والحسين عليهم السلام، إته من العترة الطاهرة! ويكفيه فخراً ونجاحاً وفلاحاً وفوزاً وسمواً وجلالة وهيبة وعظمة وعلماً وحصانة وعصمة أنه نال رضا أصحاب الكساء عليهم السلام ومن تلاهم من الأئمة النجباء عليهم السلام..

هذا هو الميزان الأعظم الذي رجح به مسلم بن عقيل عليه السلام، فكل رتبة دون هذه الرتبة زيف باطل، وكيل بخس، وظل زائل، لا يبقى إلا الحق وأهله، ولا يقدح قائل بمن مجده أهل المجد، ولا ينزل من رفعه أهل الرفعة، ولا يزحزح مكانة من رسخه الراسخون في العلم..

* * * * *

وبعد هذه المكانة السامية، والمنزلة الرفيعة، والمقام المكين عند أئمة الحق والدين عليهم السلام المنصوبين من رب العالمين، نسمع كلام سيد شباب

أهل الجنة وخامس أصحاب الكساء حبيب الله ورسوله وسيد الشهداء عليه السلام، يقول فيه ثناءً لا زال يدوي في أسماع الزمن ويملاً الدنيا جلالاً وهيبة لهذا الغصن الفارع من سلالة إبراهيم الخليل عليه السلام، فتكتض مدارج الأيام بنياشين الفخر والعظمة ومحمد الأخلاق والخلال..

أبلغ الإنسان رتبة تؤهله ليكون ثقة القرآن الناطق والمتكلم بالوحي والحق، فيكون ثقة ثقة الله، في زمنٍ كلب شح فيه الأوفياء وندر فيه المتمسكون بالعروة الوثقى، زمنٍ تسربل أهله بالخيانة، واشتملوا بالغدر، وأشرب في قلوبهم المنخورة حب العجل والسامري، وخضعوا لأولاد البغايا، وخشعت أصواتهم للشيطان، فأصغوا إلى هتوفه منقادين، وأعرضوا عن صوت رسول الله صلى الله عليه وآله الصادح من فم الحسين عليه السلام دم النبي ولحمه ونفسه بالحق واليقين؟!

ثقة الإمام الأمين، سيد الشهداء الحسين عليه السلام، ما أثقلها وأعسر فهمها وإدراك عمقها، وما أصعب سبر غورها، لو تأملها المؤمن العارف بالإمام لفزع منها.. إنها كلمة تُبهر الإنسان الذي تشرق أنوار معرفة الإمام والمعصوم في حنايا قلبه..

ثقة الحسين عليه السلام.. مسلم..

معتمد الحسين عليه السلام.. مسلم..

المبَرِّز بالفضل من أهل بيت الحسين عليه السلام .. مسلم ..

أخو الحسين عليه السلام .. مسلم ..

«أخي» .. هكذا قال عنه خامس أصحاب الكساء عليه السلام ..

يعجز الوصف مهما أُوتي من قوّة أن يفسّر هذه الكلمات ويُدرِك

معانيها ودلالاتها وأبعادها ..

تقيّم من الإمام الحسين عليه السلام، لا يقوم لبيان مغزاه الكامل غير الإمام

نفسه!

إنّه إمامٌ معصوم من أصحاب الكساء، لا ينطق عن الهوى، يقول

الحقّ وهو أعرف الخلق بالخلق .. إنّه يتكلّم عن الله تعالى!

يكتب له أهل الكوفة آلافاً مؤلّفة، فيهم الشريف والذّي، والعظيم

والوضع، والثابت والمتزلزل، والعارف والضالّ، والوفّي والخائن المحتال،

والمؤمن والدجال، وكلّ صنوف الرجال .. يؤكّدون للإمام عليه السلام - بالكتاب

تلو الكتاب والرسول بعد الرسول - أنّهم ينتظرونه، وأنّ فيهم جنّدٌ مجنّدة.

والإمام يقول لهم بكلمة واحدة: أبعث إليكم أخي وثقتي .. الموثوق

به عند الحسين عليه السلام من كلّ تلك الأمة، إنّما هو أخوه وابن عمّه

ومعتمده مسلم بن عقيل عليه السلام، ليرى رأيه فيكم، ثمّ يكتب إليّ ..

لقد خوّل الإمام سيّد الشهداء عليه السلام مسلم بن عقيل عليه السلام تحويلاً

عظيماً، وكلفه بمهمّة ثقيلة تتصدّع منها الجبال .. لقد أناط سيّد

الشهداء عليه السلام حركته التي بشر بها الأنبياء والأوصياء بما سيكتب له مسلم بن عقيل عليه السلام.. أن يُقدِّمَ إن قال: أقدم!!

جعل الإمام سيّد الشهداء مسلم بن عقيل عليه السلام رائد قيامه! و«الرائد لا يكذب أهله» كما قال المولى الغريب عليه السلام نفسه..

ثقة معتمد مبرز بالفضل من أهل بيت الفضل، انتدبه معدن الفضل لمهمة معقدة ستبقى فاعلة مؤثرة إلى يوم القيامة، يوم يقوم الناس لرب العالمين..

أرسله إلى أمة يُبَكِّم فيها المتكلم المنطيق، وينبهر فيها كل زفير وشهيق، ويحار فيها اللبيب، ويتلکأ فيها المقتحم، ويُحجِّم فيها المقدام.. خليط متراكم، ومزيج غير متلائم، وقلوب مظلمة متهاوية، وأرواح كأنها أعجاز نخل خاوية.. فيهم القليل ممن عرف الحق واتبع الصدق وانتظر الفرج، ليرحل إلى ركب الشهادة..

عرفهم الإمام عليه السلام بإمامته وبمعاشرته، وعرفهم مسلم عليه السلام بعلم إمامه وبمعاشرته..

خبرهم مسلم بن عقيل عليه السلام وعالجهم.. قاتل معهم وقتلهم، قادهم بالأمس القريب في الجمل وصفين، ورأى عن كثب تلوثهم ونفاقهم وخديعتهم ومكرهم..

لم يكن مسلم عليه السلام غريباً عن الكوفة وأهلها؛ عاشها وتحسّسها

وتلمّسها، وذاق كلّ طعومها، وعرف أفكارها وهواجسها ومثيراتها
وتفاعلاتها..

لقد أرسل إليهم الحسين عليه السلام ثقته ومعتمده الخبير العارف، والفقيه
العالم، والفصيح البليغ، والخطيب المفوّه، والمجاهد المقاتل، الذي خبر
ساحات القتال وميادين الوغى في أحلك الأيام وأشدّ الظروف وأعنف
الفتن..

عاش المولى الغريب عليه السلام في المجتمع المفتون.. وهو من العترة
الطاهرة، أطفالهم لا كالأطفال، وصغارهم لا كالصغار، وشبابهم خير
الشباب، وكهولهم خير الكهول.

عاش نكبة السقيفة! وميّز فيها الحق، وتمسّك بالعروة الوثقى واثقاً
عن علمٍ ومعرفة! لم يُحص له التاريخ ولم يذكر له أئمةُ الصدق حيصةً
ولا بيصةً..

ثمّ عاش محنة فرار الأئمة إلى السقيفة، وعكوفها على عبادة العجل
والسامريّ.. فسكت حين سكت الإمام، ونطق حين نطق الإمام، وسلّم
لمن كان سلمهم سلم رسول الله صلّى الله عليه وآله، وحارب من حاربوا..

صبر حين صبروا، ولبد حين لبدوا، وصار حلس داره حينما أرادوا
منه ذلك، وفدى نفسه حينما انتدبوه، وهو ندبٌ إذا دعاه الداعي..
سمع آهات عمّه وأبي زوجته وأبيه - بحكم العمومة، والأخوة مع

سيّد الشهداء عليه السلام - في السقيفة وبعدها وفي الكوفة.. سال قلبه من مآقيه وهو يرى أمير المؤمنين ومولى الموحّدين عليه السلام يئنّ في الكوفة أنين الشكلى ويتمنّى فراق هذه الأمة المنكوسة..

عاصر فتنة الجمل، وقاتل راكبة «عسكر» وعُبادها الوثنيين، وكان يومها من قوّاد معسكر التوحيد وعلى ميمنة عسكر أمير المؤمنين وقائد الغر المحجلين عليه السلام..

ووقف جبلاً لا تزعزعه العواصف ولا تحركه القواصف يوم صفّين.. رأى بأّم عينيه - الدعجاوين اللّذين يحكيان عينيّ رسول الله صلى الله عليه وآله - تقلّب الأدعياء في أحضان الدنيا القذرة، وتلوّنهم وانقلابهم على الدين.. وكان حاضراً في قصّة التحكيم التي شوّهت وجه التاريخ وصارت السقيفة الثانية في تاريخ المسلمين..

عاش محنة الإمام المجتبي عليه السلام في الكوفة والنخيلة، وثبت رصيناً متيناً متماسكاً مهيباً عارفاً واثقاً عالماً راسخاً في صفّ الموحّدين.. صالح بصلح الإمام عليه السلام، وسلّم أمره لوليّ الأئام، وأراح سيفه في غمده يوم هجوم الحشرة المؤذية على جنازة حبيب رسول الله الحسن المظلوم، إذ أمر سيّد الشهداء عليه السلام بالتزام وصيّة أخيه وأن لا يقاتل أحداً في تلك الفتن التي أثارها أمّ الفتن وقرن الشيطان..

ثم جاء يوم الحسين عليه السلام، وكان لمسلم عليه السلام ساعة من ذلك اليوم المشهود! فدخله - وبغض النظر عن التسديد الإلهي والإشراف المعصوم - وهو خزانة واسعة من التجارب التي مارسها عبر الأيام الخوالي، وثراء عميق في معرفة المجتمع المبعوث إليه..

يعرف الكوفة بكل تفاصيلها.. يعرف جغرافيتها بكل تضاريسها، ومدخلها ومخارجها ومواجهها ومساربها، ومواضع مياهها وبساتينها، ومحلاتها ونواديها، وقطائعها ومضائفها، وشوارعها وسككها وأزقتها، وبيوتها ومسكنها، وأماكنها العامة ومجالسها ومساجدها، وتقسيماتها البلدية وانتشار العشائر على رقعتها وأماكن سكنى كل عشيرة وقبيلة وفخذ، يعرف قصورها ودورها وأسوارها وحدودها، ويعرف زوايا قصر الإمارة - مركز الحكم المتسلط - ويعرف خباياه، ويعرف أبواب المسجد الأعظم ومؤدياتها، فقد عاش فيها زهاء أربع أو خمس سنين مع عمّه أمير المؤمنين عليه السلام، سوى ما يربو على الشهرين أيام قيامه بمهمة مولاه الحسين عليه السلام، عاش وهو يعلم - وفق اعتقادنا بالعامل الغيبي في قيام سيد الشهداء عليه السلام والإخبارات المتوالية والمتواترة الواردة فيه - أن له يوماً قريباً مع هذه البلدة ومعالمها وسكانها.

يعرف الكوفة بأشخاصها وشخصياتها، ورجالها وكياناتها، وأحزابها ومجاميعها، وتشكيلاتها العشائرية، وتركيباتها الاجتماعية، وتشعباتها

العرقية، وانقساماتها الطائفية، وتكتلاتها السياسية، وشرائعها البشرية، وأديانها المختلفة، وعناصرها المؤتلفة..

يعرف الرؤوس والجماجم، ويصنّف الناس ويميّز بين العرب والأعراب والأعاجم.. له امتدادٌ بين العرفاء، وسابق علمِ برؤساء الأرباع والأسباع، وله ممارسة وعلاقات مع ما يسمّونهم بالوجهاء وعلّية القوم والكبراء..

يعرف ابن زياد معرفةً عميقة، ويعرف أباه وأصله ومنبته وخدمه وحشمه المقربين عنده، وسياسته وأخلاقه وسلوكياته وطريقة تعامله.. يعرف الذين واجهوه من صناديد الكوفة فرداً فرداً، وقد خبرهم واحداً واحداً، لا ينسى لكلّ منهم سجلّه وتاريخه ومواقفه، لمس بدقّة وتحسّس برهافةٍ عاليةٍ ألوانهم وأهواءهم وتطلّعاتهم وانغماسهم في الرذيلة وتشخّطهم بأحوال الدنيا الذليلة ولحسّهم فيء القروء الأموية المخمورة وجرائها..

يعرف عمرو بن الحجاج الزبيدي! يعرف شبت بن ربعي! يعرف حجار بن أبحر! يعرف شمر بن ذي الجوشن الضبابي! يعرف الأشعث بن قيس! ويعرف محمّد بن الأشعث! وقيس بن الأشعث!

كما يعرف حبيب بن مظاهر الأسدي، ومسلم بن عوسجة الأسدي، وعابس بن أبي شبيب الشاكري، وعباس بن جعدة الجدلي،

وأباً ثامة الصائدي، وكلّ الميامين الأخيار من شيعة عليّ الكرار عليه السلام..
يعرف هؤلاء، ويعرف كلّ من كان له ذكر أو لم يكن له ذكراً أيام
تشرف الكوفة بأقدامه في مهمّة الريادة لقيام سيّد الشهداء عليه السلام..
لم يكن بعيداً غريباً عمّا ذكرناه وما لم نذكره - وهو كثير -، فهو مقدّم
على إنجاز مهمّة، ملّمٌ بكلّ تفاصيلها، عارفٌ بكلّ متطلّباتها، محيطٌ
بأطرافها، مشتملٌ على معضلاتها، مُطبّقٌ على أرجائها، جامع لكلّ
خيوطها، ممتدّ على شبرٍ شبرٍ من مساحتها، خبير بها.. إنّه مسلم بن
عقيل عليه السلام، إنّه خيرة خامس أصحاب الكساء الإمام الحسين عليه السلام، إنّه
خيرة ربّ العالمين!

لوتبتّعنا المولى الغريب عليه السلام وهو يتحرّك على صفحات تاريخه، وما
سّطره هو بنفسه المقدّسة على لوحة أيامه المباركة، وتلمّسنا بعض أنحاء
تلك الصورة المشرقة الوضّاء النيرة اللامعة، لَطال بنا المقام، بيد أنّه
ضروريٌّ لنجعلها لنا مقياساً ثالثاً نَميّز به الصورة القائمة التي رسمها
الأعداء..

إنّ الصورة الأولى ^(١) للمولى الغريب مسلم بن عقيل عليه السلام قد

(١) أتينا على بعض تفاصيلها في كتاب «مسلم بن عقيل عليه السلام بين صورتين» -
←

رأيها صورةً ناصعة، كَوْنُ مكوّناتها مكوْنُ الأكوَان والحكيم العَلَام بارئ الخلائق ومصوّر الصور، خلقه على عينه، وجعله غصناً فارعاً خضراً نضراً من تلك الشجرة الزاكية التي نبتت في التاريخ وبسقت في الحرم.. ورأيها تستقي علومها ومعارفها وسعة اطلاعها على تفاصيل الشريعة الغراء وأخلاقياتها وسلوكياتها وتديّنها وثباتها وقوتها ونصوعها وشعاعها ونورها ووضوحها من الأئمة النجباء رعاة الكون ومعلّمي البشر والملائكة..

ورأيها من خلال مواقفه ومشاهده وكلماته وبياناته وقراراته الحكيمة وصولاته التي لا زالت أيام التاريخ تشهد عليها في الجمل وصفين والكوفة..

وهي صورة تنسجم مع النصوص والشواهد والامتدادات التكوينية والتاريخية، وتناغم المعارف الأولية التي تعدّ خزيناً ومادّة أساسية عند كلّ مؤمن، وتلتئم مع الشريعة، ولا يستوحش منها المؤمن ولا يمجّها الغيور ولا ينفر منها الطبع السليم..

وفيها ما يُقنع المؤمن - وغيره - إذا كان متتبّعاً متأملاً منصفاً عاقلاً لبيباً يقرأ التاريخ بتمعّن، إذ أنّ مَنْ يعرف بصيرة المولى الغريب عليه السلام وشجاعته وإبائه وسكينته ووقاره وتديّره، يعتريه القرف ويجمح به

النفور ويصاب بالإحباط حينما يرى الصورة التي يرسمها المؤرخ من خلال سطره للمولى الغريب عليه السلام!

فإنّ الواقف بين يديه يتطلّع إليه من خلال النصّ التاريخي، فيراه في صورةٍ متداخلة المشاهد، مكدّرة الألوان، باهتة الظلال، مرتعشة ممّوهة في جميع أرجائها، تتقلّب من أقصى الثبات إلى أقصى التزلزل، ومن الفتوة وثورة العنفوان والقوة إلى أشدّ الضعف المجانب للمروءة، ترتجّ أحياناً لكبوة وترتجف أخرى، فلا تقوى على الإمساك على مقبض الحسام، وترتجّ بين الإقدام والإحجام..

صورة تبعث في النفس التشاؤم والتردد والحيرة والتهيب في أزقة الكوفة، وتتمنّى الإفلات من المصير المحتوم ولو بملازمة مجالس البطالين وأبناء الأدعياء وإكثار السلام على الأوغاد وهجر الحقّ ومفارقة الأصفياء والأئمة النجباء عليهم السلام.. ولات حين مناص، فتتقدّم خطوة وترجع عشرات الخطوات، وتقدم على مضضٍ لتمحو عن نفسها عار «الجبين والفشل»... على تفصيلٍ أتينا على ذكره في محله.

حاشا سيدي ومولاي وحببي ممّا جناه عليه هؤلاء الأوغاد الحاقدون، الذين أبوا أن يكتبوا إلّا في البلاطات على أنغام رنين الصفراء والبيضاء وإيقاع ارتجاج بطون البدرات ولمعان ومضات الدنانير وبريق الدراهم، بمدادٍ يفيض عليهم قيحاً من دواة القروء الأموية

المتّهكة الماجة الحقودة..

* * * * *

ومّا يؤسّف له، بل يحقّ أن تذوب له القلوب وتجري له «هاطلات العيون»، وتحترق المآقي بالدموع، وتتقرّح له الجفون، أنّ الكتاب والمحقّقين من ذوي الفضل والباع والولاء ممّن يُعتدّ بقولهم ويحسب لكلامهم وينتظر المؤمنون أن يتلقّفوا كلمة الحقّ والفصل من أفواههم أو ترشح به أقلامهم، اعتماداً منهم على هؤلاء الطيّبين المجتهدين الذين أذابوا شحمت عيونهم، وأذبلوا زهرة أعمارهم في التنقيب والتنقير والبحث والتحليل والتفسير وملاحقة الشاردة والواردة في بطون الكتب والمخطوطات..

تجد هؤلاء الكتاب المؤمنين تتمرّق دفاترهم إذا كتبوا عن المولى الغريب عليه السلام، فهم بين قناعاتهم واعتقاداتهم ووضوح الصورة الأولى عندهم والبديّهيات والمسلمات التي لا يبغيون عنها حِولاً، وبين الصورة المغشوشة والزيف المبثوث في صفحات التاريخ.

فإذا تحدّثوا وفق الصورة الأولى وهم لا يشكّون فيها ولا يتردّدون، فيمدحون ويثنون بما يعرفونه من عظمة المولى عليه السلام وجلاله وجماله وأخلاقه وغير ذلك ممّا ذكرناه آنفاً، كلّ يكتب بما آتاه الله من معرفة وقوّة في التعبير.. هذا كلّ ما داموا وقوفاً على ساحل بحر حياة المولى عليه السلام،

فإذا أبحروا ركبوا سفن الرواة والمؤرخين ودخلوا في المقصورات، فلا ينظرون إلا من خلال مناظير المؤرخ وراويهِ، فيعرضون ما يعرض عليهم، وغاية ما يفعلونه أنهم يلقون شباههم فيصطادون حسب اجتهادهم ومقدار خبراتهم ما يرونه الأفضل أو الأهون شراً، ولا حول ولا قوة إلا بالله العليّ العظيم.

أما المحزن المشجي - وكلامنا يخص سيرة المولى الغريب عليه السلام - أنهم يعرضون الصورتين مستقلّتين من دون مقايسةٍ إلى بعضها، فتجد في بداية الكتب وخواتيمها مدحاً وإطراءً أبلغاً في حق المولى الغريب عليه السلام، وهو يستحقّه كلّهُ، ولا زلنا مقصّرين، ولكنّ البحث يتضمّن ما ينجّل المؤمن أن ينسبه لنفسه أو لأبيه أو لأحد مقربيه!!

ومن العجيب! أنّ أكثر الموارد التي نقصدها أعرض بعض العلماء والمؤرخين الأعلام من علماء الشيعة عنها، وتجنّبوا ذكرها في كتبهم، وكان دأب العلماء حينها أنهم يذكرون في كتبهم خيرتهم، ويسقطون ما لا يرضونه من دون مناقشة تفصيليّة يطرحونها على الورق..

ومن الغريب! أنّ هذه النكبات تحمل نقضها في نفسها، وتهاافت وتذوي وتذوب وتنكشف بمجرد ملاحظة أقوال المؤرخين ومقارنتها ومحاکمتها.

ومن الظريف! أنّها لا تُعدّ حلقاتٍ أساسيّةٍ يؤدّي كسرُها إلى انحرام

سلسلة حركة المولى عليه السلام، بل على العكس، تجدها ثغرة لا يمكن الاستمرار في بيان أيام حركته إلا بعد ردمها والتخلص منها، فلو حُذفت تكتمل الصورة.

وإذا استؤصلت لا يلزم منها أي استنقاص، ولا استصغار، ولا تهوين، ولا تضييع، ولا طمس ظليمة، ولا إنكار حق، ولا منع دمة، بل على العكس تماماً!

سيّما إذا لاحظنا أن الحرب التي حمل رايتها الأمويون ومن سلّطهم على رقاب المسلمين، لم تنتهِ بعد منذ أن بادروا إلى مواجهة خاتم النبيين ﷺ إلى يوم الناس هذا، وستبقى حتى ظهور المنقذ الأعظم والطالب بدم الحسين عليه السلام والآخذ بذحول الأنبياء والأوصياء والشهداء عليهم السلام.

ولم تكن الحرب المفتوحة هذه تنحصر في صورة أو مشهد أو موقف معيّن، كما أنّها لم تنحصر في زمنٍ من الأزمان..

وقد امتاز الأمويّون عبر التاريخ بالإعلام المضللّ القويّ والحرب النفسيّة، والتسلّل الماكر إلى قلوب الناس وأفكارهم، وتغذيتهم بالسموم الفتّاكة ذات المنظر الخدّاع، وقد اشتهر كلامهم على الألسن «لله جنودٌ من العسل».

وكانت حربهم الإعلاميّة على سيّد الشهداء عليه السلام قويّة مآكرة، تتسم

بالخبث والشيطنة، بحيث صوّرت سبط النبي ﷺ وريحانة الرسول
وسيد شباب أهل الجنة للمغرّز بهم من السّدج في صورة «الخارجي»،
وأبدت سكّان سرادق العزّ من مخدّرات الرسالة وعقائل الوحي في
مشهد «السبايا»..

وقد جهد الأمويّون في تشويه صورة أمير المؤمنين وأولاده الطاهرين
وأصحابهم الغرّ الميامين (عليهم صلوات ربّ العالمين)، وتقديمهم إلى
التاريخ باعتبارهم لا يعرفون من السياسة والتعامل الاجتماعي شيئاً،
فيما يرسم لنا قروود آل أميّة وأذنانهم في صورٍ مضلّة كائنهم دهاة
السياسة وعفاريت التاريخ!

فإذا كان هذا دأبهم مع المعصومين الأبرار الذين شهد لهم الكتاب
والسنّة بالطهارة والعصمة والقدس، فما ظنّك بأنصارهم والمدافعين
عنهم والمحامين عن حريمهم؟!..

وربما اضطرّ العدو أحياناً إلى ما يخاله نيلاً من أصحاب الأئمة عليهم السلام
عموماً وأنصار سيد الشهداء عليه السلام خصوصاً، لأنّه لا يجد في الإمام مغزاً
ولا مهمزاً، فيحاول الاقتراب من حريمه من خلال التعرّض لأقرب
الشخصيّات منه، والسعي في تهديم الأركان التي بُنيت عليها أسس
معسكرات الهدى..

كما جهد الأمويّون في تقديم مسوخهم وجرائهم في صور حسناء

مزيفة خداعة، كخضراء الدمن وقش على قدر..

وقد استهدف المولى الغريب مسلم بن عقيل ؑ استهدافاً خاصاً من قبل الأمويين لأسباب معروفة، فحاولوا عرضه في صورة لا تقدر فيه وحده، وإنما تتعرض إلى قيام سيد الشهداء ؑ، وقد خابوا وضلوا ضلالاً بعيداً.

فهم يحاولون - جاهدين خاسئين خائبين - خدش القيام الحسيني من خلال رائد القيام، وظنوا أنهم إن استطاعوا عرض صورة مشوهة مغشوشة مهزوزة للرائد الذي اختاره سيد الشهداء ؑ وجعله ثقته ومعتمده والمبرز بالفضل عنده، فإنهم يستطيعون القول أن القيام الحسيني - والعياذ بالله - قد أخفق في الخيار الأول ولم يصب في انتخاب الرائد، وتزلزل وارتبك منذ الخطوة الأولى، وبُني على أساس لا يُعتمد عليه، وهو بالتالي يتحرك على خطٍ يبتعد عن الصواب كلما تقدّم في المسير، تماماً كالخطّ المنطلق من نقطة تنحرف قليلاً في زاوية ضيقة جداً، بيد أن هذا الخطّ كلما امتدّ وابتعد عن نقطة الانطلاق يزداد انحرافاً وتتسع مع تقدّمه فرجة التباعد عن الهدف..

هذا تصوّر ينبغي الالتفات إليه، ليتوقّى المؤمن المطالع للتاريخ كل موضع فيه خدش أو مساس بساحة قدس المولى الغريب ؑ، لأنه سيؤول عاقبةً إلى الطعن المباشر والخدش الفظيع في مسيرة سيد

الشهداء عَلَيْهِ السَّلَامُ وقيامه .

ويمكن أن نقارن بين الصورتين من خلال مجموع هذه الدراسة، ونجد الفرق بينها ضمن هذه القراءة الجديدة التي تناولت حركة المولى الغريب عَلَيْهِ السَّلَامُ منذ انطلاقه إلى الكوفة إلى أن صرعه الطعنة الغادرة حتى لقاء الله والرحيل إلى الرفيق الأعلى، مروراً بقصر الخبال وما دار بينه وبين ابن زياد من محاججة، وشهادته وصلب الجثمان المقدس في الكوفة، وإرسال رأسه المقدس إلى القرد الأموي المخمور وصلبه في دمشق.

* * * * *

لقد تحرّينا الاحتياط، وتقدّمنا في البحث خطوة خطوة كمن يمشي في منطقة ملغومة مظلمة، وقصدنا خدمة أهل البيت عَلَيْهِ السَّلَامُ، وعزّمتنا الدفاع عن حريمهم وقداستهم وكلّ ما يُنسب إليهم، فإذا وقعنا بين خيارين، خيار التزام قداسة التاريخ والمؤرّخ، وخيار التزام قداسة الأولياء والأصفياء، فإننا اختارنا الخيار الثاني، طلباً لرضا الله ورسوله والأئمة المعصومين عَلَيْهِ السَّلَامُ ..

فإن وقّعنا في ذلك، فهو فضلهم ومنهم وفيضهم وبركاتهم، وإلا فنستغفر الله ونسأله أن يعطينا أجر من أحسن عملاً، إنّه عفوّ جواد كريم، وهو نعم المولى ونعم النصير.

* * * * *

ونودّ التنويه هنا، أنّ هذه المجموعة من الدراسات عن المولى الغريب عليه السلام قد طبعت جميعاً من قبل كلّ عنوان على انفراد سوى البحث عن «وقائع دخوله عليه السلام الكوفة»، فإنّه يطبع لأول مرة.. بيد أننا جمعناها أخيراً استجابة لطلب بعض الأخوة المؤمنين، بعد مراجعة عجلى سريعة أجرينا فيها شيئاً من التنقيح والتصحيح.

* * * * *

قبل الختام، أودّ أن أتقدّم بالشكر الجزيل والثناء العاطر الجميل لكلّ أشقائي وأهلي وإخوتي المؤمنين الذين تابعوني وشجّعوني وحثّوني على مواصلة السير الحثيث في هذا الوادي الوعر المسبح الخطير.. وأبتهل إلى الله السميع العليم الودود الغفور أن يتغمّد الحاج محمد حسين فيض فر- خادم الإمام الحسين عليه السلام حياً وميتاً - برحمته الواسعة ويحشره مع سيّد الشهداء وأصحابه ويرزقه جوار المولى الغريب عليه السلام في أعلى عليّين، إنّه سميع الدعاء..

* * * * *

ونرجو من الله السميع العليم أن يتقبّل منّا هذا القليل، وينفعنا به ووالدينا يوم لا ينفع مالٌ ولا بنون ولا خليل، ولا يحرمنا وأزواجنا وذريّاتنا خدمة زين السماوات والأرضين سيّد الشهداء الحسين عليه السلام في الدنيا

والآخرة، ومحشرنا في ممالك مولانا الغريب وعبيده المرضيين، ويجعل
 عملنا وحبنا واعتقادنا فيما يرضيه ويرضي النبي الأمين ﷺ وأمير
 المؤمنين عليه السلام وذريته الطاهرين المعصومين عليهم السلام، بحق مولانا مهيج
 أحزان يوم الطفوف وأخته الطيبة فاطمة المعصومة عليها السلام.

اللهم اغفر لنا ولوالدينا ولأزواجنا وذرياتنا وإخواننا المؤمنين،
 وعجل فرج ولي أمرنا، الطالب بدم الغريب المظلوم حيّاً وشهيداً مسلم
 ابن عقيل عليه السلام، آمين رب العالمين.

المدخل (١)

(١) كنت في سفر إلى مدغشقر فنزلت في بيت حبيبي وابني العزيز عرفان محمد حسن مازنبا حفظه الله وسدده ورعاه، في العاصمة تناناريفو، فعن لي في ليلة أن أسود لنفسي وريقات أرسم فيها منهج العمل، وأكون على بينة من أمري وأنا أتعامل مع التاريخ وأعالج موادّه، فكتبت هذه السطور، فلما اطلع عليها بعض الإخوة أشاروا عليّ بطبعها، فطُبعت كـ «مدخل» في بعض الدراسات، وارتأينا تقديمها في بداية هذه المجموعة، ليعلم القارئ أن عملنا ليس اعتباطياً ثبت ما نهوى ونردّ ما لا نهوى، إذ أن متابعة الهوى والهواجس والاستجابة للذاتيات وفورة الغليان والانفعال في مثل هذا الوادي المسبع خطر جسيم على دنيا الإنسان وآخرته.

ثمّ لا يقال بعد ذلك: إن مناقشة التاريخ والمؤرّخ يودي بنا إلى التشكيك في كلّ الأوليات، وربما سبّب ذلك نشر بذور الشكّ في قلوب الناس في ما يرويه التاريخ عن سيرة أهل البيت عليهم السلام، فإننا لا نشكّ ولا نناقش ولا نردّ إلا ما ←

يمكن وضع المعالم والشواخص ورسم الحدود التي يمكن أن تضبط حركتنا على صفحات التاريخ وتجعلنا نقبل أو نردّ أو نتوقّف ونحن واثقون في كلّ حدث يتعلّق بتاريخ أهل البيت عليهم السلام عامّة وسيدّ الشهداء عليه السلام خاصّة ومولانا مسلم بن عقيل عليه السلام على الأخصّ. وهذه الحدود والضوابط ربما تداخلت بعضها ببعض غير أنّنا فصلناه لتوضيح البيان أكثر، ومنها:

أولاً: اتهام النصّ التاريخي

النصّ التاريخي المجرّد عندنا متّهم وقابل للمناقشة حتّى تثبت صحّته بغضّ النظر عن السند..

إذ أنّنا لم نرمسوّغاً شرعياً ولا عقلياً ولا عرفياً لتقديس المؤرّخ - بما

نحسبه لا ينسجم مع كلمات أهل البيت عليهم السلام وما غدّونا به من شهد العقائد الحقّة التي تسالم عليه الشيعة كباراً وصغاراً جيلاً بعد جيل، والأصل في ذلك أنّ العقيدة بكتّياتها وخطوطها العريضة وتفصيلها وجزئياتها لا بدّ أن تكون حاکمة على كلّ علم ورأي وفهم ومهيمنة على جميع الأفكار والاستنتاجات والنتائج..

ونحن نعلم أنّ ما كتبناه مختصر ربما يكون مخلاً بيد أنّه يكشف شيئاً عن معالم الطريق، ونرجو من الله التوفيق للتوسّع والتفصيل واستقصاء الشواهد واستعمال طريقة الاستدلال.

هو مؤرّخ - سواء كان مؤلفاً أو راوياً.. بل إنّما رأينا من خلال التتبّع والممارسة خلاف ذلك تماماً، ورأيناه قاسياً فجاً مدّلساً ممّوهاً متلاعباً مزيفاً، يروي الحدث كما يحلّو له سواء بحسن نيّة أو بسوء نيّة، وسواء كان عامداً أو عن غير عمد، ويكفي أنّه بشرٌ غير مسدّد بتسديد خاصّ من الله، يقبل الخطأ والسهو والنسيان والعصيان.. فضلاً عن ارتباطه الوثيق وعلاقته اللصيقة بالسلطان والتزامه بلاط الطغيان وركضه لاهثاً في ركب الملوك والحكّام..

ويبدو أنّ هذا واضحاً لكلّ من تصفّح أوراق التاريخ وجاس خلال أروقته وفتح مغالق عباراته وصياغاته وتراكيبه وحدّق في مشاهدته وصوره، ونظرياً معانٍ إلى معالنه وشواخصه ومرتكزاته.. فلا حاجة لإطالة الكلام في الاستدلال عليه، ولمن احتاج الدليل أن يراجع بنفسه أو يلحظ ذلك في موضعه، فليس هذا محلّ الإطناب والتفصيل.

ولا يخفى أنّ كلامنا يتركّز على المؤرّخ وراويّه، أمّا إذا كان ثمة عالم من علماء الدين الحقّ قد كتب في التاريخ، فإنّ له مقامه ومنزلته واحترامه وتقديره الخاصّ الذي يليق به ويستحقّه، بيد أنّه يبقى في حصّة التاريخ يروي عن المؤرّخ، وتبقى مادّته التي يحزّرها مادّة تاريخيّة، ولسنا نعهد مؤرخاً من هذا النمط في القرون الأولى، وإنّما هم متأخرون جميعاً، إلّا إذا جعلنا كتاب «سليم بن قيس» مادّة تاريخيّة، فإنّه سيكون أقدم

نصّ تاريخي في الإسلام على الإطلاق، غير أنّه يحمل روح الحديث والرواية ونورهما، بل هو كلّ كذلك، بعد أن قال سيّد الساجدين وزين العابدين عليه السلام أنّه حديثنا نعرفه..

ثانياً: السند

لكلّ علم قوانين وضوابط وأدوات وموضوع تدور حوله مسائله وجزئياته وتفصيله، وله أصوله وأجواؤه ونفسيّاته وتأثيراته وتأثيراته.. ولا يصحّ توظيف قوانين علم وأدواته في علم آخر، إلّا إذا كان ثمة اشتراك واتّحاد في الموضوع.

وهنا نريد الإشارة من بعيد إلى أنّ التاريخ وأسانيده وطرق إثبات الحدث أو الحقيقة التاريخيّة يختلف تماماً عن علم الدراية والفقه والأصول.. فالشواخص والموازن الفاعلة في الفقه لإثبات الحكم الشرعي لا يصحّ تحكيمها في مجال التاريخ وإعمال نفس الضوابط والارتكاز إلى ذات الأصول الفنّيّة «المتشدّدة» المعمول بها في الفقه بغية الوصول إلى الحكم الشرعيّ الإلزامي..

فإنّ لكلّ واحد من هذه العلوم طرقه ووسائله للوصول إلى المعلومة المبتغاة فيه..

بل ربما كانت الموازن تختلف في نفس العلم الواحد، إذ أنّ التشدّد السندي المفروض في إثبات الحكم الشرعيّ الإلزامي بشقيّه لا تكون

فاعلة عند إثبات الحكم الترخيصي- حيث تتفعل رايات «من بلغ» ويرتكن إلى قاعدة «التسامح بأدلة السنن»..

من هنا يعدّ التداخل الذي يحصل في تحكيم قواعد «التشدد السندي» في تمحيص الحدث أو المعلومة التاريخية خطأً غير موفّق ولا مستقيم وغير منتج، بل سيكون عقيماً..

ولو أردنا إعمال مقاسات «التشدد السندي» والتركيز على ميزان «الجرح والتعديل» في معالجات التاريخ لتبدّد التاريخ ومحيت صفحاته ولما سمعنا بما جرى في كربلاء، إلّا عمومات ونوادر ربما صمدت في حقل الدراسات السندية إذ أنها وردت بأسانيد صحيحة عن أهل البيت (عليه السلام) ..

أما ما رواه ابن سعد والدينوري والطبري وابن أعثم وأضرابهم، فلا يلتفت إليه والحال هذه، فضلاً عن أن يكون مستحقاً للمعالجة ليُرى ما إذا كان يصمد أو لا! إذ أنّ أخبارهم ورواياتهم بين مرسلة إرسالاً أو مسندة إلى جماعات يكثرفيهم المجهول والكذاب والمطعون، بل ربما كان فيهم أولاد البغايا وقتلة أولاد الأنبياء (عليه السلام) ..

فلا بدّ إذن من الارتكان والرجوع إلى موازين المؤرّخ والناقد المتخصّص في التاريخ، ولانلج التاريخ بسوابق ذهنية مثقلة بالمقاسات والموازين التي حملناها من علوم الشريعة كالفقه والأصول والدراية

والرجال...

ويمكن تقديم إطار واسع يحتوي جميع الأسانيد، فلا نحتاج بعدها التدقيق في كل مفردة من خلال استيعاب حالات البحث السندي عموماً:

الحالة الأولى: صحة السند والمتن

في هذه الحالة نفترض صحة السند، وصحة المتن ^(١) وفق الموازين المقررة التي ستأتي في ثنايا هذا المدخل، فيكون السند قرينة وشاهداً على الصحة ومقوياً لها.

الحالة الثانية: صحة السند وفساد المتن

أن يكون السند التاريخي صحيحاً باعتبارات المؤرخين، والمتن فاسداً وفق الموازين المقررة، فلا قيمة للسند ولا للمتن.

الحالة الثالثة: صحة المتن وضعف السند

أن يصح المتن ويضعف السند، فلا قدرة للسند حينئذٍ على

(١) نقصد بالسند والمتن هنا السند والمتن التاريخي، ولا نقصد بها أسانيد الحديث الشريف، والروايات الواردة عن أهل بيت العصمة عليهم السلام، فإن هذه الأسانيد والمتون بحوث وموازين خاصة بها عند الفقهاء وعلماء الدراية، ولنا فيها كلام يختلف تماماً عما نذكره هنا.

إسقاط المتن لتصحيحه وفق الموازين وموافقتة لها، وغاية ما يفيد ضعف السند تشكيل ثغرة يمكن لمن أراد التشكيك أن يستند إليها، وربما كانت أكثر أخبار التاريخ من هذا القبيل، إذ أنّ الأسانيد لا تصمد أمام ضوابط التشدد السندي المعمول بها، وما أكثر الأحداث التي يرويها الأعداء والمجرمون الذين شاركوا في قتال المولى الغريب عليه السلام وسيّد الشهداء عليه السلام، فلو اقتصر الباحث على الأخبار الصحيحة سنداً لما بقي لنا من كربلاء وأخبارها إلا أقلّ القليل، إن بقي!

الحالة الرابعة: فساد المتن والسند

أن يكون السند والمتن فاسداً، فيكون فساد السند قرينة وشاهداً على فساد المتن.

ثالثاً: ارتكاز المؤرّخ على بنائه العقلي

إنّ المؤرّخ مهما كان لابدّ أن يكون مرتكزاً إلى سوابقه ومرتكزاته وبنائه العقلي والعقائدي والنفسي وغيرها من المؤثّرات في إدراك الحدث وفهمه وتقييمه وطريقة صياغته، سواء كانت مرتكزاته اعتقاديّة أو تربويّة أو نفسيّة، أو بدوافع الأهواء والطمع بما عند السلطان أو غير ذلك.

ولا تتصوّر ما يسمّونه بالموضوعيّة والتجرّد في طريقة صياغة

الحدث عند غير المعصوم، ولو وجد فهو أندر من النادر، بل ربما لا يكون أبداً، فكلّ من يشهد حدثاً ويرويّه، فهو يشهده ويرويّه بمنظاره الخاصّ ووفق موازينه ومدركاته ومرتكزاته ومستوى فهمه.

ويحقّق لمن يقرأ الحدث ويريد أن يصوغه بطريقة الخاصّة البحث والتأمّل لاكتشاف مرتكزات الراوي، ثمّ مناقشته وفق مرتكزاته العقائديّة التي يعتقدها - هو كمتلقٍ - حقّاً، ثمّ يصوّره ويصوغه من جديد، أو يتوقّف فيه أو يرفضه ويردّه، بناءً على موافقته أو مخالفته لمعتقداته ومرتكزاته.

رابعاً: أخذ ما وافق الشروط المقرّرة

إنّ المؤرّخ وإن كان متّهماً فيما يرويّه لاختلاف المرتكزات والعقائد، أو اتهمه بالكتابة للسلطان الجائر على الأقلّ، فإنّه وراويه لا يعدّ كاذباً مطلقاً، بحيث لا يجوز الأخذ عنه بتاتاً، كما لا يفترض فيه العصمة، فربما نقل لنا خبراً وحدّثنا حديثاً يخلط فيه الواقع بما يحقّق رضا السلطان وأغراضه، أو يوافق معتقدات المؤرّخ وأهواءه، والحسم في التمييز العرض على الثوابت المقرّرة، فما احتواه الخبر ممّا يوافقها فهو مقبول، وما خالفها فهو متوقّف فيه أو مردود.

وبناءً على هذا ربما يكون في الخبر الواحد ما يردّ وما يقبل وفق الموازين المقرّرة لا اعتباطاً وتشهياً وتحكماً للهوى.

خامساً: طرح ما خالف الأصول الاعتقاديّة

تعدّ المتبنّيات العقائديّة والأصول الموضوعية في العقيدة كبدهيّات ترجع إليها كلّ علوم الدين وما يتعلّق بتاريخ الإسلام وشريعته... فإذا ورد أيّ حدث يخالف صراحة ما نعتقده من ضروريات المذهب الحقّ، ويكون غير قابل للتأويل بما ينسجم معها، فهو مطروح: مثاله: ما يرويه معاوية من اختلاف وهجران بين أمير المؤمنين وسيّد نساء العالمين فاطمة الزهراء عليها السلام في شؤون الدنيا، وأنّ النبي صلّى الله عليه وآله أصلح بينهما، فهذا الخبر مرفوض مردود نضرب به عرض الجدار بقوة ولاكرامة، لتعارضه مع اعتقادنا الضروريّ بعصمتها، وباجة الخلق إليهما، وعدم احتياجهما إلى أحد ^(١) على فرض أن

(١) في المناقب لابن شهر آشوب، تحقيق السيّد علي السيّد جمال أشرف: ٨ / ٦٠: ابن عبد ربّه الأندلسي في العقد عن عبد الله بن الزبير في خبر عن معاوية بن أبي سفيان قال: دخل الحسن بن علي على جدّه صلّى الله عليه وآله وهو يتعثر بذيله، فأسرّ إلى النبيّ سرّاً، فرأيته فتغيّر لونه، ثمّ قام النبيّ حتّى أتى فاطمة فأخذ بيدها فهزّها إليه هزّاً قوياً، ثمّ قال: يا فاطمة إنيّك وغضب عليّ، فإنّ الله يغضب لغضبه ويرضى لرضاه، ثمّ جاء عليّ فأخذ النبيّ بيده ثمّ هزّها إليها هزّاً خفيفاً ثمّ قال: يا أبا الحسن إنيّك وغضب فاطمة، فإنّ الملائكة تغضب لغضبها وترضى لرضاه، فقلت: يا رسول الله مضيت مذعوراً وقد رجعت مسروراً؟! فقال: يا معاوية كيف لا أسرّ وقد أصلحت بين اثنين هما أكرم الخلق.

قال ابن بابويه: هذا غير معتمد، لأنهما منزّهان عن أن يحتاجا أن يصلح بينهما رسول الله صلّى الله عليه وآله.

ويحسن نقل تعليلتنا على الخبر في المناقب:

لم أعر على الخبر في نسخة العقد الفريد المتوقّرة لديّ.

ثم إن الخبر منقول عن العقد، وهو مصدر عامّي لا يعتمد عليه فيما خالف قداسة أهل البيت عليهم السلام.

وروي الخبر ابن الزبير عن معاوية بن أبي سفيان، وهي أسماء منطفئة ميتة، يفوح منها العفن والحقد على أهل البيت عليهم السلام، ومن سعى في إطفاء نور الله وقتل أمير المؤمنين عليه السلام واغتاله لا يتحرّج عن اغتيال شخصيّة الإمام والطعن في عصمته، أعادنا الله من شرور أعداء أمير المؤمنين وسيد الوصيّن وبعل سيّدة نساء العالمين عليها السلام.

أضف إلى ذلك ما سينقله المؤلّف بعد سطور عن ابن بابويه أنّه قال: «هذا غير معتمد، لأنهما منزّهان عن أن يحتاجا أن يصلح بينهما رسول الله صلّى الله عليه وآله»، وذلك لخلقهما العظيم، وهما أكرم الخلق فضلاً عن عصمتهما عليهم السلام.

ويبقى اعتذارنا للمؤلّف رحمه الله أنّه بنى كتابه على التنزّل وإلزام الخصم، وإلا ففي غيرها من الأحاديث غني وكفاية، وقد جعلت تلك الأحاديث رضا السيّدة المقدّسة الصديقة المعصومة رضا الله فيما جعل هذا الخبر رضاها رضا الملائكة!!! ومع ذلك فإنّ الملائكة لا تفعل شيئاً إلاّ عن أمر الله - تبارك وتعالى - فهي بالتالي لا تغضب إلاّ لغضب الله ولا ترضى إلاّ لرضا - عزّ وجلّ - فالخبر نفسه يؤكّد عصمتها حيث أنّ غضبهما غضب الله ورضاها رضا الله، فكيف يصدر منهما ما نسب إليهما؟! ←

يكون المصلح بينهما غير النبي ﷺ...

سادساً: أن لا يخالف التاريخ حديث أهل البيت عليه السلام

يشترط في الخبر التاريخي أن لا يخالف الحديث الشريف المروي عن أهل بيت العصمة عليه السلام، فإن الحديث المروي عنهم بطرقنا - بغض النظر عن كونه نصاً معصوماً وما يترتب على ذلك - فإنه يبقى في أقل التقادير نصاً تاريخياً ينتسب إلى المعصوم عليه السلام، فإذا تعارض المؤرخ كابن سعد والطبري والبلاذري وغيرهم مع ما يرويه الكليني والبرقي والصدوق وغيرهم عنهم عليه السلام، فإننا نقدّم ما يرويه أعلامنا، ضمن الأصول المقررة.

سابعاً: أن لا يخالف المسلّمات القطعية

يشترط في النص التاريخي أن لا يخالف مرتكزاتنا القطعية بالأشخاص والوقائع، فلوروى لنا التاريخ ما يفيد - ولو إشارة - جبن

ولكن المؤلف نقل الخبر ليحتج على معاوية وأنصاره بما رواه هو نفسه من جعل رضا الله في رضا أمير المؤمنين علي عليه السلام ورضا فاطمة عليها السلام، لأن الملائكة لا يفعلون إلا ما يؤمرون، فهم عن أمر ربهم يصدرن، وبهذا القدر نقبله من معاوية، أما باقي الخبر فهو من نسج «نكراء» بني أمية التي شربها معاوية من دماء آكلة الأكباد وأقرب الرجال وأكثرهم حظاً منها أبي سفيان. (انتهى).

أما الخبران اللذان نقلهما الشيخ الصدوق رحمه الله وعلّق عليهما فكلاهما عاميَّان أحدهما عن أبي هريرة، والآخر عن حبيب بن أبي ثابت..

أحد الأولياء أو فراره من الزحف غير متحيز إلى فئة، أو ارتكابه ما لا يليق بالمؤمن سيما إذا كان الخبر غير قابل للتأويل بما يناسب شخصية ذلك الولي.

أو يروي لنا التاريخ ما يخالف المسلم التاريخي الثابت عن أهل البيت عليهم السلام كتقديم شخص، أو رضاهم عنه، أو سخطهم عليه.

فمثلاً ثبت لنا تاريخياً تقييم سيد الشهداء عليه السلام لمولانا مسلم بن عقيل عليه السلام، وأنه ثقته ومعتمده، وشهد له بالفضل، فكل ما سأل به لعاب القلم التاريخي مما يخالف هذا التقييم والشهادة فهو مرفوض مردود.

مثال آخر:

إن معرفتنا القطعية بشجاعة مولانا مسلم بن عقيل عليه السلام وإقدامه وشهامته ووفائه وبطولته وثباته واستقامته، وغيرها من محامد الأخلاق ومعاليها، وجميل الصفات وساميتها، فإذا ورد في التاريخ ما يدعول للريب فيها أو الطعن، أو محاولة إثبات خلاف ذلك من غير إمكان التأويل في تعبير المؤرخ، فهو مرفوض مردود إلى نحر قائله من دون خوف ولا تردد، فالقداسة والحصانة ثابتة لأولياء الله، والتجاسر عليهم أو رميهم بما لا يليق بهم عاقبته في غاية الخطورة، ولا يأمن العقاب عليه، والحال أن المؤرخ لم تثبت له قداسة ولا حصانة، فهو عارٍ عنها خالٍ منها حتى

نتبين ذلك فيه.

ومثال على الوقائع: ثبت تاريخياً وشرعياً أنّ سيد الشهداء الحسين (عليه السلام) استشهد يوم العاشر من المحرم الحرام، فأَيّ نصّ تاريخي خالف هذا المسلم التاريخي لا قيمة له، ولا يصحّ الاعتماد عليه والاستدلال به.

ثامناً: أن لا يكون دفاعاً عن الظالم

أن لا يكون في كلام المؤرخ ما يكون دفاعاً عن ظلم الظالم، وتبريراً لمواقف السلطان الجائر الحاكم، وطمساً لمظلومية المظلوم، وتصويراً للحدث بما يخدم صاحب البلاط والأجير والمأجور.

ففي مثل هذه الحالات نترث، ثمّ نجمع الشواهد، وندرس القرائن، ونحلّل المواقف، فربما كان أصل الحدث قد حصل وفعله السلطان غير أنّه كان موقفاً يراد له أن يسجل في التاريخ لتحقيق الأغراض المنشودة، فحينئذٍ قد نقبل صدور الحدث بشرط أن يكون ضمن بيان دوافعه بحيث لا يشكّل تركية للظالم، أو إثباتاً لفضيلة له هو عارٍ عنها ممنوع منها.

وكذا إذا حدّثنا التاريخ بما يثبت منقبة لعدوّ الله في موقف يثبت فيه ما لا يليق أو بضدّ تلك المنقبة لوليّ أهل البيت (عليه السلام).

تاسعاً: أن لا يخالف إجماع الشيعة

أن لا يخالف بديهة من بديهيات الشيعة، والمجمع عليه بينهم، وما اتفقوا عليه، بشرط أن يكون المشهور المتفق عليه في الأعصار والأمصاّر غير معتمد على نصّ تاريخيّ معروف، وهو ما قد يطلق عليه بـ«سيرة المشرّعة»، كأن يشتهر عندهم عن طريق التناقل بالصدور كإبراً عن كابر، أو استناداً إلى ما روي عندهم عن طريق أهل البيت عليهم السلام وإن كان بالموازين الفتيّة التخصّصيّة يسمّى ضعيفاً.

فإذا كان إجماعهم واتفاقهم مستنداً إلى نصّ تاريخيّ مؤرّخ معروف، فقيّمته قيمة ذلك النصّ التاريخيّ مضافاً إليه قيمة جديدة تسنده وتجعله أقوى نسبتاً من النصوص الأخرى، وهي قيمة استناد الشيعة إليه.

فقد وردت الأخبار في التاريخ تقرّر أنّ المباشرة لقتل سيّد الشهداء عليه السلام هو سنان بن أنس، كما وردت أخبار تقرّر أنّه شمر بن ذي الجوشن، فاشتهار الثاني عند الشيعة إن كان ناشئاً من الاعتماد على الأخبار الواردة في ذلك فحسب، تكون الشهرة بينهم مرجّحاً قوياً.

أمّا إذا كان النصّ المعتضد بالمشهور عند الشيعة يلزم منه إحدى المحاذير السابقة، ويؤدّي إلى اختراق الحدود المرسومة، فحكمه تماماً حكم أيّ نصّ تاريخيّ آخر، حيث يكون معرّضاً للنقاش، ومحلاً للردّ

والقبول، وخبراً قابلاً للتصديق والتكذيب.

عاشراً: استكشاف بعض الأحداث من الوقائع

يمكن لمن قرأ التاريخ بتأمل أن يجمع عدّة أحداث يرويها المؤرّخون متفرقة ضمن عرض صورة واحدة، فيجعلها مقدّمات لاستخلاص نتيجة تكون قوتها بقوة مقدّماتها.

فإذا كانت الأحداث متّفقاّ عليها وعلى نسبة عالية من القوّة على صفحات كتب المؤرّخين تكتسب النتيجة نفس القوّة والمتانة بالرغم من عدم ذكر المؤرّخ لها.

فربما أخفاها المؤرّخ عامداً قاصداً لتحقيق غرض ما، أو غفل عنها دون قصد، أو أعرض عنها اختصاراً وما شاكل.

مثال:

المقدّمة الأولى:

روى المؤرّخون أنّ سيّد الشهداء عليه السلام جعل فسطاطاً في مقدّمة مخيمه وجعله للشهداء.

المقدّمة الثانية:

روى المؤرّخون أنّ سيّد الشهداء عليه السلام كان ينقل الشهداء، سيّما الشهداء من آل البيت عليهم السلام إلى ذلك الفسطاط.

المقدّمة الثالثة:

إنّ الشهداء كانوا يحملون إلى المخيم ورؤوسهم على أبدانهم، ولم يستشهد بقطع الرأس منهم إلّا أفراد معدودين، وربما كانوا خمسة لا أكثر.

المقدّمة الرابعة:

إنّ ابن سعد - لعنه الله - أمر بقطف الرؤوس صباح اليوم الحادي عشر ليجهّزها ويرفعها على الرماح.

المقدّمة الخامسة:

إنّ العلويّات من بنات أمير المؤمنين ومخدّرات الوحي والرسالة ونساء الإمام الحسين عليه السلام كنّ في موضع مخيم أبي عبد الله عليه السلام، ولم يبعدن ولم يخرجن من كربلاء إلّا مع الرؤوس حيث حُمِلت إلى الكوفة سبائاً.

النتيجة:

إنّ القوم هجموا على مخيم الحسين عليه السلام بعد صدور أمر اللعين، وجعلوا يقطعون رؤوس الشهداء على مرأى من العلويّات والنساء، فيجلس اللعين على صدر علي بن الحسين الأكبر أو القاسم بن الحسن عليه السلام وو.. ويعمل خنجره أو سيفه أو سكّينه بعنف في عنق

الشهيد ويكسر عظام رقبتة حتّى يجتزّ رأسه، وأمّه وباقي العلويّات وقوف ينظرن إلى هذا المشهد المروّع الذي يزيل الجبال عن مستقرّها، ويصدع الفؤاد، ويزهق النفس، ويستلّ الروح استلاماً...

يا لها من مصيبة ما أعظمها! غير أنّها لم يذكرها أيّ واحد من المؤرّخين - حسب فحوصنا -، فهذا الحدث العظيم الجسيم مستنتج من تلك المقدمات، وليس لأحد أن يعتبره لسان حال، أو خيال، وإنّما هو واقع أدّت إليه الوقائع وأثبتته المقدمات.

الحادي عشر: تفصيل المختصر

ربما اختصر المؤرّخ حدثاً كاملاً أو أحداثاً في عبارة لأيّ غرض من أغراضه، وحينئذٍ يمكن فكّها والاستفادة منها، ونشر ما في بطنها، ليخرج منها عسكر كامل أحياناً، أو حرب بكلّ تفاصيلها، وسيأتي في ثنايا الكتاب مثل لذلك ^(١).

الثاني عشر: فكّ رموز كلام أهل البيت عليه السلام

يلاحظ أنّ أهل البيت عليه السلام عوّدونا على التعبير عن الأحداث التاريخيّة بعبارات مختصرة جدّاً، أو أشاروا إليها بأسلوب التشفير والترميز، أو دمج الأحداث الضخمة الكبيرة وضغطها في رموز وألفاظ

(١) انظر: تقسيمات قطعات عسكريين زياد، في بحث «معركة القصر».

جزلة قويّة عميقة لا تتعدّى الجملة المكوّنة من ثلاث أو أربع كلمات، بل قد تكون كلمة أو كلمتين، بيد أنّها تحكي حدثاً يستوعب صفحات كثيرة إذا ما فُكّت الرموز، وذلك للتقيّة أو لأسباب أخرى:

قولهم: «سبينا سبي ترك وكابل»، أو «سبينا كما يسبي الديلم».

أو قولهم: «ذبح جدّي الحسين عليه السلام كما يذبح الكبش».

أو قول الرضا عليه السلام: «يوم الحسين عليه السلام أذلّ عزيزنا»...

أو خطب الصديقة الصغرى عليها السلام، وخطب سيّد الساجدين عليه السلام، وخطب الإمام سيّد الشهداء عليه السلام وهكذا..

فإنّ التأمل في مثل هذه العبارات المختصرة المكبوسة المشقّرة ومتابعتها من خلال الملازمات واستكشاف وجوه الشبه والغوص في أبعاد التمثيل يرسم صوراً ويحكي أحداثاً جساماً يتمنّى المؤمن أن يموت ويحرق ألف مرّة ولا يسمعها..

الثالث عشر: ملاحظة تفرّق الحدث

يلاحظ تفرّق الحدث عند المؤرّخ أحياناً كثيرة، فهو يستعرض حركة مولانا مسلم بن عقيل عليه السلام مثلاً من مكّة إلى الكوفة ضمن عرضه لحركة قيام سيّد الشهداء عليه السلام، فيذكر انطلاقه من مكّة وهو يتحدث عن أيام إقامة سيّد الشهداء عليه السلام في مكّة، ثمّ يغيب المشهد أحداث حركة المولى مسلم بن عقيل عليه السلام ويستمرّ في الحديث عن قيام سيّد

الشهداء عليه السلام وغيره من الأحداث، ثم يعود للحديث عن المولى الغريب عليه السلام، مما يؤدي إلى تشتت الذهن، وفتح المجال لتسريب الأكاذيب أو التلاعب بالحدث.

الرابع عشر: الاستناد إلى غير المصادر العربية

للدارس أو الباحث والمحقق أن ينفلت من طوق الاقتصار على المصادر العربية للوصول إلى الأحداث والوقائع أو الحقائق التاريخية، فإن لكل أمة طريقها إلى التاريخ، وربما سجلت بطرقها أحداثاً لم تكن في مرمى النظر للراوي الذي يعتمد المؤرخ الكاتب بالعربية، أو أنه رصد ما لم يهتم به الراوي الآخر، أو لم يلتفت إليه، فما رواه المؤرخ البريطاني وسجله من «مطر السماء دماً في بريطانيا يوم عاشوراء» لا يمكن للمؤرخ الذي يعيش بالجزيرة أو العراق أن يسجله في نفس يوم عاشوراء من تلك السنة، لأنه خارج عن مرمى نظره ونظر راويه... فلماذا لا نعتمد أو - على الأقل - نستشهد بالمصادر الفارسية والتركية والأردوية، بل حتى الإنجليزية والفرنسية وغيرها من اللغات والأمم.

قال الشيخ المحقق عبد الواحد المظفر رحمته الله في كتابه بطل العلقمي: «وكأنّي أسمع بعض القراء لكتابنا هذا من منتحلي الثقافة ومدّعي التنوير، وزمرة من التجدديين الذين لا يريدون إثبات

فضيلة لأهل هذا البيت النبويّ المفخّم، وفئة من المتفقهين بلا معرفة وتمييز، وهناك فنام يضرعون لأوهام وخيالات يسمونها بالعقول، والعقول بريئة من كلّ فكر سطحيّ وخيال وهمي، سيقولون إذا مرّوا بهذه الحكايات: كيف اعتمد مؤلف كتاب "بطل العلقمي" في نقل هذه الحكايات على الكتب الفارسيّة والتواريخ الأعجميّة ومؤلفوها يتمسكون بالواهيات ويعتمدون المراسيل...، ولو شهد العباس بن عليّ عليه السلام صفين وكان في صفّ المحاربين لذكره المؤرّخون أساتذة فنّ التاريخ كالطبري والجزريّ والمسعوديّ وأضاربهم؟!!

فيظنّ من لا معرفة له ولا إمام بحقائق الأشياء أنّ هذه المقالة مبتنية على أساس محكم وبناء مرصّف في ركن وثيق، وهي لدى التحقيق على جرف منهارق قد جرفه السيل، وعلى رأس منار متداعي الأركان قد زعزعتة العواصف وهدّته القواصف.

المؤرّخون الذين لهم شهرة لم يضبطوا كلّ حادثة، ولم يقفوا على كلّ قضية من القضايا التاريخيّة، فبعض الوقائع قد وصل إليهم نبؤه وبعضها لم يصل، والذي لم يصلهم أكثر ممّا وصل إليهم، وقد فات الطبري ما استدركه عليه الجزريّ، وذكر المسعوديّ ما لم يذكره اليعقوبيّ، وهكذا، فما وصل إليهم فقد

ذكروه، وما لم يصل إليهم لم يبق في طي الخفاء المظلم، بل برقت بارقة من ذلك العلم فأضاء لطالبيه وأسفر لرأئديه، فاقتضبوا منه شارد، واحتبلوا قنيصه، فكان كالمستدرك على من فاته العلم به.

وقد استدرك الحاكم النيسابوري على صحيحي! مسلم والبخاري من الأحاديث الصحيحة على شرطهما ما ساوى حجم الكتابين معاً، والصحاح! الباقية الأربعة أو الثمانية بناءً على جعل الصحاح! عشرة عندهم كالاستدراك أيضاً على الصحيحين، هذا من ناحية أهل السنة والجماعة. وأما من ناحية أهل التشيع فقد استدرك الميرزا النوري على وسائل الشيعة للحرّ العاملي ما ساوى حجمها.

فليكن ما رواه هؤلاء العلماء من الأعاجم كالمستدرك على التواريخ المشهورة، وليست بأقل من متفرّدات الأغاني لأبي الفرج» ... (١).

وقد رأينا الطبري يروي الكثير الكثير ممّا لم يذكره السابقون له، ويفصّل في أحداث تفصيلاً مطوّلاً في حين اختصرها ابن سعد والدينوري في سطور..

النتيجة

تبين ممّا مرّ أنّ التّروالشاقول الذي يقاس إليه التاريخ فيردّ إليه الزائد ويلحق به الناقص، والميزان الذي على أساسه يقوم الحدث التاريخي المرويّ إمّا هو:

١. كتاب الله.

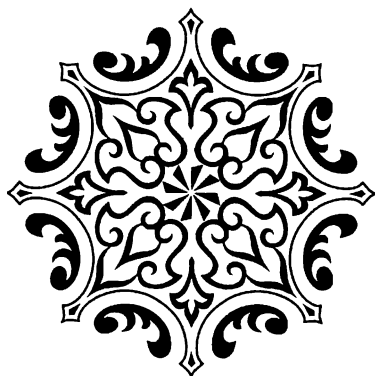
٢. سنة النبي صلّى الله عليه وآله والأئمة المعصومين عليهم السلام.

٣. الاعتقادات الضرورية الحقّة.

٤. المرتكزات الموافقة للحقّ.

فما وافق كلام أهل البيت عليهم السلام أو لم يخالفه قبلناه (ومنه تتألف منظومة العقائد والمسلّمات والمرتكزات الحقّة).

وما خالف ذلك فهو ساقط لا يعتمد عليه ولا يعتدّ به، ولا يستدلّ له.



مسلم بن عقيل عليه السلام

ثائر أم سفير؟!

المقدمة

قبل الدخول في أيّ دراسة ينبغي أن تحدّد المباني فيها، وتعرف المقاييس التي على أساسها يقوم البحث، وتقوم المواقف والأدوات التي يمكن أن تستخدم في معرفة الأحداث، وهكذا بقيّة مستلزمات الباحث والمحقّق والدارس والمتعقّب لحالة أو حادثة أو ثورة أو غيرها من المفردات التاريخية أو الاجتماعيّة.

وقد رأينا في السنين الأخيرة كتاباً ومحقّقين لهم وزنهم العلمي والتحقيقي يراقبون مجريات الأحداث في الكوفة أيام تواجد المولى مسلم ابن عقیل - عليه وعلى أبيه وآله آلاف التحيّة والسلام - ويتناولون الأحداث ويقيمونها تقييماً تقشعر له الجلود، وتنتفض له حميّة الغيور، ولطالما عبّروا في سياق حديثهم عن مصير حركة ثقة الحسين عليه السلام ومعتمده بـ «فشل الثورة».

فهم يقَدِّرون أنَّ مسلماً عليه السلام كان ثائراً، وجرى به القدر والقضاء إلى نتيجة فاشلة - بأيّ معنى فسّرنا الفشل - ثمّ يحاولون أن يسدّوا الثغرات في ما يحسبونه فشلاً، ويعالجوا الموقف ويبرزوا لسيدنا مسلم بن عقيل عليه السلام مواقفه.

هذا عند الكتاب والمحققين المؤمنين الملتزمين المتميّزين بدرجات عالية من الولاء والتسليم لأهل البيت عليه السلام، العارفين بقدسيّتهم وجلالة قدرهم وتسديدهم الربّانيّ.

وربما كان ثمة مَنْ يراقب مسلم بن عقيل عليه السلام مراقبة الناقد، ويقايسه بموازينه التي يرتضيها هولتكون حكماً وميزاناً يرجع إليه في تقييم مواقف سيوف الحسين عليه السلام.

ومن أهمّ المواضيع والمحاور التي ينبغي تحديدها قبل الدخول في أيّ بحث يتعلّق بحياة سيّدنا ومولانا مسلم بن عقيل عليه السلام هو تحديد مهمّته التي أرسل من أجلها إلى الكوفة.

وقد حاولنا في هذه الوجيزة استنطاق النصوص بحثاً عن مهمّته، والله الموقّق والمستعان.

أسباب ضرورة معرفة مهمة مسلم ﷺ

مما لا يمكن الاستغناء عنه في دراسة الفترة التي تواجد فيها ثقة الحسين ﷺ في الكوفة هو تحديد مهمته التي كلفه بها سيّد الشهداء ﷺ، وأنيطت به من قبل إمام زمانه، وذلك لعدّة أسباب:

السبب الأوّل: تفسير المواقف وفهمها

إنّنا نعرف مسبقاً إيمان مسلم بن عقيل ﷺ، ومدى التزامه حرفياً بأوامر سيّد شباب أهل الجنّة وانضباطه وتسليمه، وقد ورد في زيارته: «أَشْهَدُ أَنَّكَ قَدْ أَقَمْتَ الصَّلَاةَ وَآتَيْتَ الزَّكَاةَ وَأَمَرْتَ بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَيْتَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَجَاهَدْتَ فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ وَقُتِلْتَ عَلَى مِنْهَاجِ الْمَجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِهِ حَتَّى لَقِيتَ اللَّهَ - عَزَّ وَجَلَّ - وَهُوَ عَنْكَ رَاضٍ».

وَأَشْهَدُ أَنَّكَ وَفَيْتَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَبَذَلْتَ نَفْسَكَ فِي نُصْرَةِ حُجَّتِهِ
وَأَبْنِ حُجَّتِهِ حَتَّى أَتَاكَ الْيَقِينُ.

أَشْهَدُ لَكَ بِالتَّسْلِيمِ وَالْوَفَاءِ وَالتَّصِيحَةِ لِخَلْفِ النَّبِيِّ الْمُرْسَلِ
وَالسَّبْطِ الْمُتَنَجِّبِ وَالِدَلِيلِ الْعَالِمِ وَالْوَصِيِّ الْمُبْلَغِ وَالْمُظْلَمِ
الْمُهْتَظَمِ فَجَزَاكَ اللَّهُ عَنْ رَسُولِهِ وَعَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَعَنْ
الْحُسَيْنِ وَالْحُسَيْنِ أَفْضَلَ الْجَزَاءِ بِمَا صَبَرْتَ وَاحْتَسَبْتَ
وَأَعْنَتَ ...

السَّلَامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا الْعَبْدُ الصَّالِحُ وَالْمُطِيعُ لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ صلى الله عليه وآله
وَلَأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَالْحُسَيْنِ عليه السلام ...

أَشْهَدُ أَنَّكَ مَضَيْتَ عَلَى مَا مَضَى بِهِ الْبَدْرِيُّونَ وَالْمَجَاهِدُونَ فِي
سَبِيلِ اللَّهِ الْمُبَالِغُونَ فِي جِهَادِ أَعْدَائِهِ وَنُصْرَةِ أَوْلِيَائِهِ فَجَزَاكَ
اللَّهُ أَفْضَلَ الْجَزَاءِ وَأَكْثَرَ الْجَزَاءِ وَأَوْفَرَ جَزَاءِ أَحَدٍ يَمُنُّ وَفَى بِبَيْعَتِهِ
وَاسْتَجَابَ لَهُ دَعْوَتُهُ وَأَطَاعَ وُلَاةَ أَمْرِهِ.

أَشْهَدُ أَنَّكَ قَدْ بَالِغْتَ فِي التَّصِيحَةِ وَأَعْطَيْتَ غَايَةَ الْمَجْهُودِ ...
أَشْهَدُ أَنَّكَ لَمْ تَهِنْ وَلَمْ تَنْكُلْ وَأَنَّكَ قَدْ مَضَيْتَ عَلَى بَصِيرَةٍ مِنْ
أَمْرِكَ مُقْتَدِيًا بِالصَّالِحِينَ وَمُتَّبِعًا لِلنَّبِيِّينَ فَجَمَعَ اللَّهُ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ
وَبَيْنَ رَسُولِهِ وَأَوْلِيَائِهِ فِي مَنَازِلِ الْمُخْبَتِينَ فَإِنَّهُ أَرْحَمُ

الرَّاحِمِينَ» (١).

* * * * *

فإذا عرفنا مهمته التي أنيطت به بالدقة استطعنا أن نفسرها جميع مواقفه وتحركاته في الكوفة باعتبار أنه لا يتخطى ما رسم له من قبل الإمام المفترض الطاعة عليه وعلى الخلق أجمعين.

وبهذا نستطيع تفسير مواقفه الرشيدة التي يخطأ الكثيرون في تفسيرها وفك رموزها بسبب عدم رؤيتهم أو إغراضهم عن الخطوط التي تميز تلك المواقف، فيظنّها المراقب أو المحقق لا تنسجم مع مجريات الأحداث، أو أنه كان ينبغي أن يكون كذا، ولو كان كذا لكان كذا، وهكذا...

* * * * *

ولنضرب لذلك مثالين كنموذج ليس إلا:

المثال الأول: اقتحام القصر

قضية اقتحام القصر والاستيلاء عليه حيث لم يتعرّض له سيّد ولد عقيل عليه السلام طيلة وجوده في الكوفة، حتّى يوم اجتمع القوم على القصر لإنقاذ هاني بن عروة رضوان الله عليه!

(١) المزار لابن المشهدي: ١٧٩، بحار الأنوار: ٩٧ / ٤٢٦.

فهذا الموقف لا يمكن أن يفهم أو تفك رموزه ما لم نقرّر من قبل مهمة مسلم بن عقيل عليه السلام التي شرفه بها سيّد الشهداء عليه السلام.
فإن كانت مهمّته السفارة، وأخذ البيعة فقط، فإنّ هذا الموقف مفهوم يدركه كلّ عاقل.

وإن كانت مهمّته الثورة! فإنّ تجنّب اقتحام القصر في جميع الفرص المتاحة يبقى سؤالاً يحتاج إلى تفسير...
فكيف نجزم بوجود خطّة لاقتحام القصر، وقد باشر بها مسلم بن عقيل عليه السلام، ونستدلّ لذلك بمجرد وقوع القتال بين الطرفين.
قالوا:

«لا يتردّد المتأمل في المتون التاريخية التي تتحدّث عن نشوب القتال بين الطرفين في القطع بأن الثوار بقيادة مسلم عليه السلام كانوا قد نفّذوا خطّتهم لاقتحام القصر، وأنّهم قاتلوا قتالاً شديداً لتحقيق النصر، كما أنّ قوات ابن زياد قد دافعت عن القصر دفاعاً مستميتاً حتّى المساء، ومن هذه المتون التي تشير إلى ذلك:

قول ابن أعثم الكوفي: "وركب أصحاب عبيد الله واختلط القوم، فقاتلوا قتالاً شديداً...".

وقول ابن طاووس رحمته الله: "واقْتل أصحابه وأصحاب مسلم عليه السلام".

وقول ابن نما: "واقْتتلوا قتلاً شديداً إلى أن جاء الليل" (١).

وغاية ما تدلّ عليه هذه النصوص وقوع القتال بين الطرفين، ولا ندري من أين حصل هذا الحزم القاطع الذي لا تردّد فيه عن وجود خطة لاقتحام القصر، ونسب هذا الحزم للمتأمل في المتون التاريخية، وهي تتحدّث عن نشوب قتال ليس إلا.

والحال أنّ ثمة احتمالات أخرى يمكن أن تظهر بوضوح للمتأمل تفسّر القتال الواقع غير ما ذكره، ووقوع القتال أعمّ من الدفاع عن القصر وقصد اقتحامه (٢).

المثال الثاني: محاولة الاغتيال

إنّنا إذا عرفنا جيّداً مهمّة المولى مسلم بن عقيل عليه السلام وحددناها بالضبط استطعنا أن نحاكم بعض ما ورد في التاريخ على أساس ذلك. فلو قلنا: إنّه كان ثائراً مكلفاً بفتح الكوفة وتحريرها من برائن الأمويين وطردهم منها، وتجهيزها لدخول سيّد شباب أهل الجنّة عليه السلام، فإنّنا نبقى في حيرة لا تنكشف من موقفه حيال محاولة اغتيال الدعيّ ابن الدعيّ، وردّه اقترح شريك - أو هاني على اختلاف النصوص -.

(١) مع الركب الحسيني: ٣ / ١٣٥.

(٢) ناقشنا ذلك بالتفصيل عند الحديث عن «معركة القصر».

فيما نكون على بينة من الأمر لو قلنا: إنه كان سفيراً لأخذ البيعة مثلاً، ولم يكلف بأكثر من ذلك.

ويمكننا في ضوء ذلك أن نردّ ما صوّره لنا المؤرخ في قصّة محاولة الاغتيال من رأس باعتبار أن هانياً وشريكاً وسيّدهما مسلماً عليه السلام وغيرهم على علم بحدود المهمة الموكّلة إليهم من قبل إمام زمانهم، فإنهم سوف لن يفكروا بذلك، ولم يحدثوا أنفسهم به بتاتاً^(١).

السبب الثاني: التقييم على أساس المهمة

إنّ أيّ تقييم لنتائج ما حصل في الكوفة يجب أن يكون مبنياً على أساس معرفة مهمّته التي جاء إلى الكوفة من أجل تنفيذها، فإذا كانت مهمّته الموكّلة إليه هي السفارة وأخذ البيعة فقط، فلا يصحّ أن تحاكم النتائج وتقيم على أساس القيام بالثورة، والحكم عليها بالفشل أو النجاح.

وكذا إن كان ثائراً، فينبغي أن تقيم نتائج الثورة وفقاً لموازين نجاح الثورات وفشلها.

ولا يصحّ أن يعتقد فيه أنّه سفير ويقيم تحركه على أساس موازين

(١) راجع للمزيد: «مسلم بن عقيل عليه السلام قصّة محاولة اغتيال ابن زياد» للمؤلف،

تجد فيه مناقشة وافية وردوداً كافية إن شاء الله.

الثورات، أو أنه تائرويقم على أساس السفراء.

السبب الثالث: استكشاف مواقف بعض الشيعة

إننا إذا حدّنا مهمة مسلم بن عقيل ؑ في الكوفة استطعنا استكشاف موقف بعض أنصار الحسين ؑ وأنصار مسلم ؑ.

فإذا كانت مهمته الثورة، فالمفروض أن يبقى أنصاره الشيعة - سيّما الذين التحقوا بسيد الشهداء ؑ - في الكوفة لنصرة القيام بالمأمور به.

وإذا كانت مهمته السفارة فقط، فإنهم إذا بايعوا مسلماً ؑ، فلهم أن يلتحقوا بمن بايعوا له، وهو سيد الشهداء ؑ، فإذا وجد طريقه إلى الإمام الأصل ؑ، فله أن يتحرّك، لأن البيعة في الأساس للقيام الحسيني، وقد أدى ما عليه مع مسلم ؑ، والتحق بمن يجب عليه الالتحاق به.

المهمّة في المصادر

لكي نستكشف المهمّة لابدّ لنا من مراجعة المصادر في عدّة موارد:

المورد الأوّل: نصوص الدعوة.

المورد الثاني: كتب سيّد الشهداء عليه السلام إلى أهل الكوفة.

المورد الثالث: الكتب التي أرسلها مسلم إلى الحسين عليه السلام.

المورد الرابع: ما ورد عن أهل البيت عليهم السلام.

المورد الخامس: الفهم السائد في عصره.

المورد السادس: ملاحظة الأصول الاعتقادية.

المورد السابع: نصوص العلماء والمؤرّخين والمشهور بينهم.

المورد الأول: نصوص الدعوة

حينما كتب أهل الكوفة إلى سيّد الشهداء عليه السلام يدعونه للقدوم عليهم، وألحوا في ذلك، وتتابعَت الرسل وتوالت الكتب، دعا سيّد الشهداء عليه السلام المولى الغريب مسلم بن عقيل عليه السلام ليكلّفه بمهمّته ويرسله إلى الكوفة، فكلّمه عليه السلام ورسم له المطلوب منه في هذه الرحلة، وقد ذكرت النصوص ذلك، وسنحاول استجلاءها واستقصاء ما يمكن استقضاؤه منها:

النصوص الواردة عن سيّد الشهداء عليه السلام حين دعا مسلم بن عقيل عليه السلام ليرسله إلى الكوفة

النصّ الأوّل: الدينوري (ت ٢٨٢):

«... وقد كان مسلم بن عقيل خرج معه من المدينة إلى مكّة،

فقال له الحسين عليه السلام: يا ابن عمّ، قد رأيت أن تسير إلى الكوفة، فتنظر ما اجتمع عليه رأي أهلها، فإن كانوا على ما أتتني به كتبهم، فعجل عليّ بكتابك، لأسرع القدوم عليك، وإن تكن الأخرى، فعجل الانصراف» ^(١).

مضمون نصّ الدينوري

تضمّن النصّ على النقاط التالية التي تلخص مهمّة مسلم بن عقيل عليه السلام في الكوفة:

أولاً: أن يرى رأي أهل الكوفة، ويتأكّد ممّا إذا كانت رسائلهم تطابق مواقفهم وآراءهم، «فتنظر ما اجتمع عليه رأي أهلها، فإن كانوا على ما أتتني به كتبهم».

ثانياً: التعجيل بكتابة ما يتوصّل إليه من ملاحظات حول أهل الكوفة، ليرتّب الإمام عليه السلام الأثر على كتاب مسلم عليه السلام، فيسرع عليه السلام القدوم عليه، «فعجل عليّ بكتابك، لأسرع القدوم عليك».

ثالثاً: أمره أن يعجل في الانصراف إذا لم يجد أهل الكوفة على ما جاءت به كتبهم ورسلمهم، «وإن تكن الأخرى، فعجل الانصراف».

(١) الأخبار الطوال للدينوري: ٢٣١، العبرات للمحمودي: ١ / ٢٨٩.

النص الثاني: كتاب الفتوح لابن أعمش (ت ٣١٤)

قال:

«... ثم طوى الكتاب وختمه، ودعا مسلم بن عقيل عليه السلام، فدفع إليه الكتاب، وقال له: إني موجّهك إلى أهل الكوفة، وهذه كتبهم إليّ، وسيقضي الله من أمرك ما يحبّ ويرضى، وأنا أرجو أن أكون أنا وأنت في درجة الشهداء، فامض على بركة الله حتّى تدخل الكوفة، فإذا دخلتها، فانزل عند أوثق أهلها، وادع الناس إلى طاعتي واخذلهم عن آل أبي سفيان، فإن رأيت الناس مجتمعين على بيعتي، فعجل لي بالخبر، حتّى أعمل على حسب ذلك، إن شاء الله تعالى.

ثمّ عانقه وودّعه وبكى جميعاً» (١).

مضمون نص ابن أعمش والخوارزمي

أولاً: إنّه عليه السلام قد وجّهه إلى أهل الكوفة - لا إلى والي الكوفة، ولا إلى فتح الكوفة - رداً على كتبهم ورسلمهم «إني موجّهك إلى أهل الكوفة وهذه كتبهم إليّ».

(١) الفتوح لابن أعمش: ٥ / ٥٣، مقتل الحسين عليه السلام للخوارزمي: ١ / ١٩٦، مقتل

الحسين عليه السلام للمقرّم: ١٦٥، مقتل الحسين عليه السلام لبحر العلوم: ٢١٥.

ثانياً: أخبره الإمام عليه السلام أن الله سيقضي له من أمره ما يحب ويرضى، فهو يسير برعاية الله - عز وجل - وعلى بركته ورضاه، «وسيقضي الله من أملك ما يحب ويرضى» ... «فامض على بركة الله حتى تدخل الكوفة».

ثالثاً: بشره الإمام عليه السلام بالشهادة، فهو يعلم أنه يسير إلى الموت الذي لا بد منه، وليس ثمة «ثورة» يمكن أن يقطع فيها الذنب الأموي، ويفتح بها الكوفة ويمهدا لدخول سيد الشهداء عليه السلام «وأنا أرجو أن أكون أنا وأنت في درجة الشهداء».

رابعاً: حدّد له أن ينزل عند أوثق أهل الكوفة «فانزل عند أوثق أهلها». فلا ينزل في القصر، ولا في أي مكان عام، ولا يجعل له مقراً خاصاً به باعتباره قائد «ثورة»، وإنما ينزل ضيفاً على «أوثق أهلها».

خامساً: أن يدعو الناس إلى طاعة ریحانة رسول الله ﷺ، وإمام الزمان الحسين بن علي عليه السلام: «وادع الناس إلى طاعتي».

سادساً: أن يخذل الناس عن آل أبي سفيان «واخذهم عن آل أبي سفيان».

سابعاً: إن رأى مسلم عليه السلام الناس مجتمعين على بيعة الإمام عليه السلام، فليعجل بإخبار الإمام بذلك، فيعمل الإمام عليه السلام على حسب ذلك.

ولم يقل له: فإن رأيت الناس مجتمعين على بيعتي، فعجل بالقيام وإخراج الوالي الأموي الظالم المتسلط على الكوفة، «فإن رأيت الناس

مجتمعين على بيعتي، فعجل لي بالخبر، حتى أعمل على حسب ذلك، إن شاء الله تعالى».

النص الثالث: الطبري (ت ٣١٠) برواية الدهان عن أبي

جعفر عليه السلام، الشجري، المزي، ابن حجر، ابن بدران

«.. قال: فبعث الحسين إلى مسلم بن عقيل بن أبي طالب

ابن عمه، فقال له:

سر إلى الكوفة، فانظر ما كتبوا به إليّ، فإن كان حقًا خرجنا

إليهم»^(١).

مضمون نص الطبري والمصادر الأخرى:

أمره أن ينظر ما كتبوا به إليه، فإن توافقت كتبهم ومواقفهم، فيكتب إلى الإمام عليه السلام ليخرج الإمام عليه السلام إليهم، ولم يفوض إليه أمر القيام «فانظر ما كتبوا به إليّ، فإن كان حقًا خرجنا إليهم».

(١) تاريخ الطبري: ٥ / ٣٤٧ بسند عن أبي جعفر الباقر عليه السلام، الأمالي للشجري: ١

/ ١٩٠، تهذيب الكمال للمزي: ٦ / ٤٢٢، تهذيب التهذيب لابن حجر: ٢ /

٣٤٩، الإصابة: ١ / ٣٣٢، ابن بدران في ما استدركه على ابن عساكر: ٤ /

النص الرابع: المسعودي (ت ٣٤٦)

«... ولحق بمكة، فأرسل بابن عمه مسلم بن عقيل إلى الكوفة، وقال له: سر إلى أهل الكوفة، فإن كان حقاً ما كتبوا به، عرّفني حتّى ألحق بك»^(١).

مضمون نص المسعودي

أولاً: وجهه - كما في المضمون الأول لنص ابن أعثم - إلى أهل الكوفة، لا إلى الوالي أو غير ذلك، «سر إلى أهل الكوفة». ثانياً: ينظر إن كان ما كتبوا به إلى سيد الشهداء عليه السلام حقاً، فيكتب إليه بذلك حتّى يلحق الإمام بمسلم عليه السلام، «فإن كان حقاً ما كتبوا به، عرّفني حتّى ألحق بك...».

النص الخامس: أبو الفرج (ت ٣٥٦)

«... ودعا مسلم بن عقيل، فقال: اشخص إلى الكوفة، فإن رأيت منهم اجتماعاً على ما كتبوا ورأيتهم أمراً ترى الخروج معه، فاكتب إليّ برأيك»^(٢).

(١) مروج الذهب للمسعودي: ٣ / ٦٤.

(٢) مقاتل الطالبين لأبي الفرج: ٦٣.

مضمون نصّ أبي الفرج

ربما كان مضمون نصّ أبي الفرج من النصوص الواضحة الصريحة في الدلالة على تحديد مهمة مسلم بن عقيل عليه السلام بغير القيام حيث صرح أن ينظر إلى وضع الناس، ومدى ثباتهم على ما كتبوا به إلى الإمام عليه السلام، ثم يعطي رأيه للإمام عليه السلام، فإن رأى أمراً يصلح للخروج معه كتب به إلى سيّد الشهداء عليه السلام، ولم يأمره بالقيام.

النصّ السادس: أبو علي مسكويه (ت ٤٢١)

«فاجتمعت الرسل كلّهم عند الحسين، وقرأ الكتب، وسأل الرسل عن أمر الناس، ثمّ كتب أجوبة كتبهم، وأنفذ مسلم بن عقيل بن أبي طالب إليهم. وقال له: اذهب، فاعرف أحوال الناس، وانظر ما كتبوا به، فإن كان صحيحاً، قد اجتمع عليه رؤساؤهم، وتابعهم من يوثق به، خرجنا إليهم»^(١).

مضمون نصّ مسكويه

أولاً: أن يعرف أحوال الناس.

ثانياً: ينظر صحّة ما كتبوا به إلى الإمام عليه السلام.

ثالثاً: المطلوب أن يكون رؤساء أهل الكوفة قد اجتمعوا على ما

(١) تجارب الأمم لأبي علي مسكويه: ٢ / ٤١.

كتبوا به إلى سيّد الشهداء عليه السلام وتابعهم من يوثق به.

رابعاً: إذا ثبت ذلك كلّه عند مسلم بن عقيل عليه السلام حينئذٍ يخرج سيّد الشهداء عليه السلام إليهم.

وفي هذا النصّ أيضاً دلالة واضحة أنّ التقييم يستتبع خروج ربحانة النبي صلى الله عليه وآله لا قيام مسلم بن عقيل عليه السلام.

النصّ السابع: ابن الجوزي (ت ٦٥٤)

«فدعا مسلم بن عقيل، وقال: اشخص إلى الكوفة، فإن رأيت منهم اجتماعاً فاكتب إليّ»^(١).

النصّ الثامن: تذكرة الخواصّ لسبط ابن الجوزي (ت ٦٥٤)

«ثمّ بعث الحسين قبل خروجه من مكّة إلى الكوفة مسلم بن عقيل، وقال له: انظر ما كتبوا به إلينا، فإن كان حقّاً فأخبرني. وقال بعد أن ذكر كتاب الحسين عليه السلام إلى أهل الكوفة: ثمّ دعا مسلم بن عقيل، فبعثه مع قيس بن مسهر الصيداوي، وعمارة ابن عبد الله السلولي، وعبد الرحمن بن عبد الله الأرحبي، وأمره بكتمان الأمر»^(٢).

(١) الرّد على المتعصّب العنيد لابن الجوزي: ٣٦.

(٢) تذكرة الخواصّ لسبط ابن الجوزي: ١٣٧، ١٣٩، ١٤٠.

مضمون نص ابن الجوزي في الرد والتذكرة

ينظر إن كانوا مجتمعين، وكان ما كتبه حقاً، فيكتب إلى الإمام ؑ ويخبره بذلك.

مضامين النصوص

يلاحظ أنَّ النصوص كلّها في هذا المورد اجتمعت إمّا نصّاً أو تلويحاً
أو «من باب الإجماع المركّب»، أو من خلال حمل بعضها على بعض
على الأمور التالية:

الأمر الأوّل: توجيه مسلم عليه السلام إلى الرعيّة

إنّ الإمام عليه السلام قد وجّه مسلماً عليه السلام إلى أهل الكوفة، ومن فيها من
الرعيّة والناس، لا إلى الوالي ولا إلى باقي أجهزة الحكم.

الأمر الثاني: استكشاف حالة الناس

أن يستكشف مسلم بن عقيل عليه السلام حال الناس واستقامتهم على
ما أتت به كتبهم.

الأمر الثالث: الكتابة إلى الحسين عليه السلام

أن يكتب مسلم عليه السلام بحصيلة ما يتوصل إليه من أمر الناس إلى الإمام الحسين عليه السلام.

الأمر الرابع: اتخاذ الموقف

إن سيّد الشهداء عليه السلام سيّخذ الموقف على أساس ما سيكتب به مسلم بن عقيل عليه السلام في الخروج إلى الكوفة.

الأمر الخامس: لم يكلف بالقيام

لم يرد في أيّ نصّ من النصوص إشارة إلى تكليفه بالقيام أو ما يسمّونه «الثورة»، ولم يرد فيها أيّ أمر بالتعرّض للوالي أو تجهّزه أو أتباعه، أو السيطرة على الكوفة والاستيلاء عليها.

الأمر السادس: الوصيّة بالتقوى والكتمان

لم تذكر النصوص وصيّة الإمام عليه السلام لمسلم بن عقيل عليه السلام بالتقوى والكتمان واللطف، والذي ورد في النصوص التاريخية - كما سيأتي - كلّها تعبير المؤرّخ على لسان سيّد الشهداء عليه السلام.

المورد الثاني:

كتب سيّد الشهداء عليه السلام إلى أهل الكوفة

لقد كتب الإمام سيّد الشهداء عليه السلام إلى أهل الكوفة ليعرّفهم بمسلم عليه السلام، وما هو المطلوب منهم عند قدومه إليهم:

الكتاب الأوّل: كتابه عليه السلام من مكّة:

يمكن استطلاع مؤدّيات الكتاب الأوّل في المصادر من خلال المتون التالية:

المتن الأوّل: الدينوري، الأخبار الطوال

«... فكتب الحسين إليهم جميعاً كتاباً واحداً، ودفعه إلى هاني

ابن هاني وسعيد بن عبد الله، نسخته:

بسم الله الرحمن الرحيم.

من الحسين بن علي إلى من بلغه كتابي هذا من أوليائه
وشيعته بالكوفة.

سلام عليكم، أما بعد، فقد أتتني كتبكم، وفهمت ما ذكرتم من
محبتكم لقדومي عليكم.

وأنا باعث إليكم بأخي وابن عمي وثقتي من أهلي مسلم بن
عقيل، ليعلم لي كنه أمركم، ويكتب إلي بما يتبين له من
اجتماعكم، فإن كان أمركم على ما أتتني به كتبكم، وأخبرتني
به رسلكم، أسرع القدوم عليكم، إن شاء الله،
والسلام»^(١).

المهمة في نصّ الدينوري

خلاصة المهمة في نصّ الدينوري هي استكشاف حال الناس،
والتأكد من تطابق الواقع الخارجي مع ما أتت به الكتب وأخبرت به
الرسل.

والنتيجة المترتبة على ذلك هي إسراع سيّد الشهداء عليه السلام بالقدوم

(١) الأخبار الطوال للدينوري: ٢٣١.

عليهم إذا كانوا صادقين.

المتن الثاني: تاريخ الطبري

«.. وتلاقت الرسل كلّها عنده، فقرأ الكتب، وسأل الرسل عن أمر الناس، ثمّ كتب مع هاني بن هاني السبيعي وسعيد بن عبد الله الحنفي، وكان آخر الرسل: بسم الله الرحمن الرحيم.

من حسين بن علي إلى الملأ من المؤمنين والمسلمين، أما بعد، فإنّ هانئاً وسعيداً قدما عليّ بكتبكم، وكانا آخر من قدم عليّ من رسلكم، وقد فهمت كلّ الذي اقتصصتم وذكرتم، ومقالة جلّكم: إنّه ليس علينا إمام، فأقبل لعلّ الله أن يجمعنا بك على الهدى والحقّ.

وقد بعثت إليكم أخي وابن عمّي وثقتي من أهل بيتي، وأمرته أن يكتب إليّ بحالكم وأمركم ورأيكم، فإن كتب إليّ أنّه قد أجمع رأي ملئكم وذوي الفضل والحجى منكم على مثل ما قدمت عليّ به رسلكم، وقرأت في كتبكم.. أقدم عليكم وشيكاً إن شاء الله.

فلعمري ما الإمام إلّا العامل بالكتاب، والآخذ بالقسط،

والدائن بالحق، الحابس نفسه على ذات الله، والسلام»^(١).

المهمة في نص الطبري

المهمة هنا هي تماماً كما ورد في نص الدينوري غير أن فيها تفصيلاً أكثر في بعض التفاصيل من قبيل بيان الشرائح المطلوب استكشافها، وهم «الملاؤ وذووا الفضل والحجى منهم»، و«معرفة أمرهم ورأيهم وحالهم» وهكذا.

ويبدو من النص أن الكتاب أرسل مع آخر الرسل ولم يرسل مع مسلم بن عقيل عليه السلام.

والنتيجة المترتبة هي نفس النتيجة في النص السابق.

المتن الثالث: الشيخ المفيد رحمته الله في الإرشاد

«... ثم كتب مع هاني بن هاني وسعيد بن عبد الله، وكانا آخر

الرسل:

بسم الله الرحمن الرحيم.

من الحسين بن علي إلى الملا من المؤمنين والمسلمين، أما بعد، فإن هانئاً وسعيداً قدما عليّ بكتبكم، وكانا آخر من قدم

(١) تاريخ الطبري: ٥ / ٣٥٣، مقتل الحسين عليه السلام للمقرم: ١٦٥، مقتل الحسين عليه السلام

عليّ من رسلكم، وقد فهمت كلّ الذي اقتصصتم وذكرتم، ومقالة جلّكم: إته ليس علينا إمام، فأقبل لعلّ الله أن يجمعنا بك على الحقّ والهدى.

وإني باعث إليكم أخي وابن عمّي وثقتي من أهل بيتي مسلم ابن عقيل، فإن كتب إليّ أنه قد اجتمع رأي ملئكم وذوي الحجي والفضل منكم على مثل ما قدمت به رسلكم، وقرأت في كتبكم، فإني أقدم إليكم وشيكا إن شاء الله. فلعمري ما الإمام إلّا الحاكم بالكتاب، القائم بالقسط، الدائن بدين الحقّ، الحابس نفسه على ذات الله، والسلام» (١).

المهمة في نصّ الشيخ المفيد عليه السلام

هي تماماً كما في نصّ الطبري إلّا ما فيها من تغيير التعبير في قوله «بعثت» عند الطبري و«باعث» عند الشيخ المفيد عليه السلام، واسم الفاعل دالّ على المستقبل.

(١) الإرشاد للمفيد: ٢ / ٣٦، روضة الواعظين للفتال: ١٤٨، بحار الأنوار للمجلسي: ٤٤ / ٣٣٤، العوالم للبحراني: ١٧ / ١٨٣، أسرار الشهادة للدربندي: ٢١٨، نفس المهموم للقمي: ٨١، مثير الأحزان للجواهري: ١١، أعيان الشيعة للأمين: ١ / ٥٨٩، لواعج الأشجان: ٣٦، معالي السبطين للمازندراني: ١ / ٢٢٨، إبصار العين للسماوي: ٥، وسيلة الدارين للزنجاني: ٤٩.

المتن الرابع: الطبرسي في إعلام الوری

«... فلما قرأ الكتاب وسأل الرسل كتب إليهم:
 من الحسين بن علي إلى الملائمة المؤمنين: أما بعد: فإن فلاناً
 وفلاناً قدما علي بكتبكم، وفهمت مقالة جلّكم: إنّه ليس
 علينا إمام، فأقبل لعل الله يجمعنا بك على الحقّ.
 وإنّي باعث إليكم أخي وابن عمّي وثقتي من أهلي، فإن كتب
 إليّ أنّه قد اجتمع رأي ملئكم وذووا الحجب والفضل منكم على
 مثل ما قدمت عليّ به رسلكم، وقرأته في كتبكم أقدم عليكم
 وشيكاً إن شاء الله تعالى.
 فدعا بمسلم بن عقيل، فسرحه مع قيس بن مسهر
 الصيداوي، وعمارة بن عبد الله السلولي وعبدالرحمن بن
 عبدالله الأزدي» (١).

المتن الخامس: ابن أعثم في الفتوح

«بسم الله الرحمن الرحيم.
 من الحسين بن علي إلى الملائمة المؤمنين، سلام عليكم، أما
 بعد:

(١) إعلام الوری الطبرسي: ٢٢٣.

فإن هاني [بن هاني] وسعيد بن عبد الله قدما عليّ بكتبكم، فكانا آخر من قدم عليّ من عندكم، وقد فهمت الذي قد قصصتم وذكرتم، ولست أقصر عما أحببتم. وقد بعثت إليكم أخي وابن عمي وثقتي من أهل بيتي مسلم ابن عقيل بن أبي طالب عليه السلام، وقد أمرته أن يكتب إليّ بحالكم، ورأيكم، ورأي ذوي الحجى والفضل منكم، وهو متوجه إلى ما قبلكم إن شاء الله تعالى والسلام، ولا قوة إلا بالله.

فإن كنتم على ما قدمت به رسلكم وقرأت في كتبكم، فقوموا مع ابن عمي وبايعوه، وانصروه ولا تحذلوه. فلعمري! ليس الإمام العادل بالكتاب، والعادل بالقسط، كالذي يحكم بغير الحق ولا يهدي ولا يهتدي، جمعنا الله وإياكم على الهدى، والزنا وإياكم كلمة التقوي، إنه لطيف لما يشاء، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

قال: ثم طوى الكتاب وختمه، ودعا مسلم بن عقيل عليه السلام، فدفع إليه الكتاب وقال له: إنّي موجّهك إلى أهل الكوفة، وهذه كتبهم إليّ، وسيقضي الله من أمرك ما يحبّ ويرضى، وأنا أرجو أن أكون أنا وأنت في درجة الشهداء، فامض على بركة

الله حتى تدخل الكوفة، فإذا دخلتها، فانزل عند أوثق أهلها،
 وادع الناس إلى طاعتي واخذلهم عن آل أبي سفيان، فإن
 رأيت الناس مجتمعين على بيعتي، فعجل لي بالخبر، حتى
 أعمل على حسب ذلك، إن شاء الله تعالى.
 ثم عانقه وودّعه وبكى جميعاً» (١).

سيأتي مناقشة نصّ كتاب ابن أعثم بالتفصيل عند ذكر أدلة
 القائلين بالثورة.

المتن السادس: الخوارزمي في مقتل الحسين عليه السلام

«ثم أمر بجواب كتب أهل الكوفة على هذا النحو: بسم الله
 الرحمن الرحيم.

من الحسين بن علي إلى الملائمة المؤمنين، سلام عليكم، أما
 بعد:

فإن هاني بن هاني، وسعيد بن عبد الله قدما عليّ من
 رسلكم، وقد فهمت الذي اقتصصتم وذكرتم، ولست أقصر عما
 أحببتكم.

وقد بعثت إليكم أخي وابن عمّي مسلم بن عقيل بن أبي

(١) الفتوح لابن أعثم: ٥ / ٥١ - ٥٣.

طالب، وأمرته أن يكتب إليّ بحالكم وخبركم ورأيكم ورأي ذوي الحجى والفضل منكم، وهو متوجّه إليكم إن شاء الله، ولا قوة إلا بالله.

فإن كنتم على ما قدمت به رسلكم، وقرأت في كتبكم، فقوموا مع ابن عمي وبايعوه ولا تخذلوه.

فلعمري ما الإمام العامل بالكتاب القائم بالقسط، كالذي يحكم بغير الحق، ولا يهتدي سبيلاً، جمعنا الله وإياكم على الهدى، وألزمنا وإياكم كلمة التقوى، إنه لطيف لما يشاء، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

ثم طوى الكتاب وختمه» (١).

المتن السابع: أبو الفرج في مقاتل الطالبين

«.. فقال لهم: أبعث معكم (كذا في المصدر) أخي وابن عمي: فإذا أخذ لي بيعتي، وآتاني عنهم بمثل ما كتبوا به إليّ، قدمت عليهم» ... (٢).

(١) مقتل الحسين عليه السلام للخوارزمي: ١ / ١٩٥-١٩٦.

(٢) مقاتل الطالبين لأبي الفرج: ٦٣.

المهمة في نص أبي الفرج

صرّح بمهمة أخذ البيعة عليهم للإمام عليه السلام، وتقييم الوضع والتأكد من موافقة الكتب والرسل للمواقف.

المتن الثامن: ابن شهرآشوب في المناقب

«... فاجتمعت الرسل كلّهم عنده، فقرأ الكتب، وسأل الرسل

عن أمر الناس، ثمّ كتب مع مسلم بن عقيل:

بسم الله الرحمن الرحيم.

من الحسين بن علي إلى الملأ من المسلمين والمؤمنين، أمّا بعد:

فإنّ هائناً وسعيداً قدما عليّ بكتبكم، وكانا آخر من قدم عليّ

من رسلكم، وقد فهمت كلّ الذي اقتصصتم وذكرتم، ومقالة

جلّكم: إنّه ليس لنا إمام، فأقبل لعلّ الله أن يجمعنا بك على

الهدى.

وأنا باعث إليكم أخي وابن عمّي وثقتي من أهل بيتي، فإنّ

كتب إليّ أنّه قد أجمع رأي أحداثكم وذوي الفضل منكم على

مثل ما قدمت به رسلكم، وتواترت به كتبكم، أقدم عليكم

وشيكاً إن شاء الله.

ولعمري ما الإمام إلّا الحاكم القائم بالقسط، الدائن بدين الله،

الحابس نفسه على ذات الله» (١).

المهمة في نص ابن شهر آشوب

تلخّصت المهمة في استكشاف حالة الناس وإجماع الرأي وتوافق الكتب والرسل والمواقف.

المتن التاسع: ابن الجوزي في المنتظم

«.. وتلاقت الرسل كلّها عنده، فقرأ الكتب، وكتب مع هاني ابن هاني السبيعي، وسعيد بن عبيد! الحنفي، وكانا آخر الرسل: بسم الله الرحمن الرحيم.

من حسين بن علي إلى الملأ من المؤمنين والمسلمين، أمّا بعد، فإنّ هانئاً وسعيداً قدما عليّ - وكانا آخر من قدم من رسلهم - وقد بعثت أخي وابن عمّي وثقتي من أهل بيتي، وأمرت أن يكتب إليّ بحالكم، فإن كتب إليّ أنّه قد أجمع رأي ملئكم وذوي الحجى والفضل منكم على مثل ما قدمت به عليّ رسلكم، قدمت عليكم إن شاء الله تعالى» (٢).

(١) المناقب لابن شهر آشوب: ٤ / ٩٠.

(٢) المنتظم لابن الجوزي: ٥ / ٣٢٥، ٣٢٨.

المهمة في نصّ ابن الجوزي

المهمة هنا كما هي في باقي المصادر.

المتن العاشر: ابن الأثير والنويري

«فكتب إليهم الحسين عند اجتماع الكتب عنده:

أما بعد، فقد فهمت كلّ الذي اقتصصتم.

وقد بعثت إليكم بأخي وابن عمّي وثقتي من أهل بيتي مسلم

ابن عقيل، وأمرته أن يكتب إليّ بحالكم وأمركم ورأيكم، فإن

كتب إليّ أنّه قد اجتمع رأي ملئكم وذوي الحجى منكم على

مثل ما قدمت به رسلكم، أقدم إليكم وشيكاً إن شاء الله.

فلعمري ما الإمام إلّا العامل بالكتاب، والقائم بالقسط،

والدائن بدين الحقّ، والسلام» (١).

المتن الحادي عشر: ابن نما في مثير الأحزان

«... وأنّه قد جاء ابن عمّي مسلم بن عقيل ليعرّفني ما أنتم

عليه من رأي جميل.

ولعمري ما الإمام إلّا العامل بالكتاب، القائم بالقسط، الدائن

بدين الحقّ، الحابس نفسه في ذات الله.

(١) الكامل في التاريخ لابن الأثير: ٣ / ٢٦٧، نهاية الإرب للنويري: ٢٠ / ٣٨٦.

وأمر مسلماً عليه السلام بالتوجه بالكتاب إلى الكوفة» (١).

المتن الثاني عشر: ابن الجوزي في تذكرة الخواص

«فحينئذٍ بعث إليهم مسلم بن عقيل، وكتب معه كتاباً: قد بعثت إليكم أخي وابن عمي وثقتي من أهل بيتي، وأمرته أن يكتب إليّ بحالكم، فإن كتب إليّ أنّه قد اجتمع رأي ملئكم وذوي الحجى منكم على مثل ما قدمت به رسلكم، قدمت عليكم، وإلاّ لم أقدم، والسلام. ثمّ دعا مسلم بن عقيل، فبعثه مع قيس بن مسهر الصيداوي، وعمارة بن عبد الله السلولي، وعبد الرحمن بن عبد الله الأرحبي، وأمره بكتمان الأمر» (٢).

المتن الثالث عشر: ابن خلدون في التاريخ

«فأجابهم الحسين: فهمت ما قصصتم. وقد بعث إليكم ابن عمي وثقتي من أهل بيتي مسلم بن عقيل، يكتب إليّ بأمركم ورأيكم، فإن اجتمع ملؤكم على مثل

(١) مثير الأحزان لابن نما: ١١، بحار الأنوار للمجلسي: ٤٤ / ٣٣٧، العوالم للبحراني:

١٧ / ١٨٦، أسرار الشهادة للدربندي: ٢١٧.

(٢) تذكرة الخواص لسبط ابن الجوزي: ١٣٧، ١٣٩، ١٤٠.

ما قدمت به رسلكم، أقدم عليكم قريباً.
ولعمري ما الإمام إلا العامل بالكتاب، القائم بالقسط، الدائن
بدين الحق»^(١).

المتن الرابع عشر: الطريحي في المنتخب

«فلما وقف الحسين عليه السلام على الكتب وقرأ ما فيها، سأهم عن
أمر الناس، وكتب إليهم كتاباً يذكر فيه:
إني قد أنفذت إليكم أخي وابن عمي والمفضل عندي مسلم
ابن عقيل بن أبي طالب، فاسمعوا له وأطيعوا رأيه، وقد أمرته
باللطف فيكم، وأن ينفذ إليّ بحسن رأيكم، وما أنتم عليه، وأنا
أقدم عليكم إن شاء الله.
ثمّ دعا بمسلم، فأنفذه مع دليلين، يدلّانه على الطريق»^(٢).

المتن الخامس عشر: مقتل أبي مخنف (المشهور)

«... لما قرأ الكتب جميعاً كتب الجواب في كتاب أوله:
بسم الله الرحمن الرحيم.

من الحسين بن علي - عليه السلام - إلى الملائمة المؤمنين:

(١) تاريخ ابن خلدون: ٣ / ٢٢.

(٢) المنتخب للطريحي: ٢ / ٤٢٢.

أما بعد، فإنّ هائناً وسعيداً قدما إليّ بكتبكم، وكانا آخر من قدما إليّ من رسلكم، وقد فهمت ما ذكرتموه أنّه ليس لكم إمام غيري، وتسالوني القدوم إليكم، لعلّ الله يجمعكم على الحقّ والهدى.

وإنّي باعث إليكم أخي وابن عمّي المفضّل عندي من أهل بيتي مسلم بن عقيل - عليه السلام -، وقد أمرته أن يكتب إليّ بحسن رأيكم، وما أنتم عليه وأنا أقدم إليكم إن شاء الله تعالى» ^(١).

المتن السادس عشر: الشبلنجي في نور الأبصار

«.. فكتب إليهم الحسين عليه السلام!:

أما بعد، فقد وصلني كتابكم، وفهمت ما اقتضته آراؤكم. وقد بعثت إليكم أخي وثقتي وابن عمّي مسلم بن عقيل، وسأقدم عليكم إثره إن شاء الله تعالى. وأرسل مسلم بن عقيل إليهم صحبة قاصديهم» ^(٢).

* * * * *

(١) مقتل أبي مخنف المشهور: ١٩.

(٢) نور الأبصار للشبلنجي: ٢٥٦ عن الفصول المهمة لابن الصباغ المالكي.

المهمة في نص رسالة الحسين عليه السلام إلى أهل الكوفة

تلخّصت المهمة حسب ما ورد في النصوص التي ذكرناها لكتاب سيّد الشهداء عليه السلام إلى أهل الكوفة، في استكشاف مسلم بن عقيل عليه السلام الوضع، وتقييم الحالة، والتأكد من توافق الكتب والرسل مع المواقف، والكتابة بذلك إلى سيّد الشهداء عليه السلام، وبذلك يعجّل الإمام الحسين عليه السلام بالقدوم عليهم.

وأشارت بعض النصوص إلى أخذ البيعة لسيّد الشهداء عليه السلام.

ملاحظات

لا يتسنى متابعة المتون المذكورة آنفاً على انفراد، ويكفي هنا التأشير على ملاحظات عامّة تغنينا عن الخوض في التفاصيل، إن شاء الله تعالى:

الملاحظة الأولى: الكتب والرسل

تأكيد النصوص على أنّ هناك نوعين من الاتصال بسيد الشهداء عليه السلام: أحدهما الكتب، والآخر الرسل.

فإمّا أن يكونوا قد كتبوا الكتب، وحملوا الرسل الذين كانوا يحملونها رسائل شفويّة لسيد الشهداء عليه السلام.

أو أنّهم كانوا يخاطبونه من خلال الكتب بعضاً، ومن خلال الرسائل الشفويّة على ألسنة الرسل بعضاً آخر.

وذلك أنّ سيّد الشهداء عليه السلام يؤكّد في كتبه وخطاباته مع القوم بالتمييز بين الكتب والرسل، فيقول:

«أتتني كتبكم، وقدمت عليّ رسلكم».

أو أنّه عبّر عن حاملي الكتب بالرسل من دون أن تكون خصوصية للرسل، وهو بعيد عن الفهم من السياق.

الملاحظة الثانية: الاعتماد على ثقة الحسين عليه السلام

يلاحظ أنّ اثني عشر ألف كتاب وردت على سيّد الشهداء عليه السلام غير الرسل، ومع هذا كلّه فإنّ سيّد الشهداء عليه السلام يؤكّد للملأ وذوي الحجى والفضل وجميع الشرائح التي كاتبته وانتظرتة ودعته: أنّه لا يعتدّ بهاتيك الدعاوي حتّى يستخبره الحال ثقته، فيعتمد على تقييمه فحسب.

وربما كان هذا كاشفاً عن معنى قوله عليه السلام «ثقتي»، ومعبراً عن مدى عظمة شخصية مسلم بن عقيل عليه السلام، وعلوّ شأنه، وسموّ مقامه، وارتفاع منزلته، وقوّة تشخيصه، ودقّة نظره، وصواب رأيه، وعمق فكره، وحزم مقالته ...

الملاحظة الثالثة: حامل الكتاب

اختلفت النصوص في تحديد حامل الكتاب على ثلاثة أقوال:

القول الأول: مع الرسولين

أنه دفع الكتاب إلى هاني بن هاني وسعيد بن عبد الله ^(١).

القول الثاني: مع مسلم عليه السلام

أنه أرسل الكتاب مع مسلم بن عقيل عليه السلام، «ثم كتب مع مسلم بن عقيل» ^(٢).

القول الثالث: لم يذكر

لم يذكر حامل الكتاب، واقتصر على ذكر الكتاب نفسه ^(٣).

-
- (١) انظر: الأخبار الطوال للدينوري: ٢٣١ - ٢٣٢، العبرات للمحمودي: ١ / ٢٨٩، الإرشاد للمفيد: ٢ / ٣٦، روضة الواعظين للفتال: ١٤٨، بحار الأنوار للمجلسي: ٤٤ / ٣٣٤، العوالم للبحراني: ١٧ / ١٨٣، أسرار الشهادة للدربندي: ٢١٨، نفس المهموم للقمي: ٨١، مثير الأحزان للجواهري: ١١، أعيان الشيعة للأمين: ١ / ٥٨٩، لواعج الأشجان: ٣٦، معالي السبطين للمازندراني: ١ / ٢٢٨، إبصار العين للسماوي: ٥، وسيلة الدارين للزنجاني: ٤٩.
- (٢) المناقب لابن شهرآشوب: ٤ / ٩٠، تذكرة الخواص لسبط ابن الجوزي: ١٣٧، ١٣٩، ١٤٠، مثير الأحزان لابن نما: ١١، بحار الأنوار للمجلسي: ٤٤ / ٣٣٧، العوالم للبحراني: ١٧ / ١٨٦، أسرار الشهادة للدربندي: ٢١٧.
- (٣) انظر: نور الأبصار للشبلنجي: ٢٥٦ عن الفصول المهمة لابن الصبّاغ المالكي، مقتل أبي مخنف المشهور: ١٩، الكامل في التاريخ لابن الأثير: ٣ / ٢٦٧، نهاية الإرب للنويري: ٢٠ / ٣٨٦، إعلام الوری الطبرسي: ٢٢٣.

الكتاب الثاني: كتابه عليه السلام من بطن الرمة

«... ولما بلغ الحسين عليه السلام الحاجز من بطن الرمة بعث قيس بن مسهر الصيداوي - ويقال: إته بعث أخاه من الرضاعة! عبد الله بن يقطر إلى أهل الكوفة، ولم يكن عليه السلام علم!!! بخبر مسلم ابن عقيل عليه السلام!!! وكتب معه إليهم:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ.

من الحسين بن علي إلى إخوانه المؤمنين والمسلمين، سلام عليكم، فإني أحمد إليكم الله الذي لا إله إلا هو، أما بعد: فإن كتاب مسلم بن عقيل جاءني يخبرني فيه بحسن رأيكم، واجتماع ملئكم على نصرنا، والطلب بحقنا، فسألت الله أن يحسن لنا الصنيع، وأن يثيبكم على ذلك أعظم الأجر، وقد شخّصت إليكم من مكة يوم الثلاثاء لثمان مضين من ذي الحجة يوم التروية.

فإذا قدم عليكم رسولي، فانكمشوا في أمركم وجدّوا، فإني قادم عليكم في أيامي هذه، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

وكان مسلم عليه السلام كتب إليه قبل أن يقتل بسبع وعشرين ليلة، وكتب إليه أهل الكوفة أن لك هاهنا مائة ألف سيف ولا تتأخّر...

قال السيد عليه السلام: فلما قارب دخول الكوفة اعترضه الحصين بن نمير ليفتشه، فأخرج قيس الكتاب ومزقه، فحمله الحصين إلى ابن زياد.

فلما مثل بين يديه قال له: من أنت؟

قال: أنا رجل من شيعة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب وابنه عليه السلام.

قال: فلماذا خرقت الكتاب؟

قال: لئلا تعلم ما فيه.

قال: وممن الكتاب؟ وإلى من؟

قال: من الحسين بن علي إلى جماعة من أهل الكوفة لا أعرف أسماءهم.

فغضب ابن زياد، فقال: والله، لا تفارقتني حتى تخبرني بأسماء هؤلاء القوم، أو تصعد المنبر وتعلن الحسين بن علي وأباه وأخاه! وإلا قطعتك إرباً إرباً.

فقال قيس: أما القوم فلا أخبرك بأسمائهم، وأما لعنة الحسين وأبيه وأخيه فأفعل.

فصعد المنبر، وحمد الله، وصلى على النبي، وأكثر من الترحم على علي وولده صلوات الله عليهم.

ثم لعن عبيد الله بن زياد وأباه، ولعن عتاة بني أمية عن آخرهم.

ثم قال: أنا رسول الحسين إليكم، وقد خلفته بموضع كذا فأجيبوه» (١).

نكات تضمّنها النصّ

تضمّن هذا الكتاب والأحداث التي جرت لحامله النكات التالية:

النكتة الأولى: أداء المهمة

إنّ مسلم بن عقيل عليه السلام قد أدّى مهمّته كاملة، وأنجز عمله على أتمّ صورة وأكمل وجه، حيث نظرفي المجتمع الكوفي نظراخبيرالعالم، وكتب إلى سيّد الشهداء عليه السلام بذلك.

وقد قرّر ذلك سيّد الشهداء عليه السلام في نصّ كتابه هذا، فقال:

«فإنّ كتاب مسلم بن عقيل جاءني يخبرني فيه بحسن رأيكم واجتماع ملئكم على نصرنا والطلب بحقنا، فسألت الله أن يحسن لنا الصنيع، وأن يثيبكم على ذلك أعظم الأجر».

(١) بحار الأنوار: ٤٤ / ٣٦٩، الإرشاد للمفيد: ٢ / ٧٠، مثير الأحزان: ٤٢.

النكته الثانية: اعتماد الإمام عليه السلام نظرثفته

إنَّ سيّد الشهداء عليه السلام قد بنى على تقييم مسلم عليه السلام، واعتمد نظره، ووثق بقوله، ووفى بوعده الذي قطعه على نفسه في رسالته الأولى التي ذكر فيها أنّه ينتظر ما يكتب به إليه مسلم بن عقيل عليه السلام.
وبالفعل فقد خرج من مكّة متوجّهاً إلى الأرض المقدّسة الموعودة
استجابة لمسلم بن عقيل عليه السلام، حيث قال عليه السلام:
«فسألْتُ الله أن يحسن لنا الصنيع، وأن يثيبكم على ذلك
أعظم الأجر، وقد شخصت إليكم من مكّة».

النكته الثالثة: الإشارة إلى إمكان عدم وصول الكتاب

أشار سيّد الشهداء عليه السلام في تركيب عبارته المحكّمة إلى إمكان عدم وصول الكتاب إلى المخاطبين به، فقال عليه السلام: «فإذا قدم عليكم رسولي...»، فجعل الأمر الصادر لهم بالانكماش والجدّ مشروطاً بالقدوم، وفي هذا إشعار واضح يشمّ منه الإشارة المذكورة، وإن كان يتضمّن أيضاً تعيين بداية للانكماش منذ أن يقدم الرسول.

النكته الرابعة: وصول مضمون الرسالة

إنَّ الرسالة لم تصل بنصّها إلى المخاطبين بها، حيث مرّقتها قيس بن مسهر فور إلقاء القبض عليه، لئلاّ تقع في أيدي الجبابرة، «فلما قارب

دخول الكوفة اعترضه الحصين بن نمير ليفتّشه، فأخرج قيس الكتاب ومزّقه»، بيد أنّ مضمونها قد وصل على لسان الرسول - رضوان الله عليه -.

النكته الخامسة: اتّخاذ منصّة المنية منبراً

إنّ الرسول الأمين المتمرّس في مهمّته «قيس» لم يتوان في أداء مهمّته وإيصال رسالته إلى الملأ الذين وجّه إليهم الحسين عليه السلام، فاتّخذ من منصّة المنية منبراً صدع فيه بتبليغ الرسالة، ورفع صوته بمضمون ما أرسل به قائلاً:

«أنا رسول الحسين عليه السلام إليكم، وقد خلّفته بموضع كذا، فأجيبوه».

النكته السادسة: معنى الانكماش

تضمّن الكتاب أمراً من سيّد الشهداء عليه السلام أن ينكمشوا في أمرهم ويجدّوا: «فانكمشوا في أمركم وجدّوا».

والانكماش ربما كان بمعنى الجدّ، قال ابن منظور في اللسان والطريحي في المجمع: انكمش في هذا الأمر: شمر وجدّ فيه.

وربما كان بمعنى التقبّض والاجتماع، قال ابن منظور: تكمّش جلده أي تقبّض واجتمع، وائكمّش في الحاجة، معناه اجتمع فيها.

وربما كان بمعنى الاستعجال، قال ابن منظور: وَكَمَّشَتْهُ تَكْمِيشًا: أَعْجَلَتْهُ فَانْكَمَشَ، وَتَكَمَّشَ أَيَّ أَسْرَعَ.

وربما كان بمعنى العزم والمضاء والاستقامة، قال ابن منظور: رجل كميش: عزوم ماض.

وأياً كان المعنى، فإنها لا دلالة فيها كما وردت في رسالة سيّد الشهداء عليه السلام على الحثّ على القيام و«الثورة» قبل وصول ريحانة النبي عليه السلام، سيّما إذا لاحظنا أنّ الإمام عليه السلام يعدّهم بقرب وصوله إليهم، حيث قال عليه السلام: «فانكمشوا في أمركم وجدّوا، فإنّي قادم عليكم في أيّامي هذه»..

وقد ورد بلفظ «اكتموا» في البداية والنهاية، قال:

«فإذا قدم عليكم رسولي فاكتموا أمركم وجدّوا، فإنّي قادم عليكم في أيّامي هذه إن شاء الله تعالى» ^(١).

فغاية ما يمكن أن تفيده هذه الكلمة هو الدعوة للاجتماع، وشدّ العزم، والاستعداد بمجدّ لاستقبال سيّد شباب أهل الجنّة عليه السلام، والقيام معه.

النكتة السابعة: مكاتبات مباشرة

لم يكف أهل الكوفة عن مكاتبة سيّد الشهداء عليه السلام، وحثّه على المسير إليهم حتّى مع وجود مسلم بن عقيل عليه السلام بين أظهرهم، وهو سفيره ومعتمده وممثّله، وقد أخبرهم الحسين عليه السلام أنّه إنّما يعتمد قوله ولا يعتمد كتبهم وما يزعمونه في رسائلهم.

وهم بالرغم من ذلك يكتبون له مخترقين الحدود المرسومة لهم، فيخاطبون المولى مباشرة دون المرور بمسلم بن عقيل عليه السلام، وقد أكّد النصّ ذلك:

«وكتب إليه أهل الكوفة أنّ لك هاهنا مائة ألف سيف ولا تتأخّر».

وهذا هو دأب من يريد أن يطيع وفق ما يشتهي ويحقّق له الذات واللذات لا وفق ما يؤمر!

النكتة الثامنة: المخاطبون

لم تحدّد الرسالة المخاطبين بأسمائهم، كما لم يذكر النصّ من الذي سيتسلّمها، بيد أنّ إلحاح ابن زياد على معرفة أسماء المخاطبين

بها، وجواب قيس يفيدان أنَّ الرسالة كانت موجّهة إلى أشخاص معروفين لدى الرسول بأعيانهم وأشخاصهم، قال قيس: «أمّا القوم فلا أخبرك بأسمائهم»، فهو إذن يعرفهم ولا يخبرهم.

ولاندرى لماذا لم تكن الرسالة موجّهة إلى مسلم بن عقيل عليه السلام إذا كانت العبارة الواردة في أول النصّ صحيحة «ولم يكن عليه السلام علم بخبر مسلم بن عقيل عليه السلام!!!»، وكيف لا «يعلم الإمام عليه السلام؟!؟! وهو العالم بالغابر والحادث والآتي والحاضر.

وربما كان المقصود من العبارة: أنّه لم يصل خبر شهادة مسلم عليه السلام إلى الإمام عليه السلام، لأنَّ الإمام عليه السلام ربما عمل بظاهر الحال، وما تعارف عليه الناس رغم علمه.

وكيف كان فالتعبير لا يليق استعماله مع الإمام المعصوم عليه السلام، ويبدو أنّه خارج عن حدود الأدب.

فإنَّ من البديهي أن يكتب لممثله هناك - إذا كان لا يعلم بخبر مسلم عليه السلام - باعتبار أنَّ كتاب سيّد الشهداء عليه السلام كان جواباً على كتاب مسلم عليه السلام إليه.

ويؤكّد النصّ الوارد في اللهوف للسيد ابن طاووس أنَّ الكتاب لم يكن موجّهاً إلى مسلم بن عقيل عليه السلام، وإنّما وجّهه إلى رجال ذكرهم بأسمائهم، فقال:

«قال الراوي: وكتب الحسين عليه السلام كتاباً إلى سليمان بن صرد الخزاعي والمسيّب بن نجبة ورفاعة بن شدّاد وجماعة من الشيعة بالكوفة»^(١).

وكيف كان! فإن كان الإمام عليه السلام قد كتب لغير المولى الغريب عليه السلام فلا بدّ أن يكون في الأمر ما يلزم ذلك. ولا يبعد أن يكون الكتاب موجّهاً للمولى الغريب ليقرأه على الناس أو يبلّغهم به، وإمّا أبي الشهيد السعيد قيس أن يخبر ابن الأئمة الفاجرة لئلا يفيد به أيّ إفادة ويخرجه ويدفعه إلى متاهات التخمين والقلق والتحسّب من خلال الغموض وعدم التصريح له بالمقصود من الكتاب.

وربما شهد لذلك أنّ المخاطب في الكتاب - وفق النصّ المشهور - عنوان عامّ يشبه العنوان في الكتاب الذي أرسله الإمام بيد المولى الغريب عليه السلام عند توجّهه إلى الكوفة، «المؤمنون، المسلمون».

النكّة التاسعة: سماع المخاطبين مضمون الكتاب

كان عنوان الكتاب - كما ورد في مقدّمته - إلى عامّة الناس من المؤمنين والمسلمين:

(١) اللهوف: ٧٥.

«من الحسين بن علي إلى إخوانه المؤمنين والمسلمين».

وقد جمع ابن زياد الناس - أو اجتمعوا هم - فأسمعهم مضمون رسالة الحسين عليه السلام إليهم حين صدع ببيانه قيس الشهيد - رضوان الله عليه - على رؤوس الأشهاد فقال:

«أنا رسول الحسين عليه السلام إليكم، وقد خلفته بموضع كذا فأجيبوه».

فسمع الجميع ما كان ينبغي أن يسمعه، ودُعي الناس - المؤمن منهم والمسلم! - إلى إجابة الحسين عليه السلام.
والحال أنّ قيس قد وصل الكوفة واطّلع إجمالاً على مجريات الأحداث فيها.

النكتة العاشرة: دلالات الكتاب

وهذه النكتة هي المهمة في النصّ بالنسبة إلى بحثنا، وهي:
أنّ الكتاب أرسل بعد إعلان الموقف من قبل مسلم بن عقيل عليه السلام، ولانرى فيه دلالات واضحة - بل حتّى غير واضحة - تشير إلى أنّ سيّد الشهداء عليه السلام قد أمرهم بالقيام و«الثورة»، والاستيلاء على الكوفة، وما شاكل ذلك.

بل لم يرد فيه الإشارة إلى الالتفاف حول سفيره وثقته والقيام معه، فلا المولى الغريب عليه السلام - القائد الميداني يومها - صدرت له الأوامر بذلك

- قبل هذا الكتاب ولا فيه - ولا الناس المخاطبين حرّضوا على ذلك أو
شجّعوا عليه، وأهمّ ما ورد فيه هو الوعد بقرب قدوم الإمام المنتظر،
والأمر بالاستعداد له.

المورد الثالث:

الكتب التي أرسلها مسلم عليه السلام إلى الحسين عليه السلام

ذكرت المصادر الكتب التي أرسلها مسلم بن عجيل عليه السلام منذ انفصاله عن الركب الحسيني في مكة إلى شهادته، ويمكن قراءتها في المصادر التالية:

المصدر الأول: ابن سعد

«... وكتب إلى حسين بن علي: إني قدمت الكوفة، فبايعني منهم إلى أن كتبت إليك ثمانية عشر ألفاً، فعجل القدوم، فإنه

ليس دونها مانع!»^(١).

المصدر الثاني: البلاذري

«... وقد كان مسلم كتب إليه قبل أن يقتل ببضع وعشرين ليلة: أمّا بعد، فإنّ الرائد لا يكذب أهله، إنّ جميع أهل الكوفة معك، فأقبل حين تنظر في كتابي»^(٢).

المصدر الثالث: الدينوري

«قالوا: ولما ورد كتاب مسلم بن عقيل على الحسين عليه السلام: إنّ الرائد لا يكذب أهله، وقد بايعني من أهل الكوفة ثمانية عشر ألف رجل، فاقدم، فإنّ جميع الناس معك، ولا رأي لهم في آل أبي سفيان»^(٣).

(١) ترجمة الإمام الحسين عليه السلام من طبقات ابن سعد: ٦٥، مختصر تاريخ ابن عساکر لابن منظور: ٢٧ / ٥٨.

(٢) جمل من أنساب الأشراف للبلاذري: ٣ / ٣٧٨، أنساب الأشراف للبلاذري: ٣ / ١٦٧.

(٣) الأخبار الطوال للدينوري: ٢٤٣.

المصدر الرابع:

الطبري والشجري والمزّي وابن حجر وابن الجوزي

«.. كتب مسلم بن عقيل إلى الحسين بن علي عليه السلام، يخبره ببيعة اثني عشر ألفاً من أهل الكوفة، ويأمره بالقدوم»^(١).

الطبري

وقد كان مسلم بن عقيل حيث تحوّل إلى دارهاني بن عروة، وبايعه ثمانية عشر ألفاً، قدّم كتاباً إلى الحسين مع عابس بن أبي شبيب الشاكري:

أما بعد، فإنّ الرائد لا يكذب أهله، وقد بايعني من أهل الكوفة ثمانية عشر ألفاً، فعجّل الإقبال حين يأتيك كتابي، فإنّ الناس كلّهم معك، ليس لهم في آل معاوية رأي ولا هوى، والسلام»^(٢).

(١) تاريخ الطبري: ٥ / ٣٤٨، الأُمالي للشجري: ١ / ١٩١، تهذيب الكمال للمزّي:

٦ / ٤٢٤، تهذيب التهذيب لابن حجر: ٢ / ٣٥٠، المنتظم لابن الجوزي، بلا إسناد: ٥ / ٣٢٦.

(٢) تاريخ الطبري: ٥ / ٣٧٥، نفس المهموم للقمّي: ١١٤، مقتل الحسين عليه السلام

للمقرّم: ١٦٨، مقتل الحسين عليه السلام لبحر العلوم: ٢١٧.

الطبري والنويري وابن كثير

«... وكان مسلم بن عقيل، قد كان كتب إلى الحسين قبل أن يقتل لسبع وعشرين ليلة:
أما بعد، فإنّ الرائد لا يكذب أهله، إنّ جمع أهل الكوفة معك، فأقبل حين تقرأ كتابي، والسلام عليك»^(١).

الطبري والقمي

«... وقد كان مسلم بن عقيل حيث تحوّل إلى دارهاني بن عروة وبايعه ثمانية عشر ألفاً، قدّم كتاباً إلى حسين مع عابس ابن أبي شبيب الشاكري:
أما بعد، فإنّ الرائد لا يكذب أهله، وقد بايعني من أهل الكوفة ثمانية عشر ألفاً، فعجّل الإقبال حين يأتيك كتابي، فإنّ الناس كلّهم معك، ليس لهم في آل معاوية رأي ولا هوى، والسلام»^(٢).

(١) تاريخ الطبري: ٥ / ٣٩٥، نفس المهموم للقمي: ١٧٧، العبرات للمحمودي: ١ / ٣٧٥، نهاية الإرب للنويري: ٢٠ / ٤١٣، البداية والنهاية لابن كثير: ٨ / ١٦٨.

(٢) التاريخ الطبري: ٥ / ٣٧٥، نفس المهموم للقمي: ١١٤.

المصدر الخامس: المسعودي

«.. فكتب بالخبر إلى الحسين عليه السلام، وسأله القدوم إليه» ^(١).

المصدر السادس: أبو الفرج الإصفهاني

«.. قالوا: وكان مسلم قد كتب إلى الحسين عليه السلام بأخذ البيعة له واجتماع الناس عليه وانتظارهم إياه» ^(٢).

المصدر السابع: الشيخ المفيد والفتال

«فكتب مسلم إلى الحسين عليه السلام، يخبره ببيعة ثمانية عشر ألفاً، ويأمره بالقدوم» ^(٣).

المفيد والمجلسي والبحراني

«.. وكان مسلم كتب إليه قبل أن يقتل بسبع وعشرين ليلة، وكتب إليه أهل الكوفة: إن لك هنا مائة ألف سيف، ولا تتأخر» ^(٤).

(١) مروج الذهب للمسعودي: ٣ / ٦٤.

(٢) مقاتل الطالبين لأبي الفرج: ٧٢.

(٣) الإرشاد للمفيد: ٢ / ٣٨، روضة الواعظين للفتال: ١٤٨، بحار الأنوار

للمجلسي: ٤٤ / ٣٣٦، العوالم للبحراني: ١٧ / ١٨٥، نفس المهموم للقمي: ٨٤.

(٤) الإرشاد للمفيد: ٢ / ٧٢، بحار الأنوار للمجلسي: ٤٤ / ٣٧٠، العوالم للبحراني:

المصدر الثامن: أبو علي مسكويه

«... وكتب إلى الحسين يخبره ببينة بضعة عشر ألفاً من أهل الكوفة، ويأمره بالقدوم عليه» ^(١) ...

«... وقد كان وصل إلى الحسين كتاب مسلم بن عقيل، قبل أن يقتل بأيام، يقول:

أما بعد، فإنَّ الرائد لا يكذب أهله، إنَّ جميع أهل الكوفة معك، فأقبل حين تقرأ كتابي، والسلام» ^(٢).

المصدر التاسع: الطبرسي

«... فكتب مسلم إلى الحسين بن علي، يخبره بذلك، ويأمره بالقدوم» ^(٣).

المصدر العاشر: الخوارزمي

«... وكان مسلم حين تحوّل إلى دارهاني، كتب إلى الحسين

٧ / ٢٢٠١، أسرار الشهادة للدربندي: ٢٤٨، مقتل الحسين عليه السلام للمقرّم: ١٦٨،

أعيان الشيعة للأمين: ١ / ٥٩٤، لواعج الأشجان: ٧٩.

(١) تجارب الأمم لأبي علي مسكويه: ٢ / ٤٣-٤٤.

(٢) تجارب الأمم لأبي علي مسكويه: ٢ / ٥٧.

(٣) إعلام الوري للطبرسي: ٢٢٤.

كتاباً، ذكر فيه كثرة من بايعه»^(١).

المصدر الحادي عشر: ابن الجوزي

«.. وكتب مسلم بن عقيل إلى الحسين: قد بايعني ثمانية عشر ألفاً، فعجل القدوم»^(٢).

المصدر الثاني عشر: ابن الأثير

«.. وكان سبب مسيره من مكة كتاب مسلم إليه، يخبره أنه بايعه ثمانية عشر ألفاً، ويستحثه للقدوم»^(٣).

المصدر الثالث عشر: ابن نما

«.. وكتب مسلم بن عقيل إلى الحسين عليه السلام كتاباً: أما بعد، فإنّ الرائد لا يكذب أهله، وإنّ جميع أهل الكوفة معك، وقد بايعني منهم ثمانية عشر ألفاً، فعجل الإقبال حين تقرأ كتابي، والسلام عليك ورحمة الله وبركاته، وحمله مع عابس بن أبي شبيب الشاكري وقيس بن مسهر الصيداوي»^(٤).

(١) مقتل الحسين عليه السلام للخوارزمي: ١ / ٢١١.

(٢) الردّ على المتعصب العنيد: ٣٦.

(٣) الكامل في التاريخ لابن الأثير: ٣ / ٢٧٣.

(٤) مثير الأحزان لابن نما: ١٥، نفس المهموم: ١١٤، أعيان الشيعة للأمين: ١ /

المصدر الرابع عشر: سبط ابن الجوزي

«... فكتب إلى الحسين يخبره بذلك»^(١).

المصدر الخامس عشر: الذهبي

«... وكتب إلى الحسين: بايعني إلى الآن ثمانية عشر ألفاً، فعجل، فليس دون الكوفة مانع»^(٢).

المصدر السادس عشر: ابن كثير

«... فكتب مسلم إلى الحسين، ليقدم عليها، فقد تمهدت له البيعة والأمور، فتجهّز الحسين من مكة قاصداً الكوفة»^(٣)...

المصدر السابع عشر: ابن عنبه

«... فأرسل إلى الحسين، يخبره بذلك»^(٤).

٥٨٩، لوايعج الأشجان: ٣٧.

(١) تذكرة الخواص لسبط ابن الجوزي: ١٣٨.

(٢) سير أعلام النبلاء للذهبي: ٢ / ٢٠١ عن ابن سعد.

(٣) البداية والنهاية لابن كثير: ٨ / ١٥٢.

(٤) عمدة الطالب لابن عنبه: ١٥٨.

المصدر الثامن عشر: الطريحي

«.. فكتب مسلم إلى الحسين عليه السلام كتاباً بمبايعة أهل الكوفة،
وأنتك تعجل بالإقبال إلينا» (١).

المصدر التاسع عشر: المازندراني

«.. وكتب إلى الحسين عليه السلام: إن لك هاهنا مائة ألف سيف،
فعجل، ولا تتأخر، وذلك قبل أن يقتل مسلم بن عقيل عليه السلام
بسبعة وعشرين يوماً» (٢).

(١) المنتخب للطريحي: ٢ / ٤٢٣.

(٢) معالي السبطين للمازندراني: ٢ / ٢٢٩، تاريخ الطبري: ٥ / ٣٧٥.

وقفات سريعة

رأينا في ما مرّ علينا من نصوص تاريخيّة تحكي كتاب سيّدنا مسلم ابن عقيل عليه السلام إلى سيّد شباب أهل الجنّة عليه السلام شيئاً من الاختلاف، وسوف نتعرّض بشكل سريع إلى بعض ما ورد في الكتاب، وما تضمّنه، وما واكبه من مجريات من خلال النقول المختلفة في وقفات سريعة لا نقصد فيها دراسة النصّ دراسة وافية، وإنما نتابعه بمقدار ما يفي بالغرض المقصود في هذه الدراسة:

الوقفّة الأولى: التريث في إرسال الكتاب

إنّ ثقة الحسين عليه السلام أرسل كتابه قبل سبع وعشرين ليلة من شهادته، أو كما ورد في نصّ آخر قبل «بضع وعشرين ليلة»^(١).

والمشهور أنّه استشهد في التاسع من ذي الحجة الحرام، يعني أنّه كتب الكتاب بعد العشرة الأولى من ذي القعدة، أي بعد شهر أو أكثر

(١) تاريخ الطبري: ٥ / ٣٩٥، نهاية الإرب للنويري: ٢٠ / ٤١٣، البداية والنهاية لابن كثير: ٨ / ١٦٨، بحار الأنوار: ٤٤ / ٣٦٩، ٣٧٠، الإرشاد للمفيد: ٢ / ٧٠، ٧٢، مثير الأحزان: ٤٢، العوالم للبحراني: ٧ / ٢٢٠١، أسرار الشهادة للدربندي: ٢٤٨، نفس المهموم للقمي: ١٧٧، مقتل الحسين عليه السلام للمقّم: ١٦٨، أعيان الشيعة للأمين: ١ / ٥٩٤، لواعج الأشجان: ٧٩.

من وصوله إلى الكوفة.

فهو لم يستعجل في الكتابة إلى مولاه منذ الأيام الأولى التي كان الناس ينثالون عليه للبيعة وإعلان النصر، وإنما انتظر زهاء ثلاثين يوماً أو أكثر حتى اطمأن تماماً مما رآه وتوثق منه، وفق الحسابات الظاهرية المنظورة.

الوقف الثانية: أخذ البيعة لسيد الشهداء عليه السلام

تضمّنت أكثر النصوص عدد المبايعين، وتردّدت بين ثمانية عشر ألفاً^(١) - وفق أكثر النصوص - واثني عشر ألفاً^(٢)، وذكرت بعضها أنهم

(١) انظر: ترجمة الإمام الحسين عليه السلام من طبقات ابن سعد: ٦٥، مختصر تاريخ ابن عساكر لابن منظور: ٢٧ / ٥٨، سير أعلام النبلاء للذهبي: ٢ / ٢٠١ عن ابن سعد، مثير الأحزان لابن نما: ١٥، الكامل في التاريخ لابن الأثير: ٣ / ٢٧٣، الردّ على المتعصّب العنيد: ٣٦، الإرشاد للمفيد: ٢ / ٣٨، روضة الواعظين للفتال: ١٤٨، بحار الأنوار للمجلسي: ٤٤ / ٣٣٦، العوالم للبحراني: ١٧ / ١٨٥، التاريخ الطبري: ٥ / ٣٧٥، ٥ / ٣٤٨، الأمالي للشجري: ١ / ١٩١، تهذيب الكمال للمزي: ٦ / ٤٢٤، تهذيب التهذيب لابن حجر: ٢ / ٣٥٠، المنتظم لابن الجوزي، بلا إسناد: ٥ / ٣٢٦، الأخبار الطوال للدينوري: ٢٤٣، نفس المهموم: ١١٤، أعيان الشيعة للأمين: ١ / ٥٨٩، لواعج الأشجان: ٣٧، مقتل الحسين عليه السلام للمقرّم: ١٦٨، مقتل الحسين عليه السلام لبحر العلوم: ٢١٧.

(٢) تاريخ الطبري: ٥ / ٣٤٨، الأمالي للشجري: ١ / ١٩١، تهذيب الكمال للمزي:

بضعة عشر ألفاً^(١)، وصعدت أخرى إلى مائة ألف سيف^(٢)، أو «جميع أهل الكوفة معك»^(٣).

وجاءت مبهمة غير محدّدة في بعض النصوص^(٤)، واكتنفت بالتعبير بأخذ البيعة واجتماع الناس عليه، وانتظارهم إيّاه، أو كثرة من بايعه^(٥)، وذكرت بعضها أنّ البيعة تمّهدت له^(٦)..

وهي على كلّ التقادير تؤكّد أنّ البيعة قد أخذت لسيد شباب أهل الحجّة عليه السلام، وأنّ الناس إنّما ينتظرون قدومه.

ولا تفيد من قريب ولا من بعيد أنّ البيعة تمت لمولانا مسلم بن

٦ / ٤٢٤، تهذيب التهذيب لابن حجر: ٢ / ٣٥٠، المنتظم لابن الجوزي، بلا إسناد: ٥ / ٣٢٦.

(١) تجارب الأمم لأبي علي مسكويه: ٢ / ٤٣-٤٤.

(٢) الإرشاد للمفيد: ٢ / ٧٢، بحار الأنوار للمجلسي: ٤٤ / ٣٧٠، العوالم للبحراني:

٧ / ٢٢٠١، أسرار الشهادة للدربندي: ٢٤٨، مقتل الحسين عليه السلام للمقرّم: ١٦٨،

أعيان الشيعة للأمين: ١ / ٥٩٤، لواعج الأشجان: ٧٩.

(٣) البلاذري، جمل من أنساب الأشراف للبلاذري: ٣ / ٣٧٨، أنساب الأشراف

للبلاذري: ٣ / ١٦٧.

(٤) انظر: مروج الذهب للمسعودي: ٣ / ٦٤، تذكرة الخواص لسبط ابن الجوزي:

١٣٨، إعلام الوري للطبرسي: ٢٢٤، عمدة الطالب لابن عنبه: ١٥٨.

(٥) مقتل الحسين عليه السلام للخوارزمي: ١ / ٢١١.

(٦) البداية والنهاية لابن كثير: ٨ / ١٥٢.

عقيل عليه السلام، أو أنهم أعلنوا استعدادهم للقيام معه، أو انجاز «الثورة» قبل وصول القائد الأعظم والإمام المنتظر عليه السلام.

الوقفه الثالثة: معنى جميع أهل الكوفة معك

جاء في بعض النصوص «جميع أهل الكوفة معك وقد بايعني ثمانية عشر ألفاً»^(١).

أو «ثمانية عشر ألف رجل فإن جميع الناس معك ولا رأي لهم في آل أبي سفيان»^(٢).

أو «جميع أهل الكوفة معك»^(٣).

ومن المعلوم أنّ الكوفة كانت أكثر من «ثمانية عشر ألف رجل»، وأقرب شاهد على ذلك ما ورد من عدد السيوف الجاهزة «مائة ألف»^٤،

(١) مثير الأحزان لابن نما: ١٥، نفس المهموم: ١١٤، أعيان الشيعة للأمين: ١ / ٥٨٩، لواعج الأشجان: ٣٧، وانظر: تجارب الأمم لأبي علي مسكويه: ٢ / ٥٧، البلاذري، جمل من أنساب الأشراف للبلاذري: ٣ / ٣٧٨، أنساب الأشراف للبلاذري: ٣ / ١٦٧.

(٢) الأخبار الطوال للدينوري: ٢٤٣.

(٣) البلاذري، جمل من أنساب الأشراف للبلاذري: ٣ / ٣٧٨، أنساب الأشراف للبلاذري: ٣ / ١٦٧.

(٤) الإرشاد للمفيد: ٢ / ٧٢، بحار الأنوار للمجلسي: ٤٤ / ٣٧٠، العوالم للبحراني: ٧ / ٢٢٠١، أسرار الشهادة للدريندي: ٢٤٨، مقتل الحسين عليه السلام للمقرّم: ١٦٨،

ولاشك أنّ العالم الحبير بالمجتمع الكوفي مسلم بن عقيل عليه السلام يعرف خبايا الكوفة وزواياها، وامتداداتها السكّانية، ويعرف المنافقين والانتهازيين والجبّاء والخونة الكامنين فيها تحت ريش ابن زياد أو سياطه، والمختفين في «بدراته»، وهو يكتب إلى سيّد الشهداء عليه السلام ليطلعه على حقيقة الأمور وفق الموازين الظاهرية التي أمره الإمام بها، وهذا لا يلتئم مع تعبير «جميع»..

إلا أن يقال: إنّ المراد من «جميع» هو التعبير عن الموجة العارمة التي اجتاحت الكوفة يومها ورسمت معالمها، كظاهرة صبغة المجتمع، فلم يسمع نباح كلاب السلطان يومها، وربما كان تعبير النصّ الوارد في تاريخ الطبري: «جمع» أصحّ وأدقّ «إنّ جمع أهل الكوفة معك»^(١).

والجُمع - كما في لسان العرب لابن منظور: اسم لجماعة الناس. والجُمع: مصدر قولك جمعت الشيء.

والجُمع: المجتمعون.

أو يكون الجميع هنا بمعنى الجمع، كما جاء في لسان العرب:

أعيان الشيعة للأمين: ١ / ٥٩٤، لواعج الأشجان: ٧٩.

(١) تاريخ الطبري: ٥ / ٣٩٥، نفس المهموم للقمي: ١٧٧، العبرات للمحمودي: ١

/ ٣٧٥، نهاية الإرب للنويري: ٢٠ / ٤١٣، البداية والنهاية لابن كثير: ٨ /

«والجماعة والجميع والمجمع والمجمعة: كالجمع».

* * * * *

وهنا نرى - أيضاً - أنّ هذا العدد بكلّ تقديراته المحددة وغير المحددة قد مهّدت لقدم الحسين عليه السلام، وهي تنتظره، ولا أثّر لـ «الثورة» قبل وصول راعيها وإمامها عليه السلام.

الوقفه الرابعة: حامل الكتاب

حامل الكتاب هو عابس بن أبي شبيب الشاكري، وهو من نجوم همدان وعظمائها، وأصدق شاكر وأشجعها، ومن أوثق أصحاب مسلم ابن عقيل وسيّد الشهداء عليه السلام، وقد وردت الإشارة إلى قرين له حمل الكتاب، وكان يومها يحوب الصحراء متردداً بين الكوفة وسيّد الشهداء الحسين عليه السلام وهو «قيس بن مسهر الصيداوي»^(١).

(١) تردّد قيس في حمل الكتب من وإلى الحسين عليه السلام على الأقلّ ستّ مرّات: فقد بعثه أهل الكوفة إلى الحسين عليه السلام، ثمّ بعثه الحسين عليه السلام مع مسلم، ثمّ بعثه مسلم عليه السلام إلى الحسين عليه السلام، ثمّ بعثه الحسين عليه السلام إلى مسلم عليه السلام ردّاً على كتابه من المضيق، ثمّ بعثه مسلم عليه السلام إلى الحسين عليه السلام، ثمّ بعثه الحسين عليه السلام إلى أهل الكوفة، فقبض عليه واستشهد (انظر: إِبصار العين للسمّائي: ١٢٥ ترجمة قيس).

الوقفه الخامسة: مؤدّى الرسالة

هذه الوقفة هي أهمّ ما نقصده في الحديث عن هذا الكتاب، وهو مؤدّى كتاب السفير الأمين ؑ:

فقد اتفقت النصوص على مفاد يؤكّد لنا أنّ ثقة الحسين ؑ نقذ ما أرادته منه إمامه، وأمره به، وهو إخباره بتظافر الناس على نصرته ومبايعتهم له.

ولما كان الحسين ؑ قد أمره أن يكتب له ما إذا كانت الكوفة مستعدّة، فيقدم عليها أبو الأحرار ؑ أولاً، فقد كتب إليه مسلم ؑ «أن أقدم»، أو «عجل بالقدوم»، أو «لا مانع من الكوفة»، حيث إنّه رأى الفراغ السياسي والحكومي واضحاً جلياً، ورأى ما أبداه له الناس. ولم نسمع فيما كتبه مسلم ؑ إلى سيّد الشهداء ؑ أيّ إشارة إلى توقيت القيام، أو الاستعداد له، أو الإشارة إليه بالإخبار عنه، أو ما يخصّ ذلك من قريب أو بعيد.

فلم يذكر «الثورة»، ولا «الثوار»، ولا نيّته وعزمه في ذلك، ولم يشير إلى أنّه قد أتمّ الاستعدادات، أو جهّز جيشاً، أو أعدّ عدّة لل«ثورة»، وإنّما أكّد أنّه قد فعل ما أمر به، وأخبر الإمام ؑ بما صنع الناس من البيعة، وما يعترهم من التظاهر بالغليان، وانتظارهم لسيّد الشهداء ؑ.

ولو كان مأموراً بالقيام و«الثورة»، لذكر ذلك، أو أشار إليه - على

الأقلّ - في بعض النصوص إشارة مهما كانت بعيدة، سيّما أنّ الكتاب قد أرسل بيد أناس يعرفهم مسلم عليه السلام، وهم معروفون بالولاء والنصيحة والأمانة، من قبيل عابس بن أبي شبيب وقيس بن مسهر الصيداوي. فمضمون الكتاب لا يتعدّى الإخبار باستعداد القوم لاستقبال سيّد الشهداء عليه السلام، والقيام معه، ويؤكد على قدوم الحسين عليه السلام ليس إلّا. وبكلمة مختصرة: إنّ خلاصة الكتاب كانت: «بايعوا فأقدم»، لا «بايعوا فساقوم».

الوقفه السادسة: بعد أن تفرّق الناس

ثمّ لمّا انقلب الجمع وأبدى صفحته وأصرح عن كوامنه وتجاهربه بعث إلى سيّد الشهداء عليه السلام - «والرائد لا يكذب أهله» - من يخبره بخذلان الناس، وتفرّقهم عنه، ولم يغفل عن مهمّته في أقسى الظروف التي مرّت به إلّا أنّه وقف الموقف الذي لا يقفه إلّا مسلم عليه السلام وأمثاله من رجال الحقّ وسيوف الحسين عليه السلام.

فلم يغفل عن مهمّته، وهي تقييم الوضع والنظر في أمر الناس، وما هم عليه من موافقة كتبهم ورسلمهم لمواقفهم وثباتهم على نصره الله ورسوله وابن رسوله صلّى الله عليه وآله.

فكان عين الحسين عليه السلام في الكوفة حقّاً حيث نقل لسيّد الشهداء عليه السلام ما رآه عند التفاف الناس على راية الحقّ، ثمّ نقل له ما رآه

من تفرّق الناس عن شجرة طوبى وغصونها إلى الشجرة الملعونة
وأذئاب القردة المتعلّقة بها.

المورد الرابع:

ما ورد عن أهل البيت عليهم السلام

لم نعرف فيما ورد عن أهل البيت عليهم السلام عموماً بما فيهم سيّد الشهداء عليه السلام فيما تحدّثوا به عن مسلم بن عقيل عليه السلام ومهمّته بعد الشهادة، أيّ أثرٍ يشير إلى «ثورة مسلم عليه السلام»، وإخفاقها - كما يعبر البعض - أو الدفاع عنه ككثير حَقَّق غرضاً ما من خلال ثورته، وإن لم ينتصر عسكرياً.

ولم نسمع الإمام سيّد الشهداء عليه السلام يعاتب أهل الكوفة، ولا جيش الأعداء في أيّ كتاب أو خطاب وجّهه إليهم بنكث البيعة مع مسلم بن عقيل عليه السلام على وجه الخصوص - كبيعة لمسلم عليه السلام -، فيقول لهم مثلاً:

إنكم قد بايعتم مسلماً ؑ من قبل ونكثتم بيعته، وإنما يجري الكلام عادة على نكث البيعة مع سيّد الشهداء ؑ.

وإذا ورد عتاب وتقبيح لفعل أهل الكوفة على لسان سيّد شباب أهل الجنة ؑ، فهو لخذلائهم مسلماً ؑ، وتركه وحيداً.

وكذا لم نر - فيما تفحصنا - ذكراً لنكث بيعة مسلم ؑ شخصياً على لسان أهل البيت ؑ جميعاً بالرغم من أهميتها القصوى.

المورد الخامس:

الفهم السائد في عصره

لا يخفى على المتأمل في النصوص التاريخية أنَّ فهم الشيعة في عصره - سيّما رموزهم وكبار شخصياتهم من قبيل هاني بن عروة وعابس، وبقية أنصار سيّد الشهداء عليه السلام الذين استشهدوا بين يديه، بل حتّى من رموز جيش الضلال ورؤساء العشائر - كان مرتكزاً على أنَّ مسلم بن عقيل عليه السلام ليس إلاّ مبعوثاً من قبل الإمام الحسين عليه السلام لاستكشاف الأمر، وعلى أقصى التقادير لأخذ البيعة لا للقيام و«الثورة». ونذكر هنا بعض النماذج السريعة التي يمكن استشفاف الفهم السائد في ذلك العصر، منها:

النموذج الأول: رفقاء ابن زياد

روى ابن الأثير وغيره ما فعله ابن زياد من استعدادات لتأمين الوضع في البصرة وقالوا:

«ثم خرج عبيد الله من البصرة ومعه مسلم بن عمرو الباهلي وشريك بن الأعور الحارثي وحشمه وأهل بيته، وكان شريك شيعياً - وقيل: كان معه خمسمائة!! - فتساقطوا عنه، فكان أول من سقط في الناس شريك.

ورجوا أن يقف عليهم ويسبقه الحسين عليه السلام إلى الكوفة، فلم يقف على أحد منهم» (١) ...

والمفروض أنّ حركة ابن زياد كانت بعد وصول مسلم بن عقيل عليه السلام إلى الكوفة، وقد سمع أولئك «الخمسمائة!» بوصول مسلم عليه السلام إليها، ولم يفكروا في تأخير ابن زياد ليكسب مسلم بن عقيل عليه السلام الوقت في السيطرة، أو إحكام السيطرة على الكوفة، وإنما كان التفكير متركّزاً على اكتساب الوقت من أجل وصول سيّد الشهداء عليه السلام إلى الكوفة.

ولم نجد في ما وثق به التاريخ لنا من خبايا النفوس حساباً لنصر

(١) مع الركب الحسيني: ٣ / ٦٧، الكامل في التاريخ لابن الأثير: ٣ / ٣٨٨،

تاريخ الطبري: ٥ / ٣٥٩.

«ثورة ابن عقيل عليه السلام».

النموذج الثاني: فهم من سمع كتاب الإمام عليه السلام

قال الشيخ الطبسي - حفظه الله - :

«وقد تتابعت اجتماعات جماهير الشيعة في الكوفة مع مسلم عليه السلام، وكان يقرأ عليهم كتاب الإمام عليه السلام إليهم، فيكون ويقولون: والله لنضرب بين يديه بسيوفنا حتى نموت جميعاً» (١).

يبدو واضحاً من ردّ «الجماهير» حينما كانوا يسمعون كتاب الإمام عليه السلام فهمهم من مراد الكتاب ودعوة الإمام عليه السلام، وما يريده منهم مسلم بن عقيل عليه السلام حيث إنهم لم يفهموا القيام مع مسلم عليه السلام، وإنما القيام مع الإمام عليه السلام، فهم يعدونه القتال بين يدي الإمام عليه السلام حتى الموت.

قال الشيخ الطبسي - حفظه الله - بعد أن نقل رسالة مسلم بن عقيل للإمام عليه السلام:

«ومع تزايد عدد المبايعين لمسلم عليه السلام، والتفاف الناس حوله، كان لابدّ للأمر أن يفشو بين الناس في الكوفة، ويصير موضوع

(١) مع الركب الحسيني: ٣ / ٦٠، تذكرة الخواص: ٢٢١، روضة الواعظين: ١٧٤.

مسلم عليه السلام، وقضية انتظار الناس لمجيء الإمام عليه السلام حديث الساعة - يومذاك - في المساجد والبيوت والأسواق والطرق...»^(١).

فالحديث الذي كان يدور بين الناس، والفهم السائد عندهم، إنما هو انتظار الإمام عليه السلام، لا القيام و«الثورة» والاستيلاء على الكوفة..

النموذج الثالث: فهم الأبرار عابس وحبيب والحنفي

روى المؤرخون أحداث اجتماع الشيعة الأول مع مسلم بن عقيل عليه السلام، فلمّا قرأ عليهم مسلم عليه السلام كتاب الحسين عليه السلام أخذوا يبيكون..

«فقام عابس بن أبي شبيب الشاكري، فحمد الله وأثنى عليه، ثمّ قال:

أما بعد، فإنّي لا أخبرك عن الناس! ولا أعلم ما في أنفسهم! وما أغرك منهم! والله أحدثك عمّا أنا موطنٌ نفسي عليه. والله لأجيبنكم إذا دعوتكم، ولأقاتلن معكم عدوكم، ولأضربن بسيفي دونكم حتّى ألقى الله، لا أريد بذلك إلّا ما عند الله.

فقام حبيب بن مظاهر الفقعسي، فقال: رحمك الله، قد قضيت

(١) مع الركب الحسيني: ٣ / ٦١.

ما في نفسك بواجزٍ من قولك.

ثم قال: وأنا والله الذي لا إله إلا هو على مثل ما هذا عليه.

ثم قال الحنفي مثل ذلك» ^(١).

* * * * *

يلاحظ الخطاب الذي اشترك فيه ثلاثة من أساطين الشيعة، وأعلام الأنصار، وعظماء الكوفة يتنقل في ضمير الخطاب مع مسلم عليه السلام من ضمير الخطاب المفرد إلى ضمير الجمع.

فهو يخاطب مسلم بن عقيل عليه السلام أولاً فيقول: «فإني لا أخبرك عن الناس، ولا أعلم ما في أنفسهم، وما أغرك منهم، والله أحدثك عما أنا موطنٌ نفسي عليه».

نلاحظ الضمير في «لا أخبرك».. «ما أغرك».. «والله أحدثك»...

ثم يبدأ بالإصهار والكشف عما طوى عليه نيته، وشد عليه عزيمته، فيعدل في الضمير من المفرد إلى الجمع.. وهذا يكشف أن الخطاب - حينئذٍ - ليس موجهاً لمسلم عليه السلام بشخصه، وإنما هو موجه إليه باعتباره ممثلاً ونائباً وفرداً حاكياً عمّن وراءه، فيقول:

(١) انظر: تاريخ الطبري: ٥ / ٣٥٥، الفتوح لابن أعثم: ٥ / ٥٦، مقتل

«والله لأجيبنكم إذا دعوتكم، ولأقاتلن معكم عدوكم، ولأضربن بسيفي دونكم حتى ألقى الله، لا أريد بذلك إلا ما عند الله».

نلاحظ الضمير في «لأجيبنكم».. «ولأقاتلن معكم».. «عدوكم».. «دونكم»..

ولو كانت النصره معدّة لمسلم عليه السلام باعتباره مكلفاً بالقيام و«الثورة» لما خفي الأمر على مثل عابس وحبيب والحنفى، ولاستمرّ في ضمير المفرد.

أمّا أنه لم يخصّص الخطاب بالغائب قاصداً سيّد الشهداء عليه السلام، فلا يغيب السّرّ في ذلك على اللبيب بعد أن يعرف المستوى الرفيع لأصحاب القامات الشامخة في التاريخ، والمسلّمين لإمامهم، والعارفين بأهل بيته عليه السلام... الذين يسلمون لكلّ ما يمتّ إلى المعصوم بصلة، فكيف إذا كان مسلم بن عقيل عليه السلام، والأدب في الخطاب من سمات هؤلاء العظماء.

النموذج الرابع: فهم الناس

كان مسلم بن عقيل عليه السلام يقرأ على الناس كتاب الحسين عليه السلام، وكان الناس يبكون شوقاً إليه، وانتظاراً لقدمه، ويعدونه بالنصر.

قال ابن أعثم:

«وجعلت الشيعة تختلف إلى دار مسلم، وهو يقرأ عليهم كتاب

الحسين، والقوم سيكون شوقاً منهم إلى قدوم الحسين» (١) ...

وقال ابن كثير:

«فتسامع أهل الكوفة بقدومه - أي مسلم عليه السلام -، فجاءوا إليه فبايعوه على إمرة الحسين، وحلفوا له لينصرته بأنفسهم وأموالهم» (٢) ...

ولاشك في عودة الضمير في لينصرته إلى سيد الشهداء عليه السلام، وهو أقرب عائد.

وقال ابن الصبّاغ والشبلنجي:

«وأخذ منهم البيعة للحسين عليه السلام» (٣).

وهذه النصوص - وغيرها كثير - تدلّ بوضوح: أنّ الناس لم يفهموا من مجيء مسلم بن عقيل عليه السلام سوى الدعوة لسيد الشهداء عليه السلام، والبيعة له.

ولوفهموا القيام و«الثورة» معه لأفادوا في بعض معطيات كلماتهم ما يكشف عن «محمورية» مسلم بن عقيل عليه السلام في التحرك والقيام، ولركّزوا في خطاباتهم على الاستعداد على مواجهة السلطة تحت قيادة

(١) الفتوح لابن أعمش: ٥ / ٥٦.

(٢) البداية والنهاية لابن كثير: ٨ / ١٥٢.

(٣) الفصول المهمة لابن الصبّاغ المالكي: ١٨٤، نور الأبصار للشبلنجي: ٢٥٦.

مسلم بن عقيل عليه السلام ووو^(١)...

النموذج الخامس: موقف المعارضين

روى المؤرخون: أنَّ عمرو بن لوذان خاطب الإمام الحسين عليه السلام قائلاً:

«وإنَّ هؤلاء الذين بعثوا إليك لو كانوا كفوك مؤنة القتال، ووطأوا لك الأشياء، فقدمت عليهم، كان ذلك رأياً، فأما على هذه الحال التي تذكر، فإني لا أرى لك أن تفعل»^(٢)!

وقال عمر بن عبد الرحمن المخزومي للإمام عليه السلام أيضاً:

«إنَّك تأتي بلداً فيه عماله وأمرأه، ومعهم بيوت الأموال، وإنَّما الناس عبيد لهذا الدرهم والدينار، ولا آمن عليك أن يقاتلك مَنْ وعدك نصره! ومن أنت أحب إليه مَنْ يقاتلك معه»^(٣)!

وقال له ابن عباس:

«فإن كان أهل العراق يريدونك - كما زعموا - فاكتب إليهم،

(١) انظر للمزيد من التفصيل في أحداث قراءة كتاب الإمام الحسين عليه السلام على الناس وردود أفعالهم ومواقفهم «وقائع دخول المولى الغريب عليه السلام إلى الكوفة».

(٢) الإرشاد: ٢٠٥، الكامل في التاريخ: ٢ / ٥٤٩، مع الركب الحسيني: ٣ / ١١٣.

(٣) تاريخ الطبري: ٣ / ٢٩٤، مع الركب الحسيني: ٣ / ١١٣.

فلينفوا عدوّهم، ثمّ اقدم عليهم»^(١)!

وقد سمع الإمام عليه السلام أقوال هؤلاء الغافلين الذين يظنون - لجهلهم - أنّ الرأي يخفى على الإمام العالم عن الله، فأجابهم كلّاً بما يناسبه:
فقال لابن عباس:

«يا ابن عمّ، إني - والله - لأعلم أنّك ناصح مشفق»!

وقال للمخزومي:

«فقد - والله - علمت أنّك مشيت بنصح، وتكلّمت بعقل»!

ويقول لعمر بن لوذان:

«يا عبد الله، ليس يخفى عليّ الرأي»!..

فهو عليه السلام لم يقرّر لهم صواب الرأي، وإنّما قرّر لهم أنّهم تكلموا ناصحين، وقد جهدوا عقولهم، فتوصلوا إلى ما تسعه تلك العقول المحدودة، وأن لو كان هذا رأياً صائباً - ضمن مقدّرات القيام الحسيني - لما خفي عليه عليه السلام.

ولو كان قد قرّر صواب أقوالهم، وصحّة آرائهم، لوعدهم وقال: أنّه سيفعل ذلك، أو أنّه قد فعله بالفعل وبعث ابن عمّه مسلم بن عقيل عليه السلام للقيام بذلك!

(١) تاريخ الطبري: ٣ / ٣٩٥، مع الركب الحسيني: ٣ / ١١٣.

النموذج السادس: موقف الشيعة المخلصين

لو كانت الأجواء قد شحنت برياح «الثورة»، وكان مسلم بن عقيل عليه السلام على أهبة القيام والاستيلاء على الكوفة، لما ابتعد عنه خيار الشيعة، وتفرقوا في محلاتهم وديارهم التي كانت تبعد عن مركز الكوفة يومها من قبيل رشيد الهجري وحبيب بن مظاهر وغيرهم. ولكنهم قد علموا أن القيام لا يكون إلا بالحسين عليه السلام، وأن الاستيلاء على الكوفة، وإخراج السلطان، - على فرض كونها كانت مقصودة - إنما يكون حينما يقدم سيّد الشهداء عليه السلام فبايعوا للحسين عليه السلام، وتفرقوا كل في موقع للقيام بما يليه الموقف عليهم، وهم على أهبة الاستعداد للشهادة بين يدي سيّد الشهداء عليه السلام.

النموذج السابع: ردود كبير آل عقيل على ابن زياد

لقد سعى الدعيّ ابن الدعيّ وذنب القرد الأموي ابن زياد في كلامه مع البطل الهاشمي - فيما دار بينهما من حوار في القصر - أن يّتهمه ويفتري عليه، ليشفي غليله وحقده وضغينته من جهة، وليقدّم - زوراً - المسوّغات الكافية لقتله.

وكان ممّا ذكره في كلامه في محضر مسلم بن عقيل عليه السلام أنّه اتّهمه بشقّ العصا وإلقاح الفتنة و..

فكان يكلم مسلماً عليه السلام بصيغة المفرد ويّتهمه، ليكون مسلم بن

عقيل عليه السلام هو المخاطب شخصياً وبالذات، فكان مسلم عليه السلام يجيبه بصيغة الجمع، فيقول: أنتم أحق بها من ابن هند وابن مرجانة.

أضف إلى أن ابن زياد لم يذكر الكوفة والاستيلاء عليها والسيطرة على قصر الإمارة فيها كجرم - فيما يحسبه هو -، وإنما طرح قضية الملك والسلطان العام باعتبار أن المقصود رأس القرد الأموي ^(١).

ونذكر هنا نصاً مختصراً لجواب سيدنا ومولانا مسلم بن عقيل عليه السلام - كنموذج - ولك مراجعة النصوص بألفاظها المختلفة في كتاب «مسلم ابن عقيل - وقائع الشهادة».

قال المولى الغريب مسلم بن عقيل عليه السلام ردّاً على الدعي ابن الدعي:

«كذبت يا ابن زياد، إنما شق عصا المسلمين معاوية وابنه يزيد، وإنما ألحق الفتنة أنت وأبوك زياد ابن عبيد بن علاج من ثقيف، وأنا أرجو أن يرزقني الله الشهادة على يدي شر بريته.

فوالله ما خلعتُ، وما غيّرت، وإنما أنا في طاعة الحسين بن علي وابن فاطمة بنت رسول الله ﷺ، فهو أولى بالخلافة من

(١) للاطلاع على تفصيل ما ذكرنا انظر: كتاب مسلم بن عقيل وقائع الشهادة، للمؤلف.

معاوية وابنه وآل زياد» (١) ...

(١) مقتل الحسين عليه السلام للخوارزمي: ١ / ٢١١.

المورد السادس:

ملاحظة الأصول الاعتقاديّة

ملاحظة الأصول الاعتقاديّة التي تتعلّق بهذا الصدد، من قبيل إعطاء البيعة لغير المعصوم عليه السلام، وقيام غير المعصوم عليه السلام، وهكذا. ومن المعلوم ضرورة أنّ الاعتقاد الشيعيّ قائم على أن لا تكون البيعة والقيام والمطالبة بالحقّ في الولاية إلّا للمعصوم، أو من خوّله المعصوم بالنصّ.

ومّا لا شكّ فيه أنّ حركة مسلم بن عقيل عليه السلام، وأخذه البيعة، وقيامه و«ثورته»! ومطالبته بالحكم لم يكن أمراً مستقلاً عن القيام الحسيني، وإنّما كان خطوة في حركة سيّد الشهداء عليه السلام ليس إلّا.

فهو - إذن - محكوم بالموازين التي بناها الإمام المعصوم عليه السلام، وحلقة في سلسلة القيام الحسيني، وليس «ثورة»، بل خطوة في طول خط القيام الحسيني.

ولم يثبت لدينا فيما تفحصنا من المصادر، لا تخويل خاص من سيّد الشهداء عليه السلام بالبيعة لشخص مسلم بن عقيل عليه السلام، ولا بالقيام بـ«الثورة»، إلا ما ورد في كتاب ابن أعثم، وسيأتي مناقشته مفصلاً في هذه الدراسة.

فلا يصحّ أن يعبر عن حركة مسلم بن عقيل عليه السلام في الكوفة بالفشل، ولا بأنها لم تحقّق الغرض، لأنّ هذه التعابير تعني أنّ خطوة من خطوات القيام الحسيني باءت بالفشل - والعياذ بالله -.

ولا يمكن أن يقال عنها: أنها لم تحقّق الغرض، فإنّ مسلماً عليه السلام قد حقّق جميع الأغراض التي أرسل من أجل تحقيقها في تلك الفترة من جهة، ووضع اللبنة التي كان عليه أن يضعها ليكمل بناء القيام الحسيني من جهة أخرى.

وهذه النقطة بالخصوص هي من أهمّ النقاط التي ينبغي الالتفات إليها في دراسة حركة مسلم بن عقيل عليه السلام في الكوفة، كما سيأتي في بيان لوازم القول بـ«الثورة» إن شاء الله تعالى.

المورد السابع:

نصوص العلماء والمؤرخين والمشهور بينهم

تحدث المؤرخون عن مهمة المولى الغريب عليه السلام التي سافر من أجلها إلى الكوفة، وعبروا عنها بألفاظهم ومن خلال فهمهم وإدراكاتهم، ويمكن تقسيم هذه النصوص - حسب مفاداتها - إلى الأقسام التالية:

المفاد الأول: نصوص تدلّ على أنه كان رسولاً يستطلع الخبر فقط من دون أخذ البيعة

أهم ما في هذا العنوان من نصوص هو نصّ كتاب المولى سيّد الشهداء عليه السلام إلى أهل الكوفة، فإنّه يصرّح فيه بمهمة الاستطلاع، كما مرّ في المورد الثاني في هذه الدراسة، وكذلك ما ورد في المورد الأول، إضافة

إلى النصوص التي سنسمعها الآن، فإنّها جميعاً أكّدت أنّه مكلف بالاستطلاع فقط ولم يكلف بأيّ مهمّة أخرى حتّى أخذ البيعة لسيد الشهداء عليه السلام:

النصّ الأوّل: البلاذري

«فتلاحقت الرسل كلّها، واجتمعت عنده، فأجابهم على آخر كتبهم، وأعلمهم أن قد قدم مسلم بن عقيل بن أبي طالب، ليعرف طاعتهم وأمرهم، ويكتب إليه بحالهم ورأيهم. ودعا مسلماً، فوجّهه مع قيس بن مسهر، وعمارة بن عبد [كذا] وعبد الرحمن بن عبد الله بن ذي الكدر»^(١).

* * * * *

«قالوا: وكان مسلم بن عقيل أرجل ولد عقيل وأشجعها، فقدّمه الحسين بن علي عليه السلام إلى الكوفة حين كاتبه أهلها، ودعوه إليها، وراسلوه في القدوم، ووعدوه نصرهم ومناصحتهم، وذلك بعد وفاة الحسن بن علي، وموت معاوية بن أبي سفيان، وأمره أن يكتّم أمره، ويعرف طاعة الناس له»^(٢).

(١) جمل أنساب الأشراف للبلاذري: ٣ / ٤٢٢، ٢٧٠، أنساب الأشراف: ٣ / ٢٢٤،

(٢) جمل أنساب الأشراف للبلاذري: ٢ / ٣٣٤، أنساب الأشراف: ٢ / ٧٧.

النص الثاني: ابن الأثير والنويري

«... ثم دعا الحسين عليه السلام مسلم بن عقيل، فسيّره نحو الكوفة، وأمره بتقوى الله، وكتمان أمره واللطف، فإن رأى الناس مجتمعين له عجل إليه بذلك»^(١).

النص الثالث: ابن سعد والذهبي

«قالوا: وقد كان الحسين عليه السلام قدم مسلم بن عقيل بن أبي طالب إلى الكوفة، وأمره أن ينزل على هاني بن عروة المرادي، وينظر إلى اجتماع الناس عليه، ويكتب إليه بخبرهم»^(٢).

* * * * *

«فبعث الحسين ابن عمّه مسلم بن عقيل، أن سر، فانظر ما كتبوا»^(٣).

النص الرابع: أبو مخنف (المقتل المشهور)

«ثم دعا بمسلم بن عقيل، ووجهه معه قيس بن مسهر

(١) الكامل في التاريخ لابن الأثير: ٣ / ٢٦٧، نهاية الإرب للنويري: ٢٠ / ٣٨٦.

(٢) ترجمة الإمام الحسين عليه السلام من الطبقات لابن سعد: ٦٤، تاريخ الإسلام

للذهبي: ٢ / ٢٦٩، سير أعلام النبلاء: ٣ / ٢٠١، مختصر تاريخ دمشق ابن

عساكر، لابن منظور: ٢٧ / ٥٨.

(٣) سير أعلام النبلاء للذهبي: ٣ / ٢٠٦.

الصيداوي، وعمارة بن عبد الله السلولي، وأمره بتقوى الله واللفظ بالناس، فإن رأى الناس مجتمعين على رأيه يعجل له بالخبر»^(١).

النص الخامس: الطبري

«ثم دعا مسلم بن عقيل، فسرحه مع قيس بن مسهر الصيداوي وعمارة بن عبيد السلولي وعبد الرحمن بن عبد الله ابن الكدن الأرحبي، فأمره بتقوى الله وكتمان أمره، واللفظ، فإن رأى الناس مجتمعين مستوسقين عجل إليه بذلك»^(٢).

النص السادس: الشيخ المفيد والفتال

«ودعا الحسين عليه السلام مسلم بن عقيل، فسرحه مع قيس بن مسهر الصيداوي، وعمارة بن عبد الله السلولي وعبد الرحمن ابن عبد الله الأرحبي، وأمره بالتقوى، وكتمان أمره واللفظ، فإن رأى الناس مجتمعين مستوثقين عجل إليه بذلك»^(٣).

(١) مقتل أبي مخنف المشهور: ١٩.

(٢) تاريخ الطبري: ٥ / ٣٥٤، مقتل الحسين عليه السلام لبحر العلوم: ٢١٦، العبرات للمحمودي: ١ / ٢٨٩.

(٣) الإرشاد للمفيد: ٢ / ٣٧، روضة الواعظين للفتال: ١٤٨، بحار الأنوار للمجلسي: ٤٤ / ٣٣٥، العوالم للبحراني: ١٧ / ١٨٤، أسرار الشهادة للدربندي: ←

النص السابع: ابن كثير

«.. فعند ذلك بعث ابن عمّه مسلم بن عقيل بن أبي طالب إلى العراق، ليكشف له حقيقة هذا الأمر والاتفاق، فإن كان متحتماً وأمرأً حازماً محكماً، بعث إليه ليركب في أهله وذويه، ويأتي الكوفة ليظفر بمن يعاديّه، وكتب معه كتاباً إلى أهل العراق بذلك. فبعث إليهم مسلم بن عقيل» ... ثم ذكر قصّة مقتل مسلم عليه السلام ^(١).

النص الثامن: ابن الجوزي

«فبعث إليهم مسلماً لينظر ما قالوا» ^(٢).

النص التاسع: السيّد ابن طاووس

«ثمّ طلب مسلم بن عقيل، وأطلعه على الحال، وكتب معه جواب كتبهم يعلّمهم بالقبول، ويقول ما معناه: قد نفذت إليكم ابن عمّي مسلم بن عقيل ليعرفني ما أنتم عليه من رأي

٢١٨، نفس المهموم للقمي: ٨٢، مثير الأحزان للجواهري: ١٤؛ مقتل الحسين عليه السلام للمقرّم: ١٦٥، مقتل الحسين عليه السلام لبحر العلوم: ١٥٣، أعيان الشيعة للأمين: ١ / ٥٨٩، لوايع الأشجان: ٣٦، معالي السبطين للمازندراني: ١ / ٢٢٩.

(١) البداية والنهاية لابن كثير: ٨ / ١٥٢، ١٧٠.

(٢) المنتظم لابن الجوزي: ٥ / ٣٢٥، ٣٢٨.

جميل» (١).

النصّ العاشر: ابن نما والمجلسي

«ودعا مسلم بن عقيل وعرفه ما في نفسه، وأطلعه على أمره. وعن داود بن أبي هند عن الشعبي، قال: بايع الحسين عليه السلام أربعون ألفاً من أهل الكوفة على أن يحاربوا من حارب، ويسالموا من سالم.

فعند ذلك ردّ جواب كتبهم يئنّهم بالقبول، ويعدّهم بسرعة الوصول، وأنّه قد جاء ابن عمّي مسلم بن عقيل ليعرّفني ما أنتم عليه من رأي جميل.

ولعمري ما الإمام إلّا العامل بالكتاب، القائم بالقسط، الدائن بدين الحقّ، الحابس نفسه في ذات الله. وأمر مسلماً بالتوجّه بالكتاب إلى الكوفة» (٢).

المفاد الثاني: نصوص دلّت على كونه رسولاً فقط أو على

(١) اللهوف للسيد ابن طاووس: ٣٦ - ٣٧، معالي السبطين للمازندراني: ١ /

٢٢٨، مقتل الحسين عليه السلام لبحر العلوم: ٢١٣، ١٥٣.

(٢) مثير الأحزان لابن نما: ١١، بحار الأنوار للمجلسي: ٤٤ / ٣٣٧، العوالم للبحراني:

١٧ / ١٨٦، أسرار الشهادة للدربندي: ٢١٧.

الإرسال مطلقاً

نجد جملة من النصوص قد اقتضرت على ذكر عنوان المهمة، ولم تشر إلى فحواها ومحتواها، حيث عبرت عن المولى الغريب عليه السلام بصفة «الرسول» أو أنه «أرسل»، أو «بعث» و«وجه لهم» أو «بعث إليهم» أو «سير إليهم كتابه معه» فكأنه حامل كتاب وقاصد برسالة إلى من كاتب الإمام وطلب منه جواباً، لا أكثر:

النص الأول: اليعقوبي

«.. فوجه إليهم مسلم بن عقيل بن أبي طالب عليه السلام، وكتب إليهم، وأعلمهم أنه إثر كتابه»^(١).

النص الثاني: البلاذري

«.. فبعث [الحسين عليه السلام] إليهم مسلم بن عقيل»^(٢).

النص الثالث: الطبري

«.. فبعث إليهم مسلم بن عقيل»^(٣).

(١) تاريخ اليعقوبي: ٢ / ٢١٥.

(٢) جمل أنساب الأشراف للبلاذري: ٣ / ٤٢٢، ٢٧٠، أنساب الأشراف: ٣ /

٢٢٤، ١٥٩.

(٣) تاريخ الطبري: ٥ / ٣٩١.

النص الرابع: الطبري وابن الجوزي

«...فوجه إليهم ابن عمه مسلم بن عقيل بن أبي طالب عليه السلام» (١).

النص الخامس: ابن طلحة والأربلي

«... فكتب إليهم وسير جوابهم [مع] ابن عمه مسلم بن عقيل» (٢).

النص السادس: ابن طقطقي

«... فأرسل إليهم ابن عمه مسلم بن عقيل بن أبي طالب عليه السلام» (٣).

النص السابع: ابن عنبه

«... فأرسل إليهم ابن عمه مسلم بن عقيل بن أبي طالب» (٤).

(١) تاريخ الطبري: ٥ / ٣٤٧، المنتظم لابن الجوزي: ٥ / ٣٢٥.

(٢) مطالب السؤل لابن طلحة: ٧٤، كشف الغمة للأربلي: ٢ / ٤٢.

(٣) تاريخ الإسلام لابن طقطقي: ٢ / ٣٥٢.

(٤) عمدة الطالب لابن عنبه: ١٥٨.

النص الثامن: ابن الصباغ

«... فكتب جوابهم صحبتہ القاصدين، وسيرّ معهم ابن عمّه مسلم بن عقيل» (١).

النص التاسع: تاج الدين العاملي

«... فأرسل إليهم ابن عمّه مسلم بن عقيل عليه السلام» (٢).

المفاد الثالث: النصوص الدالة على أخذ البيعة

تطالعنا إضافة في نصوص هذا المفاد لم تكن في المفادين السابقين، وهي «أخذ البيعة»، ومن الواضح أن هذه الإضافة إنما جاءت في كلمات المؤرخ، إذ أننا قرأنا كلام سيّد الشهداء عليه السلام مع المولى الغريب عليه السلام حين وجّهه وقرأنا كتابه الذي زوّده به إليهم، ولم نجد أثراً صريحاً يدلّ على أخذ البيعة:

النص الأول: ابن سعد

«... ومسلم بن عقيل، وهو الذي بعثه الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام من مكّة يبايع له الناس» (٣).

(١) الفصول المهمة لابن الصباغ: ١٨٤.

(٢) التتمة لتاج الدين العاملي: ٧٨.

(٣) الطبقات الكبرى لابن سعد: ٤ / ٣٢.

النص الثاني: ابن قتيبة

«قال: فبعث الحسين بن علي مسلم بن عقيل إلى الكوفة،
يبايعهم له» ^(١).

النص الثالث: ابن حبان

«فأنفذ الحسين بن علي مسلم بن عقيل إلى الكوفة، لأجل
البيعة على أهلها» ^(٢).

النص الرابع: ابن عبد ربه والباعوني

«... وقد كان بعث الحسين بن علي مسلم بن عقيل بن أبي
طالب إلى أهل الكوفة ليأخذ بيعتهم» ^(٣).

النص الخامس: البري

«وبعث الحسين من مكة إلى الكوفة ابن عمه مسلم بن
عقيل ليصحح بيعته بها، ويأخذ العهود له من أهلها» ^(٤).

* * * * *

(١) الإمامة والسياسة لابن قتيبة: ٢ / ٤.

(٢) الثقات لابن حبان: ٢ / ٣٠٧.

(٣) العقد الفريد لابن عبد ربه: ٥ / ٣٢٧، جواهر المطالب للباعوني: ٢ / ٢٦٥.

(٤) الجوهرة للبري: ٤٢.

يفيد النصّ أنّ البيعة قد تمتّ من قبل، وإنّما بعث مسلم بن عقيل عليه السلام ليصحّحها ويوثّقها بأخذ العهد من أهلها.

النصّ السادس: الشجري

«وقد كان الحسين عليه السلام قدّم مسلم بن عقيل يبائع له في السرّ إلى الكوفة»^(١).

مفاد المفادات

يبدو واضحاً جليّاً لمن تابع أقوال العلماء والمؤرّخين، وراجع المتون التاريخية مراجعة سريعة - سواء ما ذكرناه منها وما لم نذكره - أنّها بكلّ مفاداتها لا يمكن أن يستشف منها تكليف مسلم بن عقيل عليه السلام بالـ«ثورة»، أو المواجهة المسلّحة في الكوفة من أجل إسقاط القصر كمركز لسلطان القزم الأمويّ، والاستيلاء على الكوفة تمهيداً لدخول سيّد شباب أهل الجنّة عليه السلام.

ولو كانت «الثورة» من مهامّ البطل الهاشمي وثقة الحسين عليه السلام لبانت في كلماتهم وكشفت عباراتهم عن فهمهم.

وما ورد في المفاد الثالث من أخذ البيعة فإنّه فهم المؤرّخ وتحليله أو أنّه ما أراد أن يسرّبه ويلقيه في ذهن المتلقّين، وهو قد فهم أو أراد أن

(١) الأُمالي للشجري: ١ / ١٦٧.

يفهم أنّ سيّد الشهداء ؑ إنّما أرسل المولى الغريب ؑ إلى الكوفة ليستظهر نيّاتهم ويستطلع مواقفهم وتوافق مزاعمهم الواردة في كتبهم وثباتهم عليها وعزمهم على تنفيذ ما كتبوه وصدقهم في ما وعدوه، فاستنتج المؤرّخ أنّ هذا يستبطن أو يؤدّي تقريراً ما كتبوه بالصفق على يدي المولى الغريب ؑ الكريمتين، وهو معنى أخذ البيعة كما يفهمها المؤرّخ، فرتب مقدمات واستنبط نتائج، أو قفز من بذهنه وذهن المتلقّي من عمليات الاستطلاع إلى أخذ البيعة فأرسلها إرسال المسلّات، وسدّ على ذهن الوقاد النقّاد طريق التأمل في متن كلام سيّد الشهداء ؑ سواء في الكتاب أو مشافهة مع المولى الغريب ؑ الذي رواه المؤرّخ نفسه ..

وربما كانت عبارة البرّي فيها شيء من الدقّة أكثر من غيره إذ قال: «ليصحّ بيعته بها، يأخذ العهود له من أهلها»^(١)، فكأنّه اعتبر الكتب المرسلة إلى سيّد الشهداء ؑ كانت تتضمّن معنى البيعة له، فجاء المولى الغريب ؑ ليصحّحها أي يتوثّق منها ويميّزها، ويؤكّدها بأخذ العهود له من أهلها.. هذا كلّ إن فهمنا من كتبهم التي أرسلت إلى سيّد الشهداء ؑ أنّها بيعة أو تتضمّن البيعة!

(١) الجوهرة للبرّي: ٤٢.

أدلة القائلين بـ«الثورة»

ربما استدّل بعض من أكّد على أن حركة ثقة الحسين عليه السلام في الكوفة كانت ثورة تقصد قطع ذنب القرد الأموي والاستيلاء على الكوفة بعدة استدلالات أو شواهد، استفاد منها مهمّة المولى الغريب عليه السلام، بالرغم ممّا سمعناه قبل قليل من تفصيل وتطويل في النصوص المتوفرة لدينا:

الدليل الأول:

نصّ كتاب الحسين عليه السلام برواية ابن أعثم

نقل في كتاب مع الـركب الحسيني تحت عنوان «سفير الإمام الحسين عليه السلام إلى الكوفة» عبارة الشيخ المفيد رحمه الله:

«ودعا الحسين عليه السلام مسلم بن عقيل، فسرحه مع قيس بن مسهر الصيداوي، وعمارة بن عبد الله السلولي وعبد الرحمن ابن عبد الله الأرحبي، وأمره بالتقوى، وكتمان أمره واللفظ، فإن رأى الناس مجتمعين مستوثقين عجّل إليه بذلك»..

ثم قال: وهل كانت مهمّة مسلم بن عقيل عليه السلام على ضوء هذه الرواية منحصرة في معرفة الرأي العام الكوفي، ومعرفة صدق

أهل الكوفة فيما كتبوا به إلى الإمام عليه السلام؟

هناك رواية أخرى تقول: إنّ رسالة الإمام عليه السلام إلى أهل الكوفة حوت أيضاً هذه العبارات:

"... وقد بعثت إليكم أخي وابن عمّي مسلم بن عقيل بن أبي طالب، وأمرته أن يكتب إليّ بحالكم وخبركم ورأيكم ورأي ذوي الحجى والفضل منكم، وهو متوجّه إليكم إن شاء الله، ولا قوّة إلّا بالله، فإن كنتم على ما قدمت به رسلكم وقرأت في كتبكم، فقوموا مع ابن عمّي وبايعوه ولا تخذلوهم، فلعمري ما الإمام العامل بالكتاب القائم بالقسط كالذي يحكم بغير الحق ولا يهتدي سبيلاً..."

ومن هذا النصّ يتجلّى لنا أنّ مهمّة مسلم بن عقيل عليه السلام في الكوفة لم تنحصر في استطلاع الرأي العام الكوفي ومعرفة حقيقة ومصادقيّة التوجّهات فيها، بل كانت مهمّته الأساسية فيها هي الثورة بأهل الكوفة ضدّ السلطة المحليّة الأمويّة فيها، والتمهيد للقضاء على الحكم الأموي كلّ! والدليل على هذا قوله عليه السلام:

"فقوموا مع ابن عمّي وبايعوه ولا تخذلوهم.." (١)

مناقشة الدليل الأول

يمكن أن يناقش هذا الدليل من خلال عدة إشارات:

الإشارة الأولى: التقابل بين ابن أعثم وجميع المؤرخين

رويت لنا في النص المذكور آنفاً روايتين: أحدهما عن الشيخ المفيد رحمته الله، والأخرى عن ابن أعثم، وكأنَّ التقابل بين هذين النصين فقط، ولما كانت وفاة الشيخ المفيد رحمته الله متأخرة عن وفاة ابن أعثم، فسوف يفهم المتلقي أنَّ المصدر الأقدم هو الذي يؤيد ما يُراد إثباته. في حين أنَّ التقابل ليس بين نصَّ الشيخ المفيد رحمته الله وابن أعثم فحسب، بل بين كلِّ المصادر التاريخية المتوفرة لدينا على الإطلاق على كثرتها، وبين نصَّ ابن أعثم.

ويبدو للمراجع - جلياً واضحاً - أنَّ ابن أعثم قد تفرّد بالنص هذا،

ولم ينقل عن غيره حسب علمنا سوى ما نقله الخوارزمي، وهو يروي عن ابن أعثم.

الإشارة الثانية: فقدان الشواهد المؤيدة

نحن نتفق أنّ كتاب الفتوح لابن أعثم مصدر لا يستهان به، ويمكن الاعتماد عليه حتّى فيما تفرّد به، ولكن يبقى أنّ ما تفرّد به لو كان غير مبين لما نقله الرواة والمؤرخون جميعاً لكان معتداً به، أمّا ما خالف المتسالم عليه تاريخياً من دون أيّ مؤيّدات أو شواهد وقرائن مؤكدة لما تفرّد به، فليس من السهل قبوله، وترتيب هذه الآثار الجليلة الكبيرة عليه.

الإشارة الثالثة: المهمة أكبر من نصّ واحد

لو كانت المهمة المطلوبة من مسلم عليه السلام هي «الثورة»، والإطاحة بالحكم ولو في الكوفة فقط، وما سترتب على ذلك من قتال ومواجهة ضخمة، لكانت دعوة سيّد الشهداء عليه السلام أكبر من نصّ تفرّد بزياداته ابن أعثم على أهميته.

الإشارة الرابعة: دلالة نصّ ابن أعثم على السفارة

بالرغم من مخالفة ابن أعثم للمشهور المتفق عليه - كما قرأت في ما مضى - من هذه الدراسة - فإننا نفترض أن ابن أعثم من القوّة بمكان

تسمح لنا بالإعراض عن المصادر طرّاً والتمسك به!
ومع ذلك، فإنّ نصّ ابن أعثم نفسه فيه من الدلالات والإشارات ما يجعل معطيات النصّ تختلف تماماً عن تلك النتائج المستخلصة منه.
ولو دققنا النظر في نصّ الكتاب برواية ابن أعثم نجده لا يختلف عمّا ورد في باقي النصوص التاريخية الواردة في المصادر الأخرى، وإنما يؤدي نفس المؤدى ويحصر المهمة كما حصرتها باقي المتون، وذلك بملاحظة القرائن التالية:

القرينة الأولى: قوله «والسلام»

ما معنى قوله «والسلام»، ثمّ استمراره بالكلام، «وهو متوجّه إلى ما قبلكم إن شاء الله تعالى، والسلام، ولا قوّة إلّا بالله، فإن كنتم على ما قدمت...».

والنصّ بهذا الترتيب يبعث على التأمل واحتمال وجود سقط أو زيادة من غير كلام الإمام عليه السلام.

ولا يخفى أنّ المستدلّ حذف كلمة «والسلام» في كتابه بالرغم من وجودها في نسخة المصدر المطبوعة، بل قد وجدها أيضاً في نسخة مخطوطة للفتوح^(١)...

(١) يبدو أنّها مستنسخة في بداية القرن الثاني عشر، وإن كان تاريخ الاستنساخ ←

القرينة الثانية: توجّه الأمر للناس لا للقائد

ما ورد في النص من الأمر بالبيعة والقيام والنصرة ليس هو من مهام مسلم بن عقيل عليه السلام التي بيّنها النص في صدر الكتاب وما رواه عقيب ذلك، وإنما هي من الأوامر المتوجّهة للناس.

فكيف يؤمر الناس بالقيام ولم يؤمر القائد بذلك؟

قال:

«وقد أمرته أن يكتب إليّ بحالكم، ورأيكم، ورأي ذوي الحجى والفضل منكم، وهو متوجّه إلى ما قبلكم إن شاء الله تعالى والسلام...»

وقال في ما رواه بعد نصّ الكتاب مخاطباً مسلم بن عقيل عليه السلام:
«وادع الناس إلى طاعتي واخذهم عن آل أبي سفيان، فإن رأيت الناس مجتمعين على بيعتي، فعجل لي بالخبر، حتّى أعمل على حسب ذلك».

يلاحظ في رسم المهمة المسندة إلى المولى الغريب عليه السلام كما شرحها الإمام عليه السلام للناس، فقال:

غير واضح جدّاً، ومصوّرتها موجودة في مكتبتى، وفيها: «وقد بعثت إليكم أخي وابن عمّي وبقيتي من أهل بيتي سليمان بن عقيل بن أبي طالب...»، ولا يخفى أنّ «سليمان» تصحيف أو سهو من الناسخ.

«أمرته أن يكتب إليّ بحالكم، ورأيكم، ورأي ذوي المحجى والفضل منكم»..

هذه هي حدود المهمة.. الاستطلاع وإرسال النتيجة إلى سيّد الشهداء عليه السلام، كذا أفهم الإمام الناس، فلا يبدو أنّه طلب منهم أو كلّفهم بالاستجابة للمولى الغريب مسلم عليه السلام في أكثر من ذلك، كالقيام وغيره.. ولم نسمع في تعليمات الإمام عليه السلام الصادرة لمسلم بن عقيل عليه السلام في ذيل الكتاب أمراً بالقيام و«الثورة»...

فالإمام لم يخاطب الناس، ولم يخاطب المولى الغريب عليه السلام بشيء يتم عن القصد المذكور.

القرينة الثالثة: صدر الكتاب وما ورد عقبيه

مع الأخذ بنظر الاعتبار ما ورد في مقدّمة النصّ الذي ذكرناه آنفاً من الكتابة بحالهم ورأيهم، وما ورد بعد الكتاب من دعوة الناس إلى طاعة شخص الإمام عليه السلام، والتخذيّل عن آل أبي سفيان، فإن رأى الناس مجتمعين على بيعته، عجلّ له بالخبر، ليعمل على حسابه، لا يسمح لنا السياق والفهم المسترسل - دون تكلف سابقة مفروضة في الذهن - حمل معنى «بايعوه» و«قوموا معه» على البيعة لشخص مسلم بن عقيل عليه السلام، ولا القيام بالمعنى الاصطلاحي الذي يعبر عنه بـ«الثورة».

فالدعوة أساساً لطاعة الإمام عليه السلام، والبيعة معه، والاستعداد للقيام

معه .

وإنما قال عليه السلام: «بايعوه» أي بايعوه لي، وهو ممثلي ونائبي بقرينة السياق، وشهادة ما ورد في صدر الكتاب وبعده .
 فيكون معنى «قوموا معه» أي هبّوا معه والزموه ولا تتركوه وحيداً، وأعينوه على أمره الذي جاء من أجله، وغيرها من المعاني التي يوصي بها القائد أتباعه للإلتفاف حول ممثله ومرسوله .
 فالأمر بالقيام هنا بما يناسب مهمته التي نصّ عليها الكتاب في صدره وما بعده .

وربما كان نصّ الطريحي في المنتخب يفسّر هذه الفقرة حيث قال:
 «إني قد أنفذت إليكم أخي وابن عمّي والمفضل عندي مسلم
 ابن عقيل بن أبي طالب، فاسمعوا له وأطيعوا رأيّه» ^(١).

القرينة الرابعة: الأمر بالتعجيل بالخبر

ورد عقيب الكتاب بعد أن خاطب الإمام عليه السلام الناس بالأمر بالبيعة والقيام معه قوله عليه السلام:

«وإدع الناس إلى طاعتي واخذلهم عن آل أبي سفيان، فإن رأيت الناس مجتمعين على بيعتي، فعجل لي بالخبر، حتّى

(١) المنتخب للطريحي: ٢ / ٤٢٢ .

أعمل على حسب ذلك».

نرى - هنا - النتائج المتفرعة على دعوة الناس إلى طاعة الإمام عليه السلام، وتحذيلهم عن آل أبي سفيان، والتأكد من اجتماع الناس على بيعة الإمام عليه السلام، إنما هي «فعجل لي بالخبر، حتى أعمل على حسب ذلك».

ولو كانت «الثورة» مطلوبة ومقصودة في متن مهمة مسلم بن عقيل عليه السلام لكانت النتيجة تناسب الأمر بـ«الثورة» والقيام، والتعليمات اللازمة لتحرير الكوفة من سلطان الأمويين وطريقة التعامل مع الناس، وأوزان الرجال الذين ينبغي توظيفهم للسيطرة على الأوضاع، كما أوصاه أن ينزل عند أوثق أهلها.

وهل يكون مجرد النزول عند أوثق الناس جديراً بالوصية، وإدارة «الثورة» وسياسة الناس أثناءها وبعدها إلى أن يصل الإمام عليه السلام لا تستحق الذكر بتاتاً؟!

القرينة الخامسة: الضمير في «بايعوه»

لو كان الأمر بالبيعة لشخص مسلم بن عقيل عليه السلام بالذات في قوله «وبايعوه»، لكان السياق يقتضي أن يقال: فإن رأيت الناس مجتمعين على «بيعتك»، فعجل بالقيام و«الثورة»، وطرد المتسلطين على رقاب الناس ظلماً وعدواناً، وما إلى ذلك، فيما نجد لفظ الخبر على غير ما

يرسمه الاسترسال في فهم العبارة، فيقول:

«فإن رأيت الناس مجتمعين على بيعتي».

فالمطلوب هو التأكد من مبايعة الناس للإمام المفترض الطاعة عليه السلام.

القرينة السادسة: تأخر الأمر بالبيعة على الأمر بالقيام

يلاحظ في نصّ الكتاب تأخر الأمر بالبيعة عن الأمر بالقيام،

قال عليه السلام:

«فقوموا مع ابن عمّي وبايعوه ولا تحذلوه» ...

فهو يأمر أولاً بالقيام، ثمّ يقول: «وبايعوه».

ومقتضى السياق يلزم أن يقول: «فبايعوه وقوموا معه»، لأنّ القيام

يحتاج إلى البيعة، والبيعة تتقدّم عليه عادة.

وفي قوله «لا تحذلوه» بعد قوله «وبايعوه» إشارة واضحة إلى المراد

من الأمر بالقيام، أي القيام للبيعة، فكأنّه شرح معنى «قوموا معه» بترك

الحذلان، وإلا لحقّ أن يلحق النهي عن الحذلان بالقيام لا بالبيعة ...

القرينة السابعة: الأمر بالقيام والبشارة بالشهادة!

قال ابن أعثم متابعاً روايته:

«ثمّ طوى الكتاب وختمه، ودعا مسلم بن عقيل عليه السلام فدفع إليه

الكتاب وقال له:

إني موجّهك إلى أهل الكوفة، وهذه كتبهم إليّ، وسيقضي الله من أمرك ما يحبّ ويرضى، وأنا أرجو أن أكون أنا وأنت في درجة الشهداء...».

قال في الكتاب المذكور أيضاً:

«ويستفاد من هذه الرواية أيضاً أنّ الإمام عليه السلام قد أشعر مسلم ابن عقيل عليه السلام أو أخبره بأنّ عاقبة أمره الفوز بالشهادة من خلال قوله: "وأنا أرجو أن أكون أنا وأنت في درجة الشهداء". والعلم بأنّ المصير هو القتل لا يمنع من المضيّ في أداء التكليف إذا كان الأمر متعلّقاً بإحدى مصالح الإسلام العليا. ومّا يدلّ على أنّ مسلم بن عقيل قد علم من قول الإمام عليه السلام أنّه متوجّه إلى الشهادة، وأنّ هذا آخر العهد بابن عمّه الحسين عليه السلام هو أنّهما تعانقا، وودّع أحدهما الآخر، وبكيا جميعاً» (١).

وقال قبل ذلك:

«ومن هذا النصّ يتجلّى لنا أنّ مهمّة مسلم بن عقيل عليه السلام في الكوفة لم تنحصر في استطلاع الرأي العام الكوفي ومعرفة

حقيقة ومصادقية التوجهات فيها، بل كانت مهمته الأساسية فيها هي الثورة بأهل الكوفة ضد السلطة المحلية الأموية فيها، والتمهيد للقضاء على الحكم الأموي كله» (١).

وقد سبق بشارة الإمام سيد الشهداء عليه السلام هذه إخبار النبي الأكرم صلى الله عليه وآله أمير المؤمنين علياً عليه السلام بأن مسلماً عليه السلام سوف يقتل في محبة الحسين عليه السلام، فقد روى الصدوق رحمه الله في أماليه:

«قال علي عليه السلام لرسول الله صلى الله عليه وآله: يا رسول الله، إنك لتحب عقيلاً؟

قال: إي والله، إنني لأحبه حبين: حباً له، وحباً لحب أبي طالب له، وإن ولده لمقتول في محبة ولدك، فتدمع عليه عيون المؤمنين، وتصلي عليه الملائكة المقربون.

ثم بكى رسول الله صلى الله عليه وآله حتى جرت دموعه على صدره، ثم قال: إلى الله أشكو ما تلقى عترتي من بعدي» (٢).

وروى صاحب ناسخ التواريخ، والمازندراني في معالي السبطين قالاً: «... ثم إنه - يعني مسلم بن عقيل عليه السلام - استعد للخروج، وقبل يدي الإمام عليه السلام ورجليه، وودّعه، وبكى بكاءً شديداً،

(١) مع الركب الحسيني: ٢ / ٤٥.

(٢) أمالي الصدوق: ١١١ مج ٢٧ ح ٣، بحار الأنوار: ٢٢ / ٢٨٨.

وقال: جعلت فداك، إنّي أعلم أنّي لا أراك بعد يومي هذا، وأرى هذا آخر اللقاء والملاقاة، فبكى الحسين عليه السلام وضمه إلى صدره، وعانقه عنقاً حاراً، فمضى - مسلم عليه السلام - وهو يبكي، ولم ترقأ له دمة، فقيل له: ممّ بكائك يا مسلم؟ فقال: أبكي لحرقه قلبي لفراق الحسين عليه السلام، لأنّ الدهر فرّق بيني وبين الحسين عليه السلام، وأبعد بيني وبينه، وفراقه لم يبق لي صبراً» (١).

* * * * *

وعلم الإمام عليه السلام وإخباره بالشهادة حق لا ريب فيه، وهو لا ينسجم ولا يلتئم مع الأمر بالقيام و«الثورة» والاستيلاء على الكوفة.

كما لا ينسجم مع قوله - حفظه الله - :

«والعلم بأنّ المصير هو القتل لا يمنع من المضيّ - في أداء

التكليف إذا كان الأمر متعلّقاً بإحدى مصالح الإسلام العليا»..

لأنّ الكلام هنا ليس في موقف مسلم بن عقيل عليه السلام حتّى يجاب

بأنّ «القتل لا يمنع من المضيّ في أداء التكليف»، وإنّما الكلام في تكليف

الإمام عليه السلام له، وهو يعلم أنّه يقتل!!

ولا يقاس تكليف مسلم بن عقيل عليه السلام بقيام سيّد الشهداء عليه السلام،

لأن الغرض من إرسال مسلم عليه السلام هنا هو استطلاع مواقف الكوفيين والكتابة إلى سيّد الشهداء عليه السلام والاستيلاء على الكوفة تمهيداً لدخول الإمام عليه السلام على حسب الفرض، أو «التمهيد للقضاء على الحكم الأمويّ كلّهُ» (١).

ولاننسى -العامل الغيبي ولا الهدف الأصلي من قيام سيّد الشهداء عليه السلام الذي كان موعوداً بالشهادة في كربلاء، وكان متوجّهاً إلى أرض المصرع، حيث كانت كربلاء وجهته الأساسيّة لا الكوفة!!

القرينة الثامنة: معنى الكتمان واللفظ

تخيّر الكتاب والمؤلفون في تفسير معنى الأمر بالكتمان واللفظ، فقالوا في كتاب «مع الركب الحسيني»:

«ماذا يعني كتمان الأمر هنا؟ هل يعني أن يكتُم مسلم بن عقيل عليه السلام أمر سفارته ما دام في الطريق حتّى يصل إلى الكوفة؟

أم يعني أن يتّبع مسلم بن عقيل عليه السلام الأسلوب السريّ في تعبئة أهل الكوفة للنهضة مع الإمام عليه السلام؟

أم يعني أن يكتُم أمر مكانه، وزمان تحركاته، ومواقع مخازن

(١) مع الركب الحسيني: ٢ / ٤٥.

أسلحته، وأشخاص قياداته، ومعتمديه من أهل الكوفة حتّى يصل إليها الإمام عليه السلام أو يأذن بذلك؟»^(١)..

* * * * *

ويمكن أن تناقش هذه الاحتمالات التي ذكرت من خلال عدّة لفتات:

اللفتة الأولى: أن يكون الكتمان واللفظ للطريق

«يعني أن يكتّم مسلم بن عقيل عليه السلام أمر سفارته ما دام في الطريق حتّى يصل إلى الكوفة»؟

ويرد على هذا:

أولاً:

إنّ مهمّة مسلم بن عقيل عليه السلام كانت في الكوفة، ولم يكن مكلفاً بدعوة من يمرّ بهم في الطريق من قرى وأرياف ورساتيق، أو من يمرّ بهم في المنازل والجواد، ولم نجد في النصوص ما يشير إلى أنّه كان مكلفاً بدعوة كلّ من يلقاه إلى البيعة أو نصرة الإمام عليه السلام، وإنّما كان موجّهاً إلى أهل الكوفة خاصّة إستجابة لدعواتهم.

(١) مع الركب الحسيني: ٢ / ٤٤.

ثانياً:

يبدو من المتون التاريخية - واضحاً - أنَّ مسلم بن عقيل عليه السلام لم يخرج بجيش وعسكر وموكب رسمي يثير الانتباه لمن يلقاه في الطريق، وإنما خرج بصحبة أفراد معدودين، في طريق عام يمرّ به كلّ من قصد الكوفة من الحجاز، وقد استغرقت رحلته نفس المدة التي استغرقها سيّد الشهداء عليه السلام من مكة إلى الكوفة.

ثالثاً:

لم يحدّثنا التاريخ أنَّ مسلماً عليه السلام التقى أحداً في الطريق، فسأله عن وجهته فكتمها عنه، أو أنّه دعا أحداً في الطريق إلى نصره سيّد الشهداء عليه السلام.

اللفة الثانية: الأسلوب السري في التعبئة

«أن يتّبع مسلم بن عقيل عليه السلام الأسلوب السري في تعبئة أهل

الكوفة للنهضة مع الإمام عليه السلام؟

ويرد على هذا:

أولاً:

يرد عليه ما ورد في الكتاب المذكور بعد أن نقل نصّ ابن أعثم:

«ومن هذه الرواية نستفيد أنَّ «كتمان الأمر» في الرواية الأولى لا

يعني أتباع مسلم بن عقيل أسلوب العمل السري في الدعوة إلى طاعة الإمام عليه السلام، ذلك لأن ظاهر قوله عليه السلام "وادع إلى طاعتي" هو العلانية في العمل»^(١).

ثانياً:

قد بايع مسلم بن عقيل عليه السلام في الكوفة أكثر من ثلاثين ألفاً - على بعض الأقوال - وأقل ما ذكر في ذلك اثنا عشر ألفاً، فأَي سرية تبقى مع هذا العدد الذي احتوى الخليط الاجتماعي المتقلب. ولو كان مفاد الكتمان هو السرية في دعوة الناس، لما خالفه مسلم ابن عقيل عليه السلام بتاتاً.

اللفتة الثالثة: الانطلاق من أهل الثقة

قال - حفظه الله - في الكتاب المذكور بعد أن استفاد أن الأمر بالكتمان «لا يعني أتباع مسلم بن عقيل أسلوب العمل السري في الدعوة إلى طاعة الإمام عليه السلام»، قال:

«نعم، قد يلزم أن تكون البداية والمنطلق من أهل الثقة والولاء، وهذا ما يشعر به قوله عليه السلام "فإذا دخلتها فانزل عند

(١) مع الركب الحسيني: ٢ / ٤٥ - ٤٦.

أوثق أهلها" (١).

ولاندري ما علاقة «أن تكون البداية والمنطلق من أهل الثقة والولاء» وأمر الإمام مسلماً عليه السلام بالكتمان؟! ولا نعرف للملازمة وجهاً.

اللفتة الرابعة: كتمان خصوصيات عمله

«أن يكتم أمر مكانه وزمان تحركاته، ومواقع مخازن أسلحته،

وأشخاص قياداته، ومعتمديه من أهل الكوفة حتى يصل إليها

الإمام عليه السلام أو يأذن بذلك»؟

ويرد على هذا:

أولاً: أن يكتم أمر مكانه

إذا قلنا: أن المراد من الأمر بالكتمان «أن يكتم أمر مكانه»، فليزمن

هذا أن يكون مسلم بن عقيل عليه السلام - وحاشاه - قد خالف أمر سيد

شباب أهل الجنة عليه السلام حينما أعلن عن مكانه.

ففي تاريخ الطبري والبداية والنهاية لابن كثير وتهذيب الكمال للمزي

وغيرهم، في خبر دخول مسلم بن عقيل عليه السلام إلى الكوفة، واللفظ

للأول:

«فكتب إليه - أي إلى مسلم بن عقيل عليه السلام - الحسين عليه السلام أن

(١) مع الركب الحسيني: ٢ / ٤٥ - ٤٦.

امض إلى الكوفة، فخرج حتى قدمها ونزل على رجل من أهلها
يقال له: [مسلم] بن عوسجة.

قال: فلما تحدّث أهل الكوفة بمقدمه دبّوا إليه فبايعوه، فبايعه
منهم اثنا عشر ألفاً^(١).

وذكر الدينوري أنّه حينما نزل عند هاني «احتفّ به هاني، ودعا
القبائل لمبايعته، فبايعه في منزله!! ثمانية عشر ألفاً»^(٢).

ومعنى هذا أنّ هذه الأعداد الضخمة التي انهالت على مكان مسلم
ابن عقيل عليه السلام للبيعة قد عرفت مكانه، حيث بايعته في المنزل!

«وقد بايعه في الكوفة أكثر من ثلاثين ألفاً على رواية العقد
الفريد وجواهر المطالب وغيرهما، وبايعه أربعون ألفاً على رواية
ابن نما في مثير الأحزان^(٣)، وأقلّ ما ذكر في ذلك اثنا عشر ألفاً،

(١) انظر: تاريخ الطبري: ٥ / ٣٤٧، الأمالي للشجري: ١ / ١٩٠، تهذيب الكمال
للمزي: ٦ / ٤٢٢، سير أعلام النبلاء للذهبي (ط مصر): ٣ / ٢٠٦، تهذيب
التهذيب لابن حجر: ٢ / ٣٤٨، الإصابة لابن حجر: ١ / ٣٣٢، استدراك ابن
بدران على ابن عساکر: ٤ / ٣٣٥، المنتظم لابن الجوزي: ٥ / ٣٢٥، مروج
الذهب للمسعودي: ٣ / ٦٤...

(٢) حياة الإمام الحسين عليه السلام للشيخ القرشي رحمته الله: ٢ / ٣٦٢ عن الأخبار الطوال
للدینوری: ٢١٤.

(٣) مثير الأحزان: ٢٦.

وكان مسلم بن عقيل عليه السلام، وكلّ هؤلاء كانوا يعرفون بشكل من الأشكال مكانه عليه السلام»^(١).

ثانياً: أن يكتّم زمان تحركاته..

إذا كان المراد كتمان «زمان تحركاته ومواقع مخازن أسلحته وأشخاص قياداته ومعتمديه من أهل الكوفة حتّى يصل إليها الإمام عليه السلام أو يأذن بذلك؟».

فيمكن أن يجاب بجوابين:

الجواب الأوّل:

إنّ هذا من البديهيّات التي لا يغفل عنها أيّ عامل في أجواء التقيّة وظروف الجهاد والبلد الذي يحكمه الطاغوت، فكيف بمثل مسلم ابن عقيل عليه السلام.

إلا أن يقال: إنّه خرج مخرج التأكيد والتذكير، ولأمانع من صدوره بهذا العنوان.

الجواب الثاني:

إنّ هذا الفرض يؤيّد تماماً أن تكون مهمّة مسلم بن عقيل عليه السلام السفارة لا «الثورة»، وكتمان «زمان تحركاته ومواقع مخازن أسلحته

(١) انظر: مسلم بن عوسجة للسيد علي السيّد جمال أشرف.

وأشخاص قياداته ومعتمديه من أهل الكوفة حتى يصل إليها الإمام عليه السلام أو يأذن بذلك»، يعني أنه غير مكلف بالثورة حتى يصل الإمام عليه السلام، أو يأذن بالقيام.

اللفتة الخامسة: معنى اللطف

الأمر بالكتمان واللطف يخالف القيام و«الثورة» خصوصاً أنَّ الأمر بالكتمان ورد مطلقاً غير مقيّد بأيّ قيد من قبيل حتى يستحكم الأمر وتحصل الفرصة للوثوب على السلطة وما شاكل.

وهو يناسب أيضاً الأمر باللطف الوارد في كلامه عليه السلام، فاللطف في العمل: الرفق به، كما في مجمع البحرين.

واللطيف الذي يوصل إليك أربك في رفق، ويقال: لطف به وله، بالفتح، يَلُطِفُ لُطْفًا إذا رَفَّقَ به.

والتَلَطَّفُ للأمر: الترفُّق له، كما في لسان العرب.

فيكون المعنى: اعملوا برفق ﴿وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا﴾، والقيام و«الثورة»، تستلزم أن يشعر بهم الطاغوت، لأنهم سيواجهونه، ويزعزعون كيانه، ويقاتلونه، وتستلزم الانكشاف والتعرّض لسيوف الأعداء، فلا يتحقّق الكتمان واللطف.

النتيجة:

يبدو أنّ كلّ الاحتمالات التي يمكن تصوّرها لتقديم معنى مناسب للأمر بالكتمان تتعارض مع مواقف مسلم بن عقيل عليه السلام، وما قام به في الكوفة، وتحركاته على وجه العموم.

وربما كان المعنى الوحيد الذي ينسجم تماماً مع ما سجّله لنا التاريخ إنّما هو ترك القيام و«الثورة».

واستعمال «الكتمان» بمعنى ترك القيام وعدم مواجهة الطاغوت بـ«الثورة» المسلّحة بغرض الإطاحة به في كلام أهل البيت عليهم السلام لا يخفى على من عرف معاريض كلامهم عليهم السلام، وجاس خلال ديار أحاديثهم ...

الإشارة الخامسة: تحريض البصريين

لو كانت مهمّة مسلم عليه السلام «الثورة» لضمّن الإمام عليه السلام ذلك في كتابه إلى أهل البصرة في إشارة إلى أنّ الثورة قد انطلقت، وأنّ الثائر في الكوفة قريب منهم، وأنّ الراحل إليه قريب المسافة، فلتفتح جبهة في البصرة تربك الوضع على ابن زياد والأمويين، أو ليلتحقوا بالكوفة وينصروا الثائر الهاشمي القائم فيها، فإنّ الكوفة قريب من البصرة.

فيما لم نسمع ذلك، وكلّ ما جاء في نصّ الرسالة - على اختلاف النسخ وفهوم المؤرّخين والعلماء - دعوة للنصر والقيام معه هو بالذات

وإطاعة أمره واستماع قوله عليه السلام^(١).

الإشارة السادسة: الفرق بين خروج الثائر وخروج السفير

على فرض صحّة خبر الدليلين - وقد ناقشناه تحت عنوان مسلم ابن عقيل عليه السلام قصّة التطيّر - فهل أنّ الثائر يخرج إلى بلد يريد أن يثور فيه، ويستولي فيه على السلطة، ويسخّر فيه أجهزة الحكم القائم، ويطرّد الوالي، ويعدّ العدة لدخول سلطان الدنيا والآخرة يخرج مع دليلين فقط؟ أو أنّه كان يخرج - على الأقلّ - بجيش أو بعدّة وعدد تناسب المهمة الخطيرة الواسعة.

وهل كان يتنكّب الطريق، ويمشي بالسرّ، ويؤمر بالكتمان واللطف؟

الإشارة السابعة: ما فائدة الثورة والكوفة بأيدي الثوّار

لما بايع أكثر أهل الكوفة، أو كانوا بين مبايع وموادمع! - كما يقولون - وكان الوالي محصوراً في قصره لا حول له ولا طول، ولا يستطيع الخروج من باب قصره، وليس له في الكوفة قوّة يمكن أن يستند إليها، لأنّ المبايعين «الثوّار» قد ملأوا الشوارع والبيوت والأزقة، وهذا المقدار كاف للثوّار في ضبط الوضع على هذا الحال حتّى يقدم الحسين عليه السلام، ولا معنى

(١) للاطلاع على كتابه عليه السلام إلى أهل البصرة انظر: موسوعة الإمام الحسين عليه السلام: ١

للثورة - حينئذٍ - والبلد بأيديهم يتصرفون به بمعزل عن الوالي وأجهزة السلطة.

الإشارة الثامنة: عدم الاستيلاء على الكوفة أيام النعمان بن

بشير

لو كان الاستيلاء على الحكم والسيطرة الإدارية والسياسية على الكوفة من مهامّ المولى الغريب مسلم عليه السلام، لقام به في الأيام الأولى من دخوله الكوفة قبل مجيء ابن زياد، حيث كانت الكوفة تسارع للبيعة وإعلان الطاعة له ولمرسله سيّد شباب أهل الجنة عليه السلام، وكان قد بايعه - حسب الكتاب المرسل لسيّد الشهداء الحسين عليه السلام - ثمانية عشر ألفاً، وكان النعمان بن بشير «ضعيف أو يتضعّف»، ولأحكم قبضته على الكوفة ومنع ابن زياد من دخولها وصده عنها، وابن زياد يومها مهين، وفي عدّة وعديد لا تكاد تبين، وفيهم من هو في عداد الثائرين من قبيل شريك بن الأعور.

الإشارة التاسعة: لم يأخذ البيعة من أحد للقتال معه

لم نقرأ في التاريخ أنّ مسلماً عليه السلام كان يأخذ البيعة من أحد على أن يقاتل معه، وإنّما كان يأخذ البيعة للحسين عليه السلام، ولو كانت «الثورة» هدفاً له لأخذ البيعة منهم لنفسه، وأكد عليهم الاستعداد لنصرته والقيام

معه ...

الدليل الثاني:

جمع السلاح والمال

ربما استدلّ البعض على ما ذهب إليه من قيام مسلم بن عقيل عليه السلام بـ«الثورة» للاستيلاء على الكوفة، واعتقال أو طرد أذنان القرد الأمويّ بما قام به عليه السلام من جمع للسلاح والرجال والعدّة والعدد، والاتفاق على كلمة سرّ وشعار للنداء به في الإعلان عن انطلاق «الثورة».

وربما قيل: إنّ مسلم بن عقيل عليه السلام لو كان مجرد مبعوث وسفير لأخذ البيعة لما قام بذلك إلّا أن يقال: إنّه كان يبيّت «الثورة».

مناقشة الدليل الثاني

إنّ هذا الاستدلال لا يثبت أمام النقد، ولا يصمد للمناقشة، ويمكن اختزال الردّ عليه برّدّين:

الردّ الأوّل: لا دليل عليه

لا نريد - هنا - أن نطيل الكلام، ونعيد ما قرّناه بشكل مفصّل فيما سبق من البحث، بيد أنّنا نقول بكلمة واحدة: إنّ النصوص والمتون التاريخية بكلّ تفاصيلها التي مرّت معنا لم نسمع فيها أيّ إشارة من سيّد الشهداء عليه السلام تفيد تكليف مسلم بن عقيل عليه السلام بـ«الثورة».

ونحن نعرف الثقة المعتمد والعالم الناصح لإمام زمانه، ونجزم بالقطع واليقين أنّه لا.. ولم.. ولن.. يتخطّى ما رسمه له سيّد شباب أهل

الحجّة عليه السلام، وأمره به إمام زمانه المفترض الطاعة.

ثمّ إنّ جمع السلاح والعدّة والعدد فرع ثبوت أصل العمل، فلا بدّ أن نثبت أولاً أنّه كان يبيّت الثورة أو أنّه مأمور بها، ثمّ نستفيد من هذه الظاهرة كشاهد على ذلك.

فهو - إذن - لم يبيّت «الثورة»، ولم يجمع لها سلاحاً ولا عدداً ولا عدّة، وفي حال ثبوت ذلك تاريخياً، فلا بدّ من توجيه السلاح والرجال إلى أمر آخر غير «ثورة» مسلم عليه السلام وقيامه شخصياً.

الردّ الثاني: دوافع جمع الرجال والسلاح

ربما كان جمعه السلاح والرجال وتوزيع الشعار وكلمة السرّ على المقاتلين المبايعين الذين أعلنوا استعدادهم للنصرة لدوافع أخرى غير القيام بعمل مسلّح ومواجهة السلطة بغرض إسقاطها والقضاء عليها، ويمكن تصوير بعض الدوافع كالتالي:

الدافع الأول: الإعداد لسيّد الشهداء عليه السلام

كانت المسافة الزمنية بين دخول مسلم عليه السلام وتوجّه الحسين عليه السلام نحو العراق ليست بالطويلة، وكان سيّد الشهداء عليه السلام قد تحرّك من وطنه ومسقط رأسه إلى مكّة، وكان مسلم بن عقيل عليه السلام قد سار إلى الكوفة من مكّة المكرّمة، فهو قد وصل الكوفة وسيّد الشهداء عليه السلام في طريقه

إليها.

فهو - إذن - يعدّ الناس، ويكرّس الكراديس لاستقبال سيّد الشهداء عليه السلام، ليكون الناس على أهبة الاستعداد إذا وصل سيّد الشهداء عليه السلام إليهم.

ويشهد لذلك أنّ الإمام خامس أصحاب الكساء قد وعدهم أن يكون عندهم وشيكاً إذا كتب له ثقته ومعتمده.

ويشهد له أيضاً أنّه كان يأخذ البيعة من الناس، ولم يسلكهم في رايات، أو يقسمهم تقسيم الجيش، أو ينظّمهم تنظيم العسكر، إلى لحظة الانطلاق إلى القصر.

ولو كان الاستيلاء على الحكم والثورة هدفاً له لمجهّز جيشه منذ أخذ البيعة، بأن يأخذ البيعة من الرجل ويقول له: إنك تنضوي تحت اللواء الفلاني والربع الكذائي مثلاً.

الدافع الثاني: لدفع أيّ خطر متوقّع

إنّ مسلم بن عقيل عليه السلام كان في الكوفة، وهو معرّض - بحكم التشكيلة الاجتماعية ووجود الحاكم الأمويّ وأتباعه - إلى أخطار المداهمة والاعتقال والغدر والغيلة، هو وباقي رؤوس الشيعة والأنصار، فكان من الطبيعي جدّاً أن يتخذ لنفسه حماية، ويعدّ العدة لمواجهة أيّ خطر مرتقب قد يتعرّض له شخصياً أو تتعرّض له حركته ورجالها في

الكوفة، ومن أجل ذلك جمع الرجال حوله، وأعطاهم كلمة السر، ليهبوا دفعة واحدة إذا اقتضى الموقف ذلك.

وبالفعل فإنه وظّفهم في عملية إنقاذ هاني بن عروة.

* * * * *

إنّ تفسير جمع السلاح والعدّة والعدد بالمقصود منها، وهو حسب الفرض التبييت للثورة، لا يعدو أن يكون احتمالاً مستفاداً من قراءة النصوص، فهو احتمال، ومجرد وجود احتمالين آخرين يازائه كافٍ لرفع تفسير الموقف بالجمع للثورة..

الدليل الثالث:

مسلم عليه السلام يعزم على الخروج فيمنعه هاني

ربما استدّل البعض على تبَيُّت مسلم بن عقيل عليه السلام للثورة من خلال ما نقله ابن أعثم وغيره ممّن تأخّر عنه، فزعم أنّ مسلماً عليه السلام عزم على الخروج، فنهاه هاني.
قال:

«.. وهمّ مسلم بن عقيل أن يثب إلى عبيد الله ابن زياد، فيمنعه هاني من ذلك، ويقول: لا تعجل، فإنّ العجلة لا خير فيها»^(١).

وقال الخوارزمي:

«وهمّ مسلم أن يثب بعبيد الله بن زياد، فننعه من ذلك هاني

ابن عروة، فقال له: جعلت فداك، لا تعجل، فإنّ العجلة لا

خير فيها»^(١).

وقال ابن شهرآشوب:

«فعزم على الخروج، فقال هاني: لا تعجل»^(٢).

(١) مقتل الحسين عليه السلام للخوارزمي: ١ / ٢٠١.

(٢) المناقب لابن شهرآشوب: ٤ / ٩١، بحار الأنوار للمجلسي: ٤٤ / ٣٤٣، العوالم

للبحراني: ١٧ / ١٩٢، أسرار الشهادة للدربندي: ٢٢٠، نفس المهموم للقمي:

٩٥، أعيان الشيعة للأمين: ١ / ٥٩١، لواعج الأشجان: ٤٧.

مناقشة الدليل الثالث

لا يخفى أنَّ ابن أعثم هو أقدم مصدر لهذه الحكاية - حسب
فحصنا - ويبدو أنَّ الخوارزمي وابن شهر آشوب ينقلان عنه .
وهو ينسجم مع متن الكتاب الذي رواه ابن أعثم في فتوحه .

* * * * *

ولما كان هاني بن عروة هو الذي منعه عن الوثوب على ابن زياد
يعني أنَّ مسلم بن عقيل عليه السلام قد عزم على الوثوب قبل اعتقال هاني .

* * * * *

ويمكن أن يناقش هذا بالمناقشات التالية:

المناقشة الأولى: تفرد ابن أعثم

يلاحظ أن ابن أعثم يتفرد في هذا القول ، ولم يسمع من غيره من

المؤرخين الذين سبقوه.

ولم نسمع شيئاً عن «الثورة» والعزم على الوثوب على لسان مسلم ابن عقيل عليه السلام، أو على لسان أحد المعصومين عليهم السلام، أو غير ابن أعثم من المؤرخين والعلماء.

فهي دعوى خاصة به، وهو أول من ذكرها من المؤرخين حسب فحصنا، والخوارزمي يصرّح أنه ينقل عنه، والشيخ ابن شهر آشوب يصرّح أن الفتوح من مصادره، وكثيراً ما يروي عنه في سرد أحداث قيام سيّد الشهداء عليه السلام حسب تتبعنا لمتنه عند تحقيق كتابه.

المناقشة الثانية: النصّ أعمّ من الدعوى

إنّه لم يذكر سبب عزمه على الوثوب، فربما كان سبب عزمه على الخروج التأكّد من عزم ابن زياد على اعتقال هاني واعتقاله، فأراد المولى الغريب عليه السلام أن يباغت ابن زياد بضربة استباقية قاضية تجعله وأنصاره في أمان من سطوات هذا الطاغية المتهوّر.

ولا يفوتنا أنّ ابن زياد كان قد باشر باعتقال الشيعة وملاحقتهم بسيول القِيء الاجتماعي الذي تجمّع عنده والثفّ حوله.

كما لا يفوتنا أنّ مسلم بن عقيل عليه السلام وهاني بن عروة كانا مطلوبين لابن زياد.

والنصّ لا يصرّح بإرادة الوثوب من أجل «الثورة» المخطّط لها

للاستيلاء على الكوفة.

المناقشة الثالثة: تدين هاني وطاعته

لو كان مسلم بن عقيل عليه السلام قد عزم على الوثوب حقاً لما كان هاني يتخذ موضع المعارض ولا الناصح، وهو يعرف أنه بين يدي ثقة الحسين عليه السلام، ومن أمره أمراً مامه عليه السلام، وهاني في الذروة من التسليم والطاعة لإمامه ونائبه.

بيد أننا نعاني من جهل المؤرخ بقداصة هؤلاء الأشخاص الميامين، وجهله بأشخاصهم وخصوصياتهم وإيمانهم ومعرفتهم، وبالتالي فهو يجهل طريقة التعامل بينهم ومعهم، ولا يعرف أدب الوقوف في رحابهم وفهم مواقفهم وإدراك أدبهم ورفعتهم وسموهم والتزامهم بدينهم وقيمهم.. فينسب لهم ما لو كان يعرفهم لم ينسبه إليهم.

فالمؤرخ في الغالب يعاملهم ويعالج مواقفهم كأى حركة إجتماعية وكظاهرة سياسية أو عسكرية، وكأشخاص وذوات كباقي الذوات، مقطوعاً عن امتداداتها الإلهية والغيبية والروحانية، وغافلاً عن دوافعها الدينية والشرعية، والتزاماتها المرتكزة على الأنوار العقائدية التي تغمر كياناتهم، وقاصراً عن النظر إلى ما تحوّلهم من هالات القداسة والظهور.. فيظن أن هانياً الشيخ الكبير والفادي الخطير يمكن أن يصوره المؤرخ - كما يحلوه - في موقف المعارض الذي يخطئ عمل ثقة إمامه وسفيره!

الذي يعرفه جيّداً، ويعلم أنّه بطل هاشميّ علويّ خبير مجرّب وحاذق عالم أريب، فضلاً عن تمثيله لإمامه المفروض الطاعة عليه من الله ورسوله صلّى الله عليه وآله.

المناقشة الرابعة: مسلم عليه السلام أمر وليس مأموراً

لا يخفى على المتتبّع - خبيراً كان أو غير ذلك - أنّ هندسة صياغة الحدث في الكوفة تجري على أساس عرض مسلم بن عقيل عليه السلام في صورة كائنها مرسومة سلفاً في ذهن المؤرّخ، وهو يريد - بأيّ دافع تصوّراته - أن يوصلها إلى ذهن القارئ.

ومن جملة تلك المعالم التي يلحّ عليها المؤرّخ لتتضح عند المتلقّي هي أنّ مسلم بن عقيل عليه السلام كان مسيراً من قبل جماعة من رجال الكوفة من قبيل هاني بن عروة والمختار الثقفي وغيرهم، وكأنّه كان تابعاً لما يليه عليه غيره، وليس هو القائد الذي يتّبعه المجتمع الكوفي بكلّ شرائحه.

فهو - بالتالي - غير قادر على تشخيص الموقف، ولا متابعة الخطوات التي ينبغي له أن يتّخذها لولا تسديد هؤلاء الرجال.

وحاشا لمسلم عليه السلام ولرجال الشيعة أن يكون بينهم هذا النمط من التعامل.

إنّ الذي صاغ هذا الحدث غير عارف بالأدب الشيعي، ولا مطلع على العقيدة الشيعيّة في الإمام عليه السلام وممثّله.

المناقشة الخامسة: مسلم عليه السلام ليس مستعجلاً

من مفردات معالم الصورة التي يلحّ عليها المؤرّخ للتعبير عن مسلم ابن عقيل عليه السلام هو استعجاله في اتّخاذ المواقف، وعدم تدبّره في العواقب - والعياذ بالله -.

فهو يريد أن يؤكّد هذه الرؤية هنا في أنّ مسلم بن عقيل عليه السلام لم يتدبّر أمر الوثوب على ابن زياد، ولم يحسب لعواقبه أيّ حساب، ولم يدرس الموقف، ولم يتروّ، وإنّما كان هاني بن عروة هو الذي يبصّره بموضع قدمه، فيمنعه عن الاستعجال، ويعلم مسلماً عليه السلام درس «العجلة لا خير فيها»!!

وهذا ما رأيناه في عبارات المؤرّخين في استعجال قبول اقتراح اغتيال ابن زياد، ثمّ رجوعه عن ذلك، واستعجاله في طرح الثقة في معقل الجاسوس، وغيرها ممّا ناقشناه مفصّلاً في رسائل مستقلة. نستغفر الله ونتوب إليه.

المناقشة السادسة: تبرير موقف ابن زياد

يلاحظ أنّ عزم مسلم عليه السلام على الخروج يبرّر موقف ابن زياد، ويسوّغ له إقدامه على اعتقال هاني وقتله، وقتل مسلم بن عقيل عليه السلام وأصحابه دفاعاً عن نفسه.

ويقدم هذا القول المسوّغات الكافية لابن زياد للانقضاض على

مسلم بن عقيل عليه السلام وهاني وأنصار سيّد الشهداء عليه السلام وفق النظرية
الأموية التي تعتبرهم خارجين على الشرعية يومها.

الدليل الرابع:

معركة القصر!

ربما اغتتم البعض فرصة «معركة القصر»، والانطلاق بالعسكر نحو «قصر الخبال» لإنقاذ هاني بن عروة رضوان الله عليه، وحاول الاستدلال بذلك على تبويت مسلم بن عقيل عليه السلام للثورة، ولكنه اضطرّ تحت وطأة الظروف أن يستعجل الخروج بالعسكر الذي لم تتمّ تعبئته وإعداده بعد لإعلان «الثورة»، فجرى ما جرى هناك على أعتاب القصر، وانتهت المعركة بخذلان القوم، وبقاء المولى الغريب مسلم عليه السلام وحيداً، وأخيراً «فشل الثورة!!»..

أجل! «فشل الثورة!!»..

مناقشة الدليل الرابع

إنَّ التاريخ قد سجّل لنا يوماً من أيّام المولى ثقة الحسين مسلم بن عقيل عليه السلام في الكوفة، حيث أعلن فيه البطل الهاشمي بشعاره «يا منصور»، وانطلق بمن أجابه إلى قصر الطاغية القزم فحاصره، ثم جرت أحداث أتينا على ذكرها في كتاب مستقلّ ...

وسنذكر هنا باختصار ما يصلح أن يكون جواباً وتفسيراً لانطلاقته نحو القصر.

وينبغي - أولاً - أن نتعرّف إلى الأسباب والدوافع التي أدت إلى رفع هذا الشعار، وانطلاق حفيد أبي طالب عليه السلام نحو القصر.. لنرى هل كانت السيطرة على القصر، وقطع ذنب القرد الأمويّ من الأهداف المرسومة لهذه الحركة، سواء كان التحرك مخطّطاً له من قبل، أو أنّه حصل تحت وطأة الظروف ...

ويمكن استكشاف الأسباب الآتية من خلال المتون التاريخية كدوافع للحركة، فربما كانت إحدى تلك الأسباب أو جميعها معاً تفسّر لنا ما جرى:

السبب الأول: اعتقال هاني وغيره

اتفقت المصادر التي روت أحداث القصر على توقيت الانطلاق نحو القصر أنه كان بعد اعتقال ناصر سفير الحسين عليه السلام هاني بن عروة. والذي يفاد من عبارات المؤرخين أنّ تلك الحركة إنّما كانت بعد موقف مذحج، ووصول خبر تعرّض حياة هاني بن عروة للخطر في القصر.

فقد روى البلاذري في أنساب الأشراف ما جرى على هاني من تعذيب واعتداء وحبس، ثم قال:

«... وأتى مسلماً خبر هاني، فأمر أن ينادي في أصحابه...»^(١).

ومن الواضح أنّ المراد من وصول خبر هاني إلى مسلم عليه السلام هو قصد قتله والاعتداء عليه بالضرب، وإلا فأصل الاعتقال وذهاب هاني إلى القصر كان بحضور مسلم عليه السلام، لأنه كان في بيت هاني حسب الفرض.

(١) أنساب الأشراف للبلاذري: ٢ / ٣٣٨.

وقد صرح بذلك الدينوري في الأخبار الطوال، قال:

«ولمّا بلغ مسلم بن عقيل قتل هاني بن عروة نادى فيمن كان

بإيعه، فاجتمعوا» (١) ...

وكذا فعل الطبري - وأبو الفرج الأصفهاني والشيخ المفيد - في روايته

عن أبي مخنف قال:

«حدّثني يوسف بن يزيد، عن عبد الله بن حازم، قال:

أنا - والله - رسول ابن عقيل إلى القصر لأنظر إلى ما صار أمر

هاني، قال: فلمّا ضرب وحبس ركبت فرسي، وكنت أول أهل

الدار دخل على مسلم بن عقيل بالخبر، وإذا نسوة لمراد

مجتمعات ينادين: يا عثرته! يا ثكلاه! فدخلت على مسلم بن

عقيل بالخبر، فأمرني أن أنادي في أصحابه» (٢) ...

وروى أيضاً:

«عن الحصين: ... وأمر فكتف - أي هاني - ثمّ ضرب عنقه،

فبلغ ذلك مسلم بن عقيل، فخرج ومعه ناس كثير» (٣) ...

(١) الأخبار الطوال للدينوري: ٢٣٨ - ٢٤٠.

(٢) تاريخ الطبري: ٥ / ٣٦٨، مقاتل الطالبين: ١٠٣، الإرشاد للشيخ المفيد: ٢ /

٥٩، ٥١.

(٣) تاريخ الطبري: ٣ / ٣٧٣.

وقال المسعودي:

« ... ولما بلغ مسلماً ما فعل ابن زياد بهاني، أمر منادياً فنادى
«يا منصور» وكانت شعارهم» ^(١) ..

وقال ابن الجوزي:

« ... قال: ائتني به، قال: والله لو كان تحت قدمي ما رفعتهما
عنه، فضربه على حاجبه فشجّه، ثم حبسه، فنادى مسلم
أصحابه» ^(٢) ...

فهذه المصادر تؤكد أنّ المولى الغريب عليه السلام إنّما نادى بالشعار بعد أن
بلغه خبر اعتقال مضيّفه هاني بن عروة.

السبب الثاني: موقف مذحج

ربما أفادت بعض العبارات الواردة في الروايات أنّ تخاذل مذحج
وانصرافها عن نصره هاني والثبات على المطالبة به كانت هي السبب في
رفع الشعار، والانطلاق نحو القصر، وكأنّ هؤلاء القوم الذين دعوا
لمحاصرة القصر سيقومون بدور عشيرة هاني المتخاذلة ^(٣) ..

(١) مروج الذهب للمسعودي: ٣ / ٥٨.

(٢) المنتظم لابن الجوزي: ٥ / ٣٢٦.

(٣) قد يقال: إنّ هذه الطائفة من روايات المؤرخين تفيد السبب الأول خاصة أو
السبب الأول والثاني معاً، ولا ضرر في ذلك، فإننا نريد بيان سبب نداء مسلم
←

فقد روى الطبري في تاريخه في حديث طويل، قال:

«... فخرج شريح حتى قام على باب القصر، فقال: لا بأس عليه، إنما حبسه الأمير ليسأله. فقالوا: صدق، ليس على صاحبكم بأس. ففترقوا، فأتى مسلماً الخبر، فنادى بشعاره» (١)..
وقال ابن شهرآشوب في المناقب:

«... وبلغ ذلك مذحجاً، فأقبلت إلى القصر، فأمر ابن زياد شريحاً القاضي أن يخرج إليهم، ويعلمهم أنه حي سالم. فخرج إليهم وصرفهم، ووصل الخبر إلى مسلم بن عقيل» (٢)..
وقال السيد ابن طاووس في اللهوف:

«... فأمر شريحاً القاضي أن يدخل على هاني فيشاهده ويخبر قومه بسلامته من القتل، ففعل ذلك وأخبرهم فرضوا بقوله وانصرفوا. قال: وبلغ الخبر إلى مسلم بن عقيل فخرج بمن

بن عقيل بشعاره، فلتؤيد هذه النصوص أي سبب من الأسباب التي ذكرناها، ولكثرتها على كل تقدير تتفق على نحو «الإجماع المركب» على نفي «قصد الثورة» بالمعنى الاصطلاحي الذي يستهدف إسقاط النظام الحاكم والاستيلاء على السلطة بغرض إدارة دفة الحكم، وما يستتبع ذلك ويستلزم منه..

(١) تاريخ الطبري: ٥ / ٣٥٠.

(٢) المناقب لابن شهرآشوب: ٤ / ٩٢.

بإيعه» (١) ...

وقال مسكويه في تجارب الأمم:

«... فخرج إليهم شريح، فأعلمهم أنه رآه وهو حيّ سالم، وإثما عاتبه كما يعاتب الأمير رعيتّه. فانصرفوا، وبعث مسلم بن عقيل من يأتيه بالخبر، فأتوه بالخبر على وجهه، وأمر أن ينادى بشعاره» (٢) ...

وقال ابن الأثير في الكامل:

«... فقال عمرو وأصحابه: فأما إذ لم يقتل فالحمد لله! ثم انصرفوا، وأتى الخبر مسلم بن عقيل، فنادى في أصحابه: يا منصور أمت! وكان شعارهم» (٣) ...

وقال ابن كثير في البداية والنهاية:

«... فتفرّقوا - أي مذحج - إلى منازلهم، وسمع مسلم بن عقيل الخبر، فركب ونادى بشعاره "يا منصور أمت"» (٤) ..

* * * * *

(١) اللهوف: ٤٧.

(٢) تجارب الأمم لأبي علي مسكويه: ٢ / ٤٨.

(٣) الكامل في التاريخ لابن الأثير: ٣٠٤.

(٤) البداية والنهاية لابن كثير: ٨ / ١٥٤.

يمكن أن يفهم مما مضى من النصوص التي ذكرناها آنفاً في السبب الأول والسبب الثاني:

إن مسلماً عليه السلام لم يكن ثائراً مقاتلاً، قد استجمع قواته «للقيام بعمل عسكري حاسم يؤدي إلى فتح القصر أمام الثوار والسيطرة عليه وعلى من فيه» ^(١) قاصداً الاستيلاء على الكوفة، وقتل أو طرد الوالي الأموي. وإنما كان مطالباً مهّداً بعد أن خذل هانياً قومهُ، فهو لم يقتحم القصر بالرغم من وصوله وقواته إلى هناك وصولاً أَرعب ابن زياد ومن معه.

ولو كان ابن زياد قد دفع هانياً ومن أرادهم مسلم بن عقيل عليه السلام، فربما أخذهم ورجع إلى داره، لأنه عليه السلام لم يقصد «الثورة»، والاستيلاء على القصر باعتباره رمز الحكم الأموي في الكوفة آنذاك. فيما لو كان ثائراً لما رجع بأقل من رأس الجرو الأموي «ابن زياد»، أو يقتل هو قبل الوصول إليه، ولما راعه خذلان الناس، ولا كثرتهم، لما نعرفه في مسلم بن عقيل عليه السلام وبني هاشم من إباء وشجاعة وعزم واستقامة وثبات، وقد أثبت البطل الهاشمي وسيف الحسين عليه السلام ذلك في معركته الأخيرة على باب طوعة ^(٢)..

(١) مع الركب الحسيني: ٣ / ١٣٢.

(٢) على تفصيل سياقي عند الكلام عن معركة القصر ودوافعها في دراسة مستقلة
←

السبب الثالث: الدفاع عن النفس

يمكن بيان هذا السبب من خلال نقطتين:

النقطة الأولى: مسلم عليه السلام هو الطلبة الأولى لابن زياد

لم يكن حفيد أبي طالب عليه السلام - الذي لو ولد الناس كلهم لكانوا شجعاناً^(١) - وصهر أمير المؤمنين عليه السلام أشجع العالمين، وأخو سيد شباب أهل الجنة الحسين عليه السلام، والبطل الهاشمي مسلم بن عقيل عليه السلام بالذي يعطي بيده إعطاء الذليل أو يقرّر قرار العبيد.

وهو العالم العارف بالكوفة وأهلها، وبالدعيّ ابن الدعيّ والجرو الأمويّ ابن زياد الذي دخل الكوفة بمهمة محوّلة له من قبل القرد الأمويّ يزيد تنصّ على طلب مسلم بن عقيل عليه السلام.

فقد روى المؤرّخون أنّ القرد الأمويّ المخمور بلغه قدوم المولى الغريب مسلم بن عقيل عليه السلام إلى الكوفة، فكتب كتاباً إلى عبيد القرد والجرو المسعور ابن مرجانة يأمره أن يبادر إلى الكوفة ويطلب مسلماً طلب الخزرة فيقتله، وفي بعض النصوص خيره بين قتله ونفيه^(٢)..

إن شاء الله تعالى.

(١) انظر: شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ١٠ / ٧٨، ربيع الأبرار للزمخشري: ٢ / ٢٠٤، التذكرة الحمدونية لابن حمدون: ٢ / ٤٧١.

(٢) انظر: الأخبار الطوال للدينوري: ٢٣١، الإصابة لابن حجر: ٢ / ٧٠، البداية ←

* * * * *

وقد اعتقل هاني بن عروة الذي كان يعدّ درعاً وردءاً، وحصناً منيعاً، وركناً ركيناً للدفاع عن مسلم بن عقيل عليه السلام، وخذّلته عشيرته التي كان يحسب عليها هاني، ويحسب لها ابن زياد..

فمقتضى الحال أن يستعدّ مسلم بن عقيل عليه السلام للدفاع عن نفسه، وعن البقية الباقية معه من الموعودين بالفتح، ليتسنى لهم اللحاق بركب الشهادة.

النقطة الثانية: اعتقال مسلم بن عقيل عليه السلام

إضافة إلى ما مرّ آنفاً من مقتضيات الأحداث، وأتته الطلبة الأولى للقرء الأموي وذنبه، فإنّ ثمة مؤشرات تاريخيّة واضحة وصريحة تؤكّد أنّ الدعيّ ابن الدعيّ قد أرسل في طلب مسلم بن عقيل عليه السلام لقتله أو أسره، فوثب البطل الهاشمي للذبّ عن حريمه، والدفاع عن نفسه.

قال ابن قتيبة في الإمامة والسياسة:

«.. فضرب بها وجهه - أي وجه هاني - حتّى كسرها، ثمّ قدّمه فضرب عنقه.

قال: وأرسل جماعة إلى مسلم بن عقيل» (١) ...

وقال اليعقوبي في تاريخه بعد أن نقل قصّة التخطيط لاغتيال ابن زياد في بيت هاني بن عروة:

« ... ففهم ابن زياد، فقام فخرج من عنده، ووجه بالشرط يطلبون مسلماً» (٢) ..

رواية شاذّة

لا يلتفت إلى ما رواه المقدسي (ت ٥٠٧) في البدء والتاريخ: حيث قال:

« ... فأرسل الحسين مسلم بن عقيل بن أبي طالب ليأخذ البيعة من أهلها، فجاء حتّى نزل على هاني بن عروة، واجتمع إليه خلق كثير من الشيعة يبائعون الحسين، وخرج الحسين بأهله وولده، وبلغ الخبر عبيد الله بن زياد - عليه اللعنة - وهو بالبصرة فهمّ إلى الكوفة، فسار إليه الشيعة، وقاتلوه حتّى دخل قصره، وأغلق بابه.

فلما كان عند المساء، وتفرّق الناس عن المسلم بن عقيل

(١) الإمامة والسياسة لابن قتيبة: ٢ / ٩.

(٢) تاريخ اليعقوبي: ٢ / ٢٤٣.

بعث عبيد الله بن زياد خيلاً في خفية، فقبضوا على مسلم
وعلى هاني!!! ورفعوا مسلماً بين شرف القصر وقتل أدنى من
العضادة، ثم ضربوا عنقه»^(١)..

فهذه رواية شاذة غريبة ومختصرة مُريبة، يغني مجرد قراءتها عن
مناقشتها وكشف العوار فيها^(٢).

(١) البدء والتاريخ للمقدسي: ٦ / ٨.

(٢) أتينا على مناقشتها باختصار في بحث دخول المولى الغريب عليه السلام إلى الكوفة.

لوازم تبني هذا القول

حينما نتبنا قولاً مّا، وهو غير منصوص عليه في الأحاديث والنصوص الشرعيّة المقدّسة، ينبغي الالتفات إلى لوازم الذهاب إليه والقول به، فإذا كانت لوازمه فاسدة وتواليه المترتبة عليه باطلة أو مسيئة، أو غير معقولة ولا مقبولة، فينبغي التريث فيه ومراجعته أكثر من مرّة لتطهيره وتنقيته من تلك اللوازم والتوالي، فإن أبت إلا أن تكون، فطرحه أولى من قبوله، سيّما إذا كانت تلك اللوازم واضحة بينة لا تحتاج إلى إثبات واستدلال وليست هي استنتاجات متوقّفة على مقدّمات غامضة، بل ينتقل إليها الذهن بسهولة وسلاسة ويقفز إليها بمجرد الاستماع إلى القول المترتبة عليه، وسنذكر بعض اللوازم من دون استقصاء:

اللازم الأوّل: التسرّع والخرق

من لوازم قبول قصّة «الثورة»، وأنّ مسلماً عليه السلام كان يبيّت الثورة - بمعنى أنّه كان ينوي الاستيلاء على الكوفة وأخذ زمام الحكم ومقاليده السلطة - أن يوصف مسلم عليه السلام - وحاشاه سيّدي - بالتسرّع والخرق - والعياذ بالله - حيث أراد الخروج قبل اعتقال هاني، فأمره هاني بالتريث، واستعجاله في قبول الاغتيال ثمّ رجوعه، وأنّه خرج خروجاً مستعجلاً مضطراً غير مدروس بحيث لم يحسب للعواقب فيه حساباً، فكان مآله هو ما انتهت إليه «الثورة» كما يرسمونه.

وربما سمعنا ذلك تصريحاً أو تلويحاً في كلام بعض المحقّقين والكتّاب وأصحاب الفضل، من قبيل قولهم:

«لقد نجح معقل مولى ابن زياد بكشف أسرار الثوّار وأخبارهم، وواجه هاني بها أمام مولاه في قصر الإمارة، ممّا دعا ابن زياد لإلقاء القبض على هاني، الأمر الذي اضطرّ مسلماً عليه السلام لإعلان ثورته! قبل الأوان وقبل أن يستكمل استعداداته وتجهيزاته! وقد أدّى ذلك بالتالي إلى فشلها! ومقتل مسلم وهاني قبل وصول الإمام الحسين عليه السلام» ^(١) ...

وقالوا في مقام بيان علّة عدم اقتحام «الثوّار» القصر:

(١) موسوعة الثورة الحسينية: ٧ / ١٣٧.

«... ذكرنا من قبل أن قرار المواجهة مع الحكومة المحليّة في الكوفة كان قراراً استثنائياً فرضته الضرورة التي اضطرّت مسلماً عليه السلام إلى الخروج عن أصل خطّ السير في إتمام إعداد وتحضير جموع المبايعين روحياً وعملياً لتحمل أعباء النهضة مع الإمام عليه السلام، والمدة التي قضاها مسلم عليه السلام منذ دخوله الكوفة حتّى محاصرته القصر - وهي حوالي شهرين - تعتبر قصيرة إزاء المدة المطلوبة لإتمام الإعداد والتحضير.

إذن فقد حاصر مسلم عليه السلام القصر بجموع أكثريتها لم تستكمل الإعداد الكافي» (١) ..

وقالوا أيضاً:

«هذا فضلاً عن عدم استكمال تحضير العدة الكافية من أسلحة وأموال، وتدريب ووسائل وأساليب الارتباط والإمداد وما إلى ذلك» (٢)!

وقالوا بعد سرد الأحداث تحت عنوان «علّة الانهيار المذهل والتداعي السريع»:

«هذا الانهيار والتداعي السريع الذي هدم كيان التكتل الكبير

(١) مع الركب الحسيني: ٣ / ١٢٩.

(٢) مع الركب الحسيني: ٣ / ١٢٩.

الذي كان قد التفّ حول مسلم بن عقيل عليه السلام كاشف تماماً
عن أنّ جماهير هذا التكتّل لم تستكمل الإعداد الروحيّ لمثل
هذه المواجهة ولما بعدها من مسؤوليّات وتبعات» (١).

ثمّ قالوا:

«فلو كان التكتّل الكبير الذي بايع مسلماً عليه السلام قد نال حظّاً
وافراً من الإعداد التربوي والإصلاح الروحي لما تفرّق هذا
التفرّق السريع المذهل عن مسلم عليه السلام» (٢).

وغير ذلك من النصوص التي تفيد أنّ مسلم بن عقيل عليه السلام قد بادر
إلى «الثورة»، وهو لم يستكمل العدة والعتاد والإعداد الروحي.

ونحن لا نزعم أنّ المجتمع الكوفي كان معدّاً يومها «لثورة»، وإنّما
نجزم أنّ الثقة العالم الخبير والبطل الهاشمي لم يك ليقدّم على «الثورة»
دون الاستعداد لها، ولم تكن الخيارات أمامه محصورة في خيارين فقط،
فاختار مسلم عليه السلام تحت ضغط الاضطراب والقسر خيار استعجال
«الثورة» (٣) (٤) بغضّ النظر عن النتائج المترتبة على «الثورة» التي لم

(١) مع الركب الحسيني: ٧ / ١٣٧.

(٢) مع الركب الحسيني: ٣ / ١٣٨.

(٣) انظر: مع الركب الحسيني: ٣ / ١٢٩.

(٤) تجذّر في ما مضى خيارات يمكن أن تتصوّر في المقام، من قبيل الانطلاق نحو
←

يرصد لها عديد ولاعتاد!

وأي قائد - فضلاً عن البطل الهاشمي مسلم بن عقيل عليه السلام - يقدم على «ثورة» ويقوم لإسقاط حكم وإقامة حكم، وهو يعلم أنه لا يملك فيها رجالاً ولا عتاداً ولا مالاً ولا قوّة، وأنّ من معه بعد لم يستكمل الإعداد؟

وقد قال الصادق عليه السلام: «ومّا أوصى صلى الله عليه وآله به علياً عليه السلام قال: لا مظاهرة أوثق من المشاورة ولا عقل كالتدبير.

وقال: إظهار الشيء قبل أن يستحكم مفسدة له» (١).

ونستبعد تماماً أن يجراً مؤمن على أن يدّعي - والعياذ بالله - أنه علم بوضع الكوفة وأهلها، وعرف عدم استعدادهم، وأنّ ذلك غاب عن العالم الثقة الفقيه مسلم بن عقيل عليه السلام!

ويبقى السؤال الكبير الحائر ينتظر الجواب:

لم لم يثر مسلم عليه السلام أيام النعمان بن بشير إبان وصول ابن زياد إلى الكوفة، وقد كانت الكوفة كلّها معه، كما ورد في كتابه، وكان الوالي

القصر لتحريرهاني بن عروة دون تبويت «فتح القصر أمام الثوار والسيطرة عليه وعلى من فيه = مع الركب الحسيني: ٣ / ١٣٢»، والقضاء على الحكم الأموي وإقامة حكم الله.

(١) مكارم الأخلاق: ٣١٨.

ضعيفاً أو يتضعّف، ولم تكن بينه وبين القصرأيّ عوائق أو موانع يعتدّ بها؟

ثمّ ما هي هذه الضرورة التي دعت له لاستعجال الثورة؟! وقد أقام في الكوفة زهاء شهرين أو أكثر، ولم يفعل شيئاً يذكر كـ«ثورة»، وكان بإمكانه أن يصبر حتّى يحكم الله، وهو خير الحاكمين.

ولاعتدّ حادثة اعتقال هاني وحدها كافية لاستعجال الثورة! وقد اعتقل غيره من قبل، وهو أمر متوقّع في حسابات العمل يومذاك، إلّا أن يقال: كانت تلك الحركة تقصد الدفاع عن هاني والإفراج عنه، فلا تكون والحال ثورة!

اللازم الثاني: تبرير موقف ابن زياد

من لوازم قبول «قصة الثورة»، وأنّ مسلماً عليه السلام قد ثار هو إثبات ما يروج له الأمويّون - وقد صرّح به ابن زياد ويزيد، ولا زال يعتقده أتباعهم إلى اليوم ويطلبون له - من أنّ مسلماً عليه السلام قد خرج على ممثّل الشرعيّة والحكم يومها ...

فيما لو قبلنا أنّ ابن زياد هو المعتدي، وأنّ مسلماً عليه السلام كان يدافع عن نفسه، وعن أصحابه ورجاله، وأنّه لم يطلب أكثر من تحرير هاني والمعتقلين، لتبيّن لنا ظلم الأمويّين، ومظلوميّة أهل البيت عليهم السلام.

اللازم الثالث: الإقرار بقيامين

يلزم من القول بـ«ثورة مسلم عليه السلام» الإقرار بقيامين:
أولهما: قيام مسلم عليه السلام «الذي عبروا عنه بالفشل - والعياذ بالله -».
والثاني: قيام سيّد الشهداء عليه السلام.
وهذا لا ينسجم مع اعتقاداتنا بأي شكل من الأشكال.
وكلاهما عليه السلام قد تحركا نحو الكوفة، وحاربهما الجرو الأمويّ ابن زياد، وإن كان المقصود هو رأس القرد الأموي المتمثل بيزيد.
ولا يقال: إنّهما قيامان في طول واحد باعتبار أنّ مسلماً عليه السلام كان ينفذ أمر الإمام عليه السلام في الإقدام على الثورة، وذلك:
لأنّه إن كان قيام مسلم عليه السلام في طول قيام أبي عبد الله عليه السلام، وخطوة في حركته، فهو إذن ليس قياماً ولا ثورة، وإنّما هي مهمّة وخطوة ضمن الخطّ الحسيني الممتدّ، فلا يقال عنه: أنّه تائز وقد فشلت ثورته، فحركته لا تعدّ ثورة مستقلة لتقيّم ضمن مقاييس الثورات، وإنّما تقيّم كمفردة في الكتاب الحسيني المبين.
وإن كان قياماً مستقلاً لزم الإقرار بثورتين، وهو ممّا لا نقرّ به كما تقدّم.

اللازم الرابع: فشل الثورة

من لوازم القول بـ«الثورة» الحكم على «ثورة مسلم عليه السلام» بالفشل!!

وقد عبّر جماعة من المؤلّفين والمحقّقين المتأخّرين تعابير مختلفة عن مجريات الأحداث التي سبقت شهادة مسلم بن عقيل عليه السلام تتراوح بين رعاية حدود الأدب والخروج عنها.

واستعمل بعضهم مصطلح «فشل الثورة» صراحة، وقد تكرّر ذلك في بعض الكتب، ونذكر لذلك نموذجاً واحداً.

جاء في ترجمة حباب بن الحارث:

«في عداد قتلى الحملة الأولى من شخصيّات الشيعة في الكوفة.

اشترك في حركة مسلم بن عقيل، وتوجّه إلى الحسين عليه السلام بعد فشل الثورة في الكوفة»^(١).

وكذا جاء هذا الاصطلاح كعنوان في الكتاب، قال: «تأكّد الطاغية من فشل الثورة»^(٢)، وقد ورد هذا الاستعمال في مواضع أخرى. وورد نفس التعبير في كتاب آخر^(٣) في مواضع كثيرة منه. وهكذا ربما عبّر الآخرون بكلمات مختلفة تؤدّي نفس المعنى.

(١) أنصار الحسين عليه السلام للشيخ محمّد مهدي شمس الدين: ٧٩.

(٢) حياة الإمام الحسين عليه السلام للشيخ باقر شريف القرشي: ٢ / ٣٨٩.

(٣) موسوعة الثورة الحسينية للأستاذ محمّد نعمة السماوي.

أُسْئَلَة

يمكن أن تطرح هنا عدّة أسئلة توجّه لمن يسمّي حركة المولى الغريب عليه السلام «ثورة»:

السؤال الأول:

هل ثبت أنّ مسلم بن عقيل عليه السلام قاد بالفعل ثورة ^(١) في الكوفة حتّى يحكم عليها بالفشل أو النجاح؟

السؤال الثاني:

ثمّة مفارقة واضحة في اتّخاذ الموقف واستعمال هذا التعبير، في مقام التقييم، وذلك أنّ الظروف التي مرّت بكبير آل عقيل عليه السلام تشبه تماماً الظروف التي مرّت بسيد الشهداء عليه السلام، وجرى عليه ما جرى على مولاه، من مبايعة القوم وخذلانهم ونكوصهم وانقلابهم على أعقابهم، ثمّ استفرادهم به، ثمّ قتله عطشاً غريباً وحيداً مخذولاً... على أنّ سيد الشهداء عليه السلام قد بلغه كلّ ما جرى على أخيه وثقته مسلم بن عقيل عليه السلام!!! فربما تفاجأ المولى الغريب عليه السلام بخذلان القوم ونكوصهم - كما يزعمون -، أمّا سيد الشهداء عليه السلام فقد أقدم وهو عالم بخذلانهم وانقلابهم!

(١) بالمعنى الذي ذكرناه مراراً وبألفاظ مختلفة في ثنايا الدراسة.

فلماذا يستعمل هذا المصطلح القاسي في حقّ «ثورة مسلم عليه السلام»، ولم يستعمل في «ثورة الحسين عليه السلام»؟

والحال أنّ «الثورة» نفس «الثورة»! والحركة نفس الحركة! والقيام نفس القيام! والعدوّ نفس العدو! والظروف والمواقف والأهداف والأغراض والنهاية هي نفسها في «الثورتين»! والقداسة والرفعة متوفّرة في المشهدين مع ملاحظة الفوارق!

فلو أننا سلّمنا أنّ مسلم بن عقيل عليه السلام كان مكلفاً بالقيام و«الثورة»، وآلت الأمور إلى ما آلت إليه، فالمفروض أن نتعامل - على أقلّ التقادير - مع «ثورته» كما نتعامل مع «ثورة الحسين عليه السلام»! باعتبارها خطوة في تلك الحركة ليس إلّا.

وقد أجمع المؤمنون أنّ قيام الحسين عليه السلام قد حقّق أغراضه كاملة إلّا ما بقي في كتابه الذي نزل به جبرئيل عليه السلام - كما في الحديث - وهذا ما سيتحقّق في القريب العاجل إن شاء الله تعالى بعد قيام المنقذ الأعظم الآخذ بالثأر...

وكذلك مسلم بن عقيل عليه السلام بالرغم ممّا جرى له وعليه من الخذلان والغربة وتفرّق الناس عنه، وأخيراً الشهادة، فإنّه لم يفشل أبداً، وإنّما حقّق غرضه من قيامه و«ثورته»!! ولنتأمّل ذلك ونبحث عن إثباتاته، كما نفهم قيام الحسين عليه السلام تماماً.

هذا كله على فرض ثبوت أنه كان مكلفاً بـ«الثورة»، وقد قام بها بالفعل! وليس الأمر كذلك!

السؤال الثالث:

لو كانت «الثورة»، والاستيلاء على الكوفة هي مهمّة مسلم بن عقيل عليه السلام، وقد «فشل» في ذلك - كما يزعم من يقول بذلك - وقد وصل الخبر إلى سيّد الشهداء عليه السلام، ووصل خبر انقلاب الكوفة على نفسها، وهذا يعني أنّ الدلائل قد أشارت إلى فشل «الثورة» وفقدان عناصرها وفق الحسابات الظاهرية - كما يزعمون - فلماذا يستمرّ سيّد شباب أهل الجنة عليه السلام في الزحف نحو الكوفة؟!؟

لم يكن «قصر الإمارة» في الكوفة هدف القيام الذي كان يسير ركبهِ ميمّماً كربلاء - أرض المصراع - والمنايا تسير معه ...

ولا ينبغي لمن يدخل المخيم الحسيني باحثاً دارساً أن يغفل عن الجانب الغيبي والهدف الأساسي في المسيرة الحسينية!

الفصل الأخير: مهمة مسلم عليه السلام

تبيّن لنا من خلال البحث الذي مرّ بنا مفصّلاً: أنّ البطل الهاشمي وكبير آل عقيل «مسلماً عليه السلام» لم تكن «مهمّته الأساسيّة هي الثورة بأهل الكوفة ضدّ السلطة المحليّة الأمويّة فيها والتمهيد للقضاء على الحكم الأموي كلّهُ»^(١).

ولم يكن مكلفاً بذلك من قبل سيّد الشهداء عليه السلام بإجماع المؤرّخين وما وصل إلينا من نصوص أتينا على ذكرها مفصّلاً فيما مضى. من هذه الدراسة.

ولم يكن لمسلم عليه السلام في الكوفة «ثورة» حتّى يعبر عنها أنّها «فشلت» كما عبّر بعض الكتاب والمحقّقين المتأخّرين.

* * * * *

بقي أن نعرف - في ضوء ما انكشف لنا من حدود مهمته عليه السلام - مدى دقة العالم الفقيه الأمين، وثقة سيد شباب أهل الجنة مسلم بن عقيل عليه السلام في أداء مهمته، وتنفيذ ما شرفه به ريحانة النبي صلى الله عليه وآله من تكاليف ومسؤوليات.

هل قام مسلم عليه السلام بالمهمة؟

بعد أن عرفنا بالتحديد مهمة مسلم بن عقيل عليه السلام في الكوفة، فحينئذٍ نحاول استكشاف ما قام به مسلم عليه السلام خلال فترة تواجده في الكوفة، لنعرف أنه قد أدّى مهمته، ووفى، وقام بما أنيط به أحسن قيام، ولم يهن، ولم ينكل، وإنما مضى على بصيرة من أمره مقتدياً بالصالحين. وقد تبين مما مضى أن مهمته تتلخص في الفعاليات التالية:

الفعالية الأولى: تقييم الوضع والنظر في حال الناس

أن يقيم الوضع، وينظر حال الناس، وما هم عليه من المواقف الموالية لأبي عبد الله عليه السلام حسب ما يظهره الناس من التودد والاستعداد، لا حسب واقع الأمور، لأنه والإمام عليه السلام كانا يعرفان تماماً بما ستؤول إليه عاقبة المنكوسين.

وقد أتم ذلك ووفى، وقام به أحسن قيام، حيث نقل الصورة التي

شاهدها بعينه، وصوّر الحالة التي عاشها بنفسه، ورسم ما لمسّه فيهم من الهيجان والغليان والاستعداد لنصرة سيّد الشهداء عليه السلام، وكتب بذلك إلى الحسين عليه السلام عبارات واضحة صريحة دقيقة مختصرة. ولم يقتصر المولى الغريب عليه السلام الأمين على ما شاهده منهم في بداية أمرهم وإنما استمرّ يؤدّي الرسالة ويقوم بالواجب وينفّذ المهمّة في المشاهدات اللاحقة «والرائد لا يكذب أهله».

مسلم يبلغ الحسين عليه السلام بخذلان الناس

حينما خذله الناس، وخذلوا إمامهم عليه السلام، ونكثوا بيعتهم، وضيّعوا حظّهم كتب مسلم بن عقيل عليه السلام الثقة الأمين بذلك إلى سيّد الشهداء عليه السلام، وأوصل خبره من خلال الرسل، أو الكتب التي كتبها، أو بالإعجاز حينما نادى من أعلى القصر مسلماً على الحسين عليه السلام ومخبراً له بما جرى:

الإبلاغ الأوّل: عن طريق عبد الله بن يقطر

قال الشيخ السماوي في إبصار العين: وقال ابن قتيبة وابن مسكويه: «... وأنّ عبد الله بن يقطر بعثه الحسين عليه السلام مع مسلم، فلمّا أن رأى مسلم الخذلان قبل أن يتمّ عليه ما تمّ بعث عبد الله إلى الحسين يخبره بالأمر الذي انتهى، فقبض عليه الحصين،

وصار ما صار عليه من الأمر» (١) ...

الإبلاغ الثاني: عن طريق ابن الأشعث لعنه الله

بعد أن قاتل مسلم بن عقيل عليه السلام قتالاً شديداً، وقتل من أعداء الله ورسوله مقتلة عظيمة «وكان - روعي له الفداء - قد أئخن بالحجارة، وعجز عن القتال، وأسند ظهره إلى جنب تلك الدار» - وفي مناقب ابن شهر آشوب (٢) -، «فضربوه بالسهم والأحجار حتى أعى، واستند حائطاً، فقال: ما لكم ترموني بالأحجار كما ترمى الكفار، وأنا من أهل بيت الأنبياء الأبرار، ألا ترعون رسول الله في عترته؟

فقال ابن الأشعث: لا تقتل نفسك، وأنت في ذمتي!
قال: أوسروني طاقة؟! لا - والله - لا يكون ذلك أبداً! وحمل عليه فهرب عنه.

فقال مسلم عليه السلام: اللهم إنَّ العطش قد بلغ مني».

وقال السيد في اللهوف:

«فعند ذلك طعنه رجل من خلفه، فخرَّ إلى الأرض، فتكاثروا

عليه، وأخذوه أسيراً» (٣) ..

(١) مع الركب الحسيني: ٣ / ٩٠ عن إِبصار العين: ٩٤.

(٢) المناقب لابن شهر آشوب، تحقيق السيّد علي السيّد جمال أشرف: ١٠ / ٣١٩.

(٣) اللهوف: ٥٥.

«قدمت عيناه، فقال له عبيد الله بن عباس السلمي: إن من يطلب مثل ما تطلب لا يبكي إذا نزل به مثل الذي نزل بك! قال: إني - والله - ما لنفسي. أبكي، وما لها من القتل أرثي... ولكنني أبكي لأهلي المقبلين إلى الكوفة، أبكي الحسين عليه السلام وآل حسين.

ثم أقبل على محمد بن الأشعث فقال: ... تستطيع أن تبعث رجلاً على لساني يبلغ حسيناً عليه السلام عني رسالة؟ فإنني لا أراه إلا قد خرج إليكم اليوم أو غداً هو وأهل بيته، وإن ما تراه من جزعي لذلك، فتقول له: إن ابن عقيل بعثني إليك، وهو في أيدي القوم أسير لا يدري أيصبح أم يمسي حتى يقتل، وهو يقول لك: ارجع بأهلك فإن أهل الكوفة أصحاب أبيك الذي كان يتمنى فراقهم بالموت أو القتل، إن أهل الكوفة قد كذبوك وكذبوني، وليس لمكذوب رأي.

فقال ابن الأشعث: والله لأفعلن...».

قال أبو مخنف:

«فدعا محمد بن الأشعث إياس بن العباس الطائي من بني مالك بن ثمامة - وكان شاعراً - فقال له: اذهب فألق حسيناً، فأبلغه هذا الكتاب، وكتب فيه الذي أمره به ابن عقيل، ثم

أعطاه راحلة وتكفل له بالقيام بأهله وداره.
فخرج حتى لقي الحسين بربالة، لأربع ليال من الكوفة، فأخبره
الخبر، وأبلغه الرسالة.
فقال الحسين: كل ما قدر نازل، عند الله نحتسب أنفسنا
وفساد أمتنا» (١)...

الإبلاغ الثالث: عن طريق ابن سعد لعنه الله

كان مما أوصى به مسلم بن عقيل عليه السلام عمر بن سعد في مجلس ابن
زياد في خبر طويل، قال:
«... وأبعث إلى الحسين من يرده، فإنّي قد كتبت إليه أعلمه
أنّ الناس معه، ولا أراه إلا مقبلاً» (٢)..

(١) الإرشاد للشيخ المفيد: ٢ / ٥٩، تاريخ الطبري: ٤ / ٢٨١، البداية والنهاية لابن
كثير: ٨ / ١٥٨، تجارب الأمم: ٢ / ٥٣، الكامل في التاريخ لابن الأثير: ٤ /
٣٣، مقاتل الطالبين لأبي الفرج: ١٠٧، إعلام الوری: ١ / ٤٤٣.
(٢) أنساب الأشراف للبلاذري: ٢ / ٨١، البداية والنهاية لابن كثير: ٨ / ١٥٧،
الكامل في التاريخ لابن الأثير: ٤ / ٣٤، مقاتل الطالبين لأبي الفرج: ١٠٨،
الإمامة والسياسة لابن قتيبة: ٢ / ١٠، تاريخ الطبري: تاريخ الطبري: ٤ /
٢٨٢، روضة الواعظين للفتال: ١٧٧، الإرشاد للمفيد: ٢ / ٦١، مثير الأحزان:
٢٥... وقد أتينا على تفصيل هذه الإبلاغات في محلّها.

الفعالية الثانية: أخذ البيعة

أخذ البيعة من أهل الكوفة لسيد الشهداء عليه السلام، بناءً على ما نصّت عليه بعض المصادر كتصريح للمؤرخ، لا كمهمة منصوص عليها في كلام سيد الشهداء عليه السلام أو كتبه.

وقد قام بذلك أحسن قيام، فأخذ البيعة من تلك الأعداد الكبيرة من الناس.

الفعالية الثالثة: الإعداد لقيام سيد الشهداء عليه السلام

إنّه عليه السلام إنّما أرسل للإعداد لقيام سيد الشهداء عليه السلام، وتعبئة النفوس ورض الصفوف لاستقبال ريحانة النبي صلى الله عليه وآله، والدفاع عنه، ومحاربة آل أبي سفيان، وتخذيّل الناس عن أعداء الله، كما ورد في نصّ ابن أعثم.

فقد قام كبير ولد عقيل عليه السلام بذلك أحسن قيام، حتّى أرب الطاغية، وجعل القرد الأموي يقرض ذيله قلقاً ويهتزو يرتعش هلعاً على أغصان الشجرة الملعونة.

وقد جمع الناس خير جمع، وأعدّهم أفضل إعداد، بحيث جعل أربعة آلاف منهم على أهبة الاستعداد يحوطونه في مقر إقامته!! ناهيك عن الباقيّن الذين كانوا في حالة إنذار واستعداد بحيث لو كان الحسين عليه السلام يدخل الكوفة - يومها - لما احتاج سيد الشهداء عليه السلام إلى تعبئة واستقطاب، ويكفي أن ينادي مسلم عليه السلام بشعاره «يا منصور»

لتجتمع السيوف حول أبي عبد الله عليه السلام.

وقد اعترف العدو بذلك «فكتب مسلم بن سعيد الحضرمي وعمارة بن عقبة - وكانا عيّني يزيد بن معاوية - إلى يزيد يعلمانه قدوم مسلم بن عقيل الكوفة داعياً للحسين بن علي، وأنه قد أفسد قلوب أهلها عليه، فإن يكن لك في سلطانك حاجة فبادر إليه من يقوم بأمرك» (١) ...

(١) الأخبار الطوال: ٢٣١. سيأتي مناقشة هذا الكتاب مفصلاً في البحث عن

وقائع دخول المولى الغريب عليه السلام إلى الكوفة.

ملاحظات مهمّة

الملاحظة الأولى:

عدم اعتماد الإمام عليه السلام على دعاوى الناس

يلاحظ عدم اعتماد الإمام عليه السلام على ما أظهره الناس من بيعة وطاعة، بل أوكل ذلك إلى مسلم عليه السلام، ولعلّ السبب في ذلك أن يكشف الإمام عليه السلام للعالم أنّه لم يكن يعتمد على ادّعاءات الناس ردّاً على ما قد يشوب القلوب والأفكار من أنّ الحسين عليه السلام لو كان يعرف الناس وخداع الكوفيّين لما أقدم، تماماً كما سمعنا خلال البحث كلام ابن عباس وغيره الذين ذكرناهم كنماذج في المورد الخامس «الفهم السائد في عصره» ...

الملاحظة الثانية:

الإعلان عن انطلاق القيام الحسيني لمن يهّمه الأمر

تحقق بدخول المولى ثقة الحسين عليه السلام إلى الكوفة الإعلان عن قرب وصول سيّد الشهداء عليه السلام، وانطلاق القيام الحسيني، وتعريف الثلّة الطيّبة من أنصار الحسين عليه السلام الموعودة مع سيّد الشهداء عليه السلام في كربلاء، فخرج منهم مَن سارع إلى اللحاق، واختفى منهم مَن لم تسعفه الظروف للحاق الفوري، ثمّ اتخذ لذلك سبيلاً أوصله إلى بغيته ويومه الموعود.

وربما يعدّ هذا من أهمّ مهامّ المولى الغريب عليه السلام، فهو وإن لم يصرّح به في النصوص صراحة، بيد أنّه يمكن أن يفترض كاحتمال ناهض، وقد تحقّق عملاً حينما بادر الأنصار إلى مصارعهم والتحقوا بسيّد الشهداء عليه السلام، فهي نتيجة قد ترتبت بالفعل على قدوم المولى الغريب إلى الكوفة، وهذا الرقم اليسير بالعدد العظيم بالأفراد هو الغرض المطلوب بالذات للاستنهاض من الكوفة.

الملاحظة الثالثة:

فداء المولى الغريب عليه السلام وضح معالم القيام الحسيني

انكشف من خلال مواقف الناس مع مسلم بن عقيل عليه السلام أنّ

الحسين عليه السلام لم يكن يخرج لإسقاط الحكم الأموي بالمعنى العسكري والسياسي المعروف المتداول لدى السياسيين القدماء والمعاصرين، وإنما كان قيام الحسين عليه السلام يسلك طريقاً خاصاً ينتهي إلى أهداف وأغراض إلهية مرسومة له قبل أن تشرق هذه الدنيا بنور وجه الحسين عليه السلام ...

ويبدو ذلك واضحاً بعد أن استمرّ سيد الشهداء عليه السلام في ركب الشهادة ميمماً وجهه شطر كربلاء بمن ثبت معه على طريق الفتح الحسيني رغم وصول خبر خذلان الناس، ونكث بيعتهم له، وخيانتهم سفيره المرسل إليهم، ولو لم يحصل الذي حصل مع مسلم بن عقيل عليه السلام في زمن سبق يوم الحسين عليه السلام في كربلاء لما انكشف ذلك هذا الانكشاف الجلي.

فكانت تضحية مسلم بن عقيل عليه السلام وفداؤه وشهامته وثباته - رغم خذلان الناصروانقلاب الناس - رسمت لنا أعظم معلّم من معالم القيام الحسيني، وكشفت عن أضخم ركن من أركان فتوح الشهادة، وأجابت لنا عن أكبر سؤال دفع بعض المعاصرين لسيد الشهداء عليه السلام إلى الاعتراض على إمام زمانهم، والظهور أمامه بمظهر الناصح، أو المشفق، أو العارف بمجريات الأحداث، والعالم الخائف من تجريب المجربات.

كشف لنا موقف الناس مع سفير الحسين عليه السلام، وموقف مسلم بن عقيل عليه السلام وشهادته، واستمرار الحسين عليه السلام في مسيرته بالرغم من ذلك:

أن سيّد الشهداء عليه السلام لم يكن ينتظروعود الناس بالبيعة والنصر للقيام والسير نحو المصرع الذي خُير له بين النواويس وكربلاء.

فربما كان الكشف عن هذا البعد من أبعاد القيام الحسيني من أصعب وأكبر ما حقّقه مسلم بن عقيل عليه السلام في رحلته إلى الشهادة التي يشهد لها تجنّب سيّد الشهداء عليه السلام الركون إلى بيعة ذلك الكمّ الهائل من الناس، وتأكيده في كتبه إليهم وأجوبته لرسلمهم: إنّه سيقدم إليهم حينما يكتب له ابن عمّه وثقته مسلم بن عقيل عليه السلام.

ولكي يتمّ الحجّة عليهم ولا يترك أبو الأئمة الحجج على الخلق عذراً لمعتذر يكشف لهم عن زيفهم، ومواقفهم المتزلزلة، وأختام قلوبهم، أرسل إليهم فادي ريحانة النبي بنفسه مسلم بن عقيل عليه السلام، فأوضح بشهادته لهم السبيل، وميّز بين السليم والعليل، وأثار دفائن النفوس، وكشف ما على القلوب من غشاوة وأختام..

وبعد أن كشف مسلم بن عقيل عليه السلام كلّ ذلك مضى سيّد شباب أهل الجنّة عليه السلام إلى كربلاء.. واستمرّ في مسيره نحو «الدرجة التي لا ينالها إلا بالشهادة» رغم انقلاب الخلق المتعوس، وخذلان عبيد الدنيا..

ولولم يتقدّم مسلم عليه السلام إلى الشهادة في الكوفة لجرى ما جرى - حسب ما يفاد من التاريخ - من خذلان بعد وصول سيّد

الشهداء عليهم السلام، وربما قال قائل: لو كان الحسين عليه السلام عالماً بما سيؤول إليه أمر الناس معه لما أقدم؟!

أما بعد شهادة الفادي المفدى والمولى الغريب مسلم بن عقيل عليه السلام فقد اتضح للجميع أنّ أبي الضيم سيّد الشهداء الإمام الحسين عليه السلام قد أقدم على كربلاء عن علم بالموازين الظاهريّة، ويقين بالموازين الغيبية، وهو عالم بما آل إليه أمر الناس، ثمّ أقدم ليمثل أمر الله فيما قضاه وحتم.

النتيجة

تبين لنا أنَّ مسلم بن عقيل عليه السلام قد قام بالمهمة على أحسن وجه، وأكمل ما يمكن لأنجح القادة في تاريخ البشرية أن يقوموا به، فبالغ في النصحية، وأعطى غاية المجهود، ولم يهن، ولم ينكل، ومضى على بصيرة من أمره، مقتدياً بالصلحين، ومتبعاً للنبيين، فجزاه الله أفضل الجزاء، وأكثر الجزاء، وأوفر جزاء أحد ممن وفى ببيعته، واستجاب له دعوته، وأطاع ولاة أمره.

* * * * *

أما «السيطرة على القصر»! و«الثورة»! و«الاستيلاء على الكوفة»! و«إسقاط حكم وإقامة حكم»! فلم تكن من مهمته ولا من همّه، فلا يمكن أن يقال:

إنَّ ثورته فشلت! لأنه لم يؤمر بالقيام بـ«ثورة»، ولم يسع إلى ذلك،

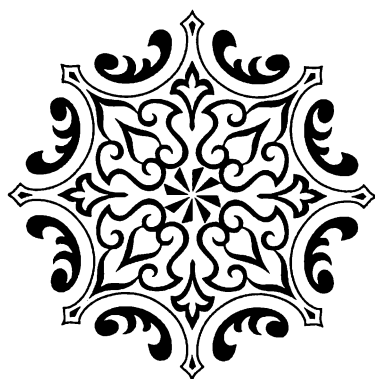
فكيف يوصف بالفشل في شيء لم يفعله؟!

ولا يقال: إنه لم يستول على القصر بالرغم من وجود الأنصار عنده!
لأنه لم يخطط لذلك ولم يقصده!

ولا يقال: إنه دعا الناس للثورة وإسقاط الحكم الأموي في الكوفة
رغم عدم استكمال العدة والإعداد.

ولا يقال: إنه «فشل!» في تهديد الكوفة لدخول سيد الشهداء عليه السلام
بترد الجرو الأموي!

لأن ذلك كله لم يكن من دائرة اهتمامه ومهمته.
وإنما يقال: إنه كان سفيراً في مهمة خاصة أنجزها على أكمل وجه
حتى نال الشهادة في محبة ابن رسول الله وحبيبه وحبيب العالمين وقرّة
عين سيد الوصيين ودمعة وشهقة وأهة فاطمة الزهراء سيّدة نساء
العالمين.. إمامه وإمام الثقلين سيد الشهداء الحسين عليه السلام.



قصة التطير

المقدمة

مما نُسب لساحة مولانا مسلم بن عقيل عليه السلام المثل النير للقدس والطهارة والعلم ومكارم الأخلاق والدين والتقى والسمو والرفعة والشجاعة والبطولة والتسليم لله ولرسوله وللأئمة الطاهرين عليهم السلام أنهم نسبوا إليه ما يجلّ عنه المؤمن فضلاً عن مسلم بن عقيل عليه السلام ، نسبوا إليه «التطير»!!

التطير.. الخطيئة المحرمة شرعاً في كلّ المذاهب والأديان..
التطير.. المرض النفسي الذي يحكي نفسية متشائمة مهزوزة مهزومة سوداوية متشنّجة..

التطير.. الذي يعني الخوف والتفوق والإحجام والتردد والانكماش والاضطراب والقلق..

التطير.. يعني فقدان الثقة بالله.. يعني المستقبل القاتم.. يعني عدم

التوكل على الله..

التطير.. الرذيلة النفسية والأخلاقية.. الخطيئة الدينية والعقائدية..
الذنب الذي يساوق الشرك بالله تعالى.. هذا باختصار ما يعنيه التطير
وما يؤدي إليه..

تطير المولى الغريب عليه السلام - والعياذ بالله - فاستعفى عن أداء مهمته
واستأذن في ذلك الإمام عليه السلام!!

نستغفر الله من هذه الجرأة على أولياء الله، بيد أن هذا هو النص
التاريخي..

أريد النص التاريخي أن يتداعى إلى الأذهان قوله تعالى:
﴿لَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ
وَأَنْفُسِهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ.. إِنَّمَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ
وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ﴾؟!..

لقد نُسب بكل وقاحة وجلفية وجفاء لساحة المولى الغريب عليه السلام
الذي وثق به خامس أصحاب الكساء عليه السلام.. واعتمده رائداً واتخذ
أخاً.. أنه تطير فاستعفى، فعيره خامس أصحاب الكساء، فحملته
الحمية على أن يمضي في مسيره، فمضى!! إنه إفك وبهتان عظيم!

ومن الغريب! أن يعدّ من يناقش مثل هذه السخافات ويشكك أو
يردّ هذه الترهات والخزعبلات - ضمن الضوابط والمقررات - متطاولاً

على قداسة التاريخ والمؤرخ .. متعرضاً للمخاطر .. متمرداً .. نافراً ..
متهوراً ..

بيد أن الأمر يدور - أحياناً - بين رعاية قداسة التاريخ والمؤرخ - أياً
كان - وبين رعاية القداسة والأدب مع رجال الله وسيوف سيد
الشهداء عليه السلام .. ولا شك ولا تردد في أن رعاية الأخير أسلم عاقبة للمؤمن
في الدنيا والآخرة ..

وقد حاولنا في هذه الوجيزة العاجلة مناقشة هذه الفرية، بحول الله
وقوته .

نصّ القصة

وردت قصّة تطيّر المؤمن الواثق بالله مسلم بن عقيل عليه السلام واستعفائه من أداء المهمّة الإلهيّة المكلف بها من قبل إمامه المفترض الطاعة في المصادر التاريخيّة من قبيل:

الأخبار الطوال للدينوري، وتاريخ الطبري، والإرشاد للمفيد، والفتوح لابن أعثم، وقد اتّفقت رواية الطبري والمفيد في كلّ التفاصيل تقريباً، واختلفت رواية الآخرين في بعض التفاصيل، وسنسمعها تباعاً:

الرواية الأولى: الطبري والشيخ المفيد:

روى الطبري في تاريخه ^(١)، والشيخ المفيد في الإرشاد ^(٢)، واللفظ

(١) تاريخ الطبري: ٤ / ٢٦٣.

(٢) الإرشاد: ٢ / ٣٩.

للطبري:

«... ثم دعا - يعني الحسين عليه السلام - مسلم بن عقيل، فسرحه مع قيس بن مسهر الصيداوي وعمارة بن عبيد السلولي وعبد الرحمن بن عبد الله بن الكدن الأرحبي، فأمره بتقوى الله وكتمان أمره واللطف، فإن رأى الناس مجتمعين مستوثقين عجل إليه بذلك.

فأقبل مسلم حتى أتى المدينة، فصلّى في مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله، وودّع من أحب من أهله.

ثم استأجر دليلين من قيس، فأقبلا به فضلاً الطريق وجارا، وأصابهم عطش شديد، وقال الدليلان: هذا الطريق حتى ينتهي إلى الماء، وقد كادوا أن يموتوا عطشاً.

فكتب مسلم بن عقيل مع قيس بن مسهر الصيداوي إلى حسين! وذلك بالمضيق من بطن الخبيث:

أما بعد: فإنّي أقبلت من المدينة معي دليلان لي، فجارا عن الطريق وضلاً، واشتدّ علينا العطش، فلم يلبثا أن ماتا وأقبلنا حتى انتهينا إلى الماء فلم ننج إلا بحشاشة أنفسنا، وذلك الماء بمكان يُدعى المضيق من بطن الخبيث، وقد تطيّرت من وجهي هذا، فإن رأيت أعفيتني منه، وبعثت غيري، والسلام.

فكتب إليه حسين!:

أما بعد: فقد خشيتُ ألا يكون حملك على الكتاب إلي في الاستعفاء من الوجه الذي وجهتك له إلا الجبن، فامض لوجهك الذي وجهتك له والسلام عليك.
فقال مسلم لمن قرأ الكتاب: هذا ما لست أخوفه على نفسي».

الرواية الثانية: ابن أعثم:

وروى ابن أعثم في كتاب الفتوح^(١)، قال:

«فخرج مسلم بن عقيل من مكة نحو المدينة مستخفياً لئلا يعلم به أحد من بني أمية.

فلما دخل المدينة بدأ بمسجد رسول الله ﷺ، فصلّى فيه ركعتين، ثم أقبل في جوف الليل حتى ودّع من أحب من أهل بيته، ثم إنّه استأجر دليلين من قيس عيلان يدلّانه على الطريق ويصحبانه إلى الكوفة على غير الجادة.

قال: فخرج به الدليلان من المدينة ليلاً وساراً، فغلط الطريق، وجارا عن القصد، واشتدّ بهما العطش، فماتا جميعاً عطشاً.

(١) كتاب الفتوح لابن أعثم: ٥ / ٣٢ - ٣٣.

قال: وكتب مسلم بن عقيل عليه السلام إلى الحسين:

بسم الله الرحمن الرحيم، للحسين بن علي من مسلم بن عقيل:

أما بعد، فإني خرجت من المدينة مع الدليلين استأجرتهما فضلاً عن الطريق وماتا عطشاً، ثم إنا صرنا إلى الماء بعد ذلك، وكدنا أن نهلك، فنجونا بحشاشة أنفسنا، وأخبرك يابن بنت رسول الله: إنا أصبنا الماء بموضع يقال له: «المضيق».

وقد تطيرت من وجهي هذا الذي وجهتني به، فأريك في إعفائي منه، والسلام.

قال: فلما قرأ كتاب مسلم بن عقيل عليه السلام علم أنه قد تشاءم وتطير من موت الدليلين وأنه جزع!!!

فكتب إليه [الحسين عليه السلام]:

بسم الله الرحمن الرحيم، من الحسين بن علي إلى مسلم بن عقيل:

أما بعد، فإني خشيت أن لا يكون حملك على الكتاب إلي والاستعفاء من وجهك هذا الذي أنت فيه إلا الجبن والفشل!!! فامض لما أمرت به، والسلام عليك ورحمة الله وبركاته.

فلما ورد الكتاب على مسلم بن عقيل كآته وجد من ذلك في نفسه! ثم قال: والله لقد نسبني أبو عبد الله الحسين إلى الجبن والفشل!!! وهذا شيء لم أعرفه من نفسي أبداً!

الرواية الثالثة: الدينوري

وروى الدينوري (ت ٢٨٢) في الأخبار الطوال، قال:

«وقد كان مسلم بن عقيل خرج معه من المدينة إلى مكة، فقال له الحسين عليه السلام: يا ابن عمّ، قد رأيت أن تسير إلى الكوفة، فتنظر ما اجتمع عليه رأي أهلها، فإن كانوا على ما أتني به كتبهم، فعجل عليّ بكتابك لأسرع القدوم عليك، وإن تكن الأخرى، فعجل الانصراف.

فخرج مسلم على طريق المدينة ليلمّ بأهله، ثم استأجر دليلين من قيس، وسار، فضلاً ذات ليلة، فأصبحا، وقد تاهّا، واشتدّ عليهما العطش والحرّ، فانقطعا، فلم يستطيعا المشي، فقالا لمسلم: عليك بهذا السمّ، فالزمه لعلّك أن تنجو.

فتركهما مسلم ومن معه من خدمه بحشاشة الأنفس حتّى أفضوا إلى طريق فلزموه، حتّى وردوا الماء، فأقام مسلم بذلك الماء.

وكتب إلى الحسين مع رسول استأجره من أهل ذلك الماء،

يخبره خبره، وخبر الدليلين، وما من الجهد، ويعلمه أنه قد تطير
 من الوجه الذي توجه له، ويسأله أن يعفيه ويوجه غيره،
 ويخبره أنه مقيم بمنزله ذلك من «بطن الحربث».
 فسار الرسول حتى وافى مكة، وأوصل الكتاب إلى الحسين،
 فقرأه وكتب في جوابه:
 أمّا بعد، فقد ظننت أنّ الجبن قد قصربك عمّا وجهتك به!!
 فامض لما أمرتك، فإنّي غير معفيك، والسلام» ^(١).

(١) الأخبار الطوال للدينوري: ٢٣٠.

مناقشة القصّة

يمكن أن تناقش هذه القصّة من خلال عدّة نقاط:

النقطة الأولى: معرفتنا بمسلم وبسيد الشهداء عليه السلام

إنّ ثمة معرفة قطعيّة جزميّة يستشعرها كلّ مؤمن في أعماق قلبه، نتيجة سلامة فطرته ومجموعة عقائده وموروثه المعرفي والثقافي، تجعله يقيس ما يسمعه منسوباً إلى تلك المعرفة، فإن لم توفقها ولم تنسجم معها فسيبحث لها عن مسوّغات تجعلها تنسجم مع الصورة الأكيدة الواضحة عنده، فإن أبت الانسجام، فهو لا يضحيّ بالبديهي من أجل قول لا يعتدّ به..

ونحن نعرف المولى الغريب عليه السلام مسلم بن عقيل ونعرف إمامنا وسيدنا ومليكنّا إمام الثقلين وسيد الكونين.. فلا بدّ أن نعرض ما جاء

في هذه القصّة على تلك المعرفة..

ولأنريد التفصيل والإطالة هنا وسنقتصر على بعض المعلومات
بإقتضاب شديد:

المعلومة الأولى: تنزّه المؤمن عن الطيرة

إنّ مسلم بن عقيل عليه السلام من فقهاء آل محمّد صلّى الله عليه وآله، وحاملي القرآن،
ولم نرموضاً واحداً في القرآن نسب الله فيه التطيّر لمؤمن قطّ، وإنّما كان
المتطيّرون في القرآن - دائماً - هم أعداء الأنبياء:
﴿قَالُوا إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ﴾.

وقال حكاية عن قوم صالح: ﴿قَالُوا أَطَيَّرْنَا بِكَ وَبِمَنْ مَعَكَ﴾.
وقال حكاية عن قوم فرعون: ﴿وَإِنْ تُصَبِّهُمُ سَيْئَةٌ يَظْهَرُوا بِمُوسَى
وَمَنْ مَعَهُ﴾ ...

* * *

وقد ورد عن طرق العامّة في الطيرة عن رسول الله صلّى الله عليه وآله:

«الطيرة من الجبت» ^(١).

وعنه صلّى الله عليه وآله:

«الطيرة شرك» ^(٢).

(١) تفسير البغوي: ٢ / ٩.

(٢) السيرة الحلبية: ١ / ٩١.

وعنه صلى الله عليه وآله:

«الطيرة شرك، وما منّا من يتطير»^(١).

وعنه صلى الله عليه وآله:

«ومن استقسم أو تكهن أو تطير طيرة تردّه عن سفره لم ينظر

إلى الدرجات العلى يوم القيامة»^(٢).

وعنه صلى الله عليه وآله:

«من أرجعته الطيرة عن حاجة فقد أشرك»^(٣).

وعنه صلى الله عليه وآله:

«إذا تطّيرت فامض»^(٤).

وقد اتفقوا أنّ النبي صلى الله عليه وآله كان لا يتطير^(٥)..

وورد عن طريق أهل البيت عليهم السلام:

(١) محاضرات الراغب: ١ / ١٨٢، الشهيد مسلم عليه السلام للمقرّم: ٦٨ عن نهاية ابن

الأثير: ٣ / ٥٨، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٤ / ٤٣٠.

(٢) محاضرات الراغب: ١ / ١٨٢، مجمع الزوائد: ٥ / ١١٨، كنز العمال: ٦ / ٧٤٤

رقم ١٧٦٥٥، تفسير الثعلبي: ٤ / ١٦، تفسير البغوي: ٢ / ١٠، تفسير الرازي: ١١

/ ١٣٦، تاريخ دمشق: ١٨ / ٩٨.

(٣) السيرة الحلبية: ١ / ٩١.

(٤) محاضرات الراغب: ١ / ١٨٢.

(٥) تاريخ دمشق: ٧٩ / ٨٩، ربيع الأبرار للزمخشري: ٤ / ١٩٢.

عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ: «قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله: كَفَّارَةُ الطَّيْرَةِ التَّوَكُّلُ» (١).

وَكَتَبَ بَعْضُ الْبُعْدَادِيِّينَ إِلَى أَبِي الْحَسَنِ الثَّانِي عليه السلام يَسْأَلُهُ عَنِ الْخُرُوجِ يَوْمَ الْأَرْبَعَاءِ لَا يَدُورُ، فَكَتَبَ: «مَنْ خَرَجَ يَوْمَ الْأَرْبَعَاءِ لَا يَدُورُ خِلَافًا عَلَى أَهْلِ الطَّيْرَةِ وَفِي مَنْ كُلِّ آفَةٍ وَعُوفِي مَنْ كُلِّ عَاهَةٍ وَقَضَى اللَّهُ - عَزَّوَجَلَّ - لَهُ حَاجَتَهُ» (٢).
وروي في كتبنا عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله قَالَ: «إِذَا تَطَيَّرْتَ فَاْمْضِ وَإِذَا ظَنَنْتَ فَلَا تَقْضِ» (٣).

«فَإِذَا تَطَيَّرَ أَحَدُكُمْ فَلْيَمْضِ عَلَى طَيْرَتِهِ وَلْيَذْكُرِ اللَّهَ» (٤).
قال النبي صلى الله عليه وآله: «أوحى الله - عَزَّوَجَلَّ - إلى داود عليه السلام: يا داود، كما لا تضيق الشمس على مَنْ جلس فيها كذلك لا تضيق رحمتي على من دخل فيها، وكما لا تضر الطيرة من لا يتطير منها كذلك لا ينجو من الفتنة المتطهرون» (٥).

(١) الكافي: ٨ / ١٩٨ ح ٢٣٦.

(٢) من لا يحضره الفقيه: ٢ / ٢٦٦ ح ٢٣٩٣.

(٣) وسائل الشيعة: ١١ / ٣٦٣.

(٤) وسائل الشيعة: ١٠ / ٢٨ الباب ٢٥.

(٥) الأمالي للصدوق: ٣٠٥ مج ٥٠ ح ١٢.

«الخيرة في ترك الطيرة»^(١).

«اجتنب خمساً: الحسد، والطيرة، والبغي، وسوء الظن،
والنميمة»^(٢).

وَقَالَ عَلِيٌّ: «الْعَيْنُ حَقٌّ، وَالرُّقَى حَقٌّ، وَالسِّحْرُ حَقٌّ، وَالْقَالَ
حَقٌّ، وَالطَّيْرَةُ لَيْسَتْ بِحَقٍّ، وَالْعَدْوَى لَيْسَتْ بِحَقٍّ، وَالطَّيْبُ
نُشْرَةٌ، وَالْعَسَلُ نُشْرَةٌ، وَالرُّكُوبُ نُشْرَةٌ، وَالنَّظَرُ إِلَى الْخُضْرَةِ
نُشْرَةٌ»^(٣).

وقال أمير المؤمنين عَلِيٌّ: «ما منّا أهل البيت من يتطير»^(٤).

الطيرة من الجبت .. شرك .. ما منّا من يتطير .. من تطير طيرة تردّه
عن سفره لم ينظر إلى الدرجات العلى يوم القيامة .. من أرجعته الطيرة
عن حاجة فقد أشرك .. كفارة الطيرة التوكل .. لا ينجو من الفتنة
المتطيرون .. ما منّا أهل البيت من يتطير ..

هذا باختصار معنى الطيرة وما تؤدّي إليه، بغض النظر عن الأوامر
بمخالفتها والإقدام خلافاً لها ..

(١) شرح نهج البلاغة: ٢ / ٢٨٣ ح ٢٤٥.

(٢) عوالي اللآلي: ١ / ٢٨٩ ح ١٤٤.

(٣) نهج البلاغة: ٥٤٦ ح ٤٠٠.

(٤) بحار الأنوار: ٤٢ / ٢٧٨.

جبت.. شرك.. حرمان من النظر إلى الدرجات العلى.. ترك التوكل على الله.. الوقوع في الفتنة.. أن لا يكون من أهل البيت عليهم السلام ولا من عترة النبي صلى الله عليه وآله.. هذه هي الطيرة..

فهل يخفى على مسلم بن عقيل عليه السلام المفضل عند الحسين عليه السلام وثقته، وصهر أمير المؤمنين عليه السلام الذي نشأ في بيته هذه الأخبار والروايات، وكيف يتطير وهو من أهل البيت عليهم السلام؟

قال السيد المقرم رحمته الله:

«إذن فما حدث به ابن جبر الطبري من تطير مسلم عليه السلام لما مات الدليلان عطشاً لا واقع له، فإن من يقرأ سيرة مسلم عليه السلام يعرف أنه ذلك الرجل العظيم السائر على نصوص القانون الإلهي المستنير بما جاء به حامل الدعوة مشرفهم الرسول صلى الله عليه وآله من المعارف ومكارم الأخلاق ...

فكيف يتأخر عما أفادته الأحاديث الكثيرة من نفي الطيرة التي لم تنزل أنديتهم تلهج بها صباحاً ومساءً، وهم المقيضون لما يراد من العباد من أعمال الخير وتبعيدهم عن خطّة الخسف والهوان، فهل - والحالة هذه - يجوز العلم والوجدان نسبة التطير إلى رسول الحسين عليه السلام وخليفته في حاضرة الكوفة، ليكون مرشداً ومهذباً ورادعاً للأمة عما لا يتفق مع قدس

الشرية.

ولئن غاضبنا ابن جرير على عدم معرفته بما حواه هذا البيت المنيع من رجالات الإصلاح، فلسنا نسأله على هذه البادرة التي نسبها إلى مسلم عليه السلام الذي لم يعرف منزلته، ولا مقدار عمله، وما يتوخّاه من أسمى الغايات، وقد فاته أن الرواة أرادوا شيئاً كشف المستقبل عن تفكّك قياسه.

نعم كان مسلم عليه السلام يتفأل كما كان النبي صلى الله عليه وآله وأبناءؤه الهداة يتفألون، وذلك لما ارتحل من ذلك الماء أشرف على رجل يرمي ظبياً، فصرعه، فسرّه التفأل بقتل عدوّه» ^(١).

روى الطبري والمفيد وابن أعثم تفاؤل مسلم عليه السلام فقالوا:

«فأقبل كما هو حتّى مربّاء لطّي، فنزل بهم، ثم ارتحل منه، فإذا رجل يرمي الصيد، فنظر إليه قد رمى ظبياً حين أشرف له فصرعه، فقال مسلم: يقتل عدوّنا إن شاء الله» ^(٢).

ثم قال السيّد المقرّم رحمته الله:

«فتلك الجملة التي جاء بها الرواة، وسجّلها ابن جرير للحظّ

(١) الشهيد مسلم عليه السلام للمقرّم: ٧٧.

(٢) الطبري في تاريخه: ٤ / ٢٦٣، والشيخ المفيد في الإرشاد: ٢ / ٣٩، وكتاب الفتوح لابن أعثم الكوفي: ٥ / ٣.

من مقام ابن عقيل الرفيع متفككة الأطراف، واضحة الخلل،
كيف؟ وأهل البيت ؑ ومَن استضاء بأنوار تعاليمهم لا
يعبأون بالطيرة، ولا يقيمون لها وزناً.

وليس العجب من ابن جرير إذا سجّلها ليشوّه بها مقام شهيد
الكوفة، كما هي عادته في رجالات هذا البيت، ولكن العجب
كيف خفيت على بعض أهل النظر والتدقيق حتّى سجّلها في
كتابه! مع أنّه لم يزل يلهج بالطعن في أمثالها، ويحكم بأنّها من
وضع آل الزبير ومَن حذا حذوهم»^(١).

المعلومة الثانية: شجاعة مسلم ؑ

لم يعرف الجبن إلى بيوت آل أبي طالب ؑ سبيلاً، والشجاعة من
شيمهم التي جبلوا عليها، و«لو ولد أبو طالب الناس كلّهم لكانوا
شجعاناً»، فالشجاعة معرّقة فيهم كباراً وصغاراً، رجالاً ونساءً.
وقد سمعنا بموقف أمّ هاني بنت أبي طالب يوم أخذت بيد أمير
المؤمنين ؑ، وموقف ابن الحسن الزكيّ ؑ - وقيل: ابن الحسين
الشهيد ؑ - وهو في الأسر يوم طلب منه يزيد - لعنه الله - أن يصارع
خالدًا، فقال:

(١) الشهيد مسلم ؑ للمقرّم: ٧٩.

«أعطني سكيناً وأعطه سكيناً فإمّا أن يقتلني فألحق بجدي رسول الله وأبي عليّ بن أبي طالب، وإمّا أن أقتله فألحقه بجده أبي سفيان وأبيه معاوية»..

وقد سجّلت كربلاء بطولات أولاد مسلم وعقيل وآل أبي طالب عليهم السلام ما لم يعرفه التاريخ في غيرهم قط.. ولا يسعنا هنا الاستطراد في ذكر مآثرهم ومشاهدتهم..

قال السيد المقرّم رحمته الله:

«فإنّ المتأمل في «صكّ الولاية» الذي كتبه سيّد الشهداء لمسلم بن عقيل عليه السلام لا يفوته الإذعان بما يحمله من الثبات، والطمأنينة، ورباطة الجأش، وإنّه لا يهاب الموت، وهل يعدو بآل أبي طالب إلّا القتل الذي لهم عادة، وكرامتهم من الله الشهادة.

ولو كان مسلم هيباً في الحروب لما أقدم سيّد الشهداء عليه السلام على تشريفه بالنيابة الخاصّة عنه التي يلزمها كلّ ذلك»^(١).

قال البلاذري يصف مسلم بن عقيل عليه السلام:

«إنّه أشجع بني عقيل وأرجلهم»^(٢).

(١) الشهيد مسلم عليه السلام للمقرّم: ٧٩.

(٢) أنساب الأشراف: ٢ / ٣٣٤.

وأضاف الشيخ باقر القرشي - رحمه الله وحشره مع سيّد الشهداء عليه السلام - :

«بل هو أشجع هاشمي عرفه التاريخ بعد أئمة أهل البيت عليه السلام» (١).

ومن نماذج شجاعته أنّه كان أحد رجال ميمنة جيش أمير المؤمنين عليه السلام في صفّين، الحرب الطاحنة التي شارك فيها فرسان العراق والشام وأبطالهم.

ولم نسمع غريباً يتهم آل أبي طالب عليه السلام بالجبن، فكيف يتهم الحسين عليه السلام - وحاشاه - مسلماً عليه السلام، وهو الإمام الذي يرى دمائه تجري في عروق ابن عمّه مسلم عليه السلام صاحب ميمنة أبيه في صفّين! وسفيره إلى الكوفة الذي بعثه لوحده لمواجهة كلّ تلك الجموع! (٢)

المعلومة الثالثة: معرفة مسلم عليه السلام أنّه قادم على الشهادة

إنّ المتطير هو مَنْ لم يعلم ما يرد عليه، وإنّما يستكشف ذلك من تلك الأشياء المعروفة عند العرب أنّها سبب لورود الشرّ (٣).

(١) مسلم عليه السلام للقرشي: ١١٨.

(٢) ذكرنا نماذج من شجاعة المولى الغريب عليه السلام في الحديث عن الحرب الأخيرة ووقائع الشهادة..

(٣) الشهيد مسلم عليه السلام للمقرم: ٧٢.

ومسلم بن عقيل عليه السلام يعلم تماماً بما هو قادم عليه، عارف بالمهمة التي تحمّل مسؤوليتها، ونافذ البصيرة في ما أناط به سيّد الشهداء عليه السلام، وهو يعرف الحسين عليه السلام، ويعرف لماذا خرج السبط المبشّر بالشهادة.

روى ابن أعثم في الفتوح والخوازمي في مقتل قال:

«ثم طوى الكتاب وختمه ودعا مسلم بن عقيل عليه السلام فدفع إليه الكتاب، وقال له: إني موجّهك إلى أهل الكوفة، وهذه كتبهم إليّ، وسيقضي الله من أمرك ما يحبّ ويرضى، وأنا أرجو أن أكون أنا وأنت في درجة الشهداء، فامض على بركة الله حتى تدخل الكوفة» (١) ...

* * * * *

نجد في هذا النص:

أولاً: سيقضي الله من أمره ما يحبّ ويرضى

إنّ الحسين عليه السلام قد أخبره أنّ الله سيقضي من أمره ما يحبّ ويرضى.

فهل يتردّد من يعتقد بإمامة الحسين عليه السلام - فضلاً عن مسلم بن عقيل عليه السلام - في الإقدام بعد أن أخبره سيّد الشهداء عليه السلام بأنّ الله

(١) كتاب الفتوح لابن أعثم: ٥ / ٣١، مقتل الحسين عليه السلام للخوازمي: ١ / ١٦٩.

سيقضي له من أمره ما يحب ويرضى!!؟

قال الإمام الحسن المجتبي عليه السلام:

«من اتكل على حسن الاختيار من الله له، لم يتمنَّ أنه في غير الحال التي اختارها الله له» (١) ..

ثانياً: بشارة خاصة بالشهادة

لقد بشره الحسين عليه السلام بشارة خاصة بالشهادة، وأخبره بها غير ما يعرفه مسلم عليه السلام - كباقي بني هاشم حينما قال لهم سيّد الشهداء عليه السلام: «من لحق بي استشهد» - فقال له:

«أنا أرجو أن أكون أنا وأنت في درجة الشهداء».

فهو - إذن - عارف عالم بما أقدم عليه، فلا يحتاج إلى التطيّر واستكشاف المستقبل، ومعرفة ما يقدم عليه من خير أو شرّ. ثم إنّ المقدم على الشهادة، والعازم على الموت - في محبة سيّد الشهداء عليه السلام ودفاعاً عن دين سيد الأنبياء ﷺ المتمثل في شخص إمام زمانه - لا يخاف.

ثالثاً: مسير على بركة الله

قال الحسين عليه السلام: «فامض على بركة الله حتّى تدخل

(١) تحف العقول لابن شعبة الحراني: ٢٣٤.

الكوفة»، وسواء كان هذا دعاءً أو إخباراً، فهو ممّا تسكن إليه نفس المؤمن، ويطمئنّ له قلبه، ولا يعتريه أيّ شكّ أو تشاؤم أو تردّد بعده، ولا يجتمع التطير مع التفاؤل والبركة المنشورة من فم أبي عبد الله الحسين عليه السلام على طول طريقه «حتى يدخل الكوفة»..

وفي هذه المقطع وحده ردّ مفحّم لقصة التطير من رأس.. فالتطير تشاؤوم وانكماش.. وقد أخبر أو دعا سيّد الشهداء عليه السلام دعاءً يستوعب الطريق كلّ من أوله إلى آخره.. «فامض..» الانطلاق.. «حتى تدخل الكوفة».. نهاية الطريق.. وهذا كلّ سيكون «على بركة الله».. لقد سمعها المولى الغريب عليه السلام بأذنه من فم سيّده وإمامه.. ثمّ يتطير؟!!!!

المعلومة الرابعة: خصال لا تليق بثقة الحسين عليه السلام

ذكرنا في أكثر من موضع أنّ الميزان في تقييم الرجال إنّما هو الحقّ، و«الحقّ لا يعرف بالرجال»، وإنّما «اعرف الحقّ تعرف أهله»^(١)، والحقّ الذي لا مزية فيه إنّما هو الإمام المعصوم، فإذا وردنا تقييم منه في أيّ شيء، فهو الميزان، وعليه المعوّل.

(١) روضة الواعظين للفتال: ١ / ٣١: قال أمير المؤمنين عليه السلام: «الحق لا يعرف بالرجال اعرف الحق تعرف أهله».

وقد سمعنا الحسين عليه السلام يؤثّق مسلماً في زمان ومكان في غاية الخطورة والأهميّة، توثيقاً دقيقاً، يرسم للمتأمل معالم شخصيّته رسماً واضحاً، يأبى الالتفاف عليه، والمواربة فيه، والمراوغة في ردّه، ويخرس كلّ ناعق، ويكتمّ فم كلّ متأفّفك.

فهو الثقة عند سبط الرسول وسيد الشهداء وقرة عين الزهراء عليها السلام.

والمبرز بالفضل عند إمام العصر.

وهو الذي أمر الإمام المفترض الطاعة أهل الكوفة أن يبايعوه على يدي رسوله الكريمتين.

فما دام هو في هذه المنزلة من حجة الله، وأعرف الخلق بالخلق، فلا يتطرّق إليه الشكّ، ولا تقترب منه الشبهات، ولا يقال في حقّه ما يفيد المؤرّخ من صفات لا تليق بالمؤمن العادي فضلاً عن حفيد أبي طالب عليه السلام، الذي يعدّ من مفاخر البشريّة، وسروات الهاشميين، وأبطال الطالبيين، والفقهاء العالم بالدنيا والدين مسلم بن عقيل صلوات الله عليه وعلى آله أجمعين.

المعلومة الخامسة: أدب الحسين عليه السلام في التعامل مع الأعداء

فضلاً عن الإخوة

ما سمعناه في التاريخ من تعامل سيد الشهداء وإمام الصبر والحياء

الحسين بن علي سيّد الأوصياء عليه السلام، مع أعدائه من الأدب، وإقامة الحجّة، والحياء والصبر، ما يعجز الإنسان عن وصفه، وحقّ له أن يعجز، ولا ضرورة إلى نقل نماذج من ذلك للتدليل عليه، فهو ممّا لا شكّ فيه، وهل يشكّ فيه بشر، فضلاً عن المسلم، وناهيك عن المؤمن، ولكن نكتفي هنا بذكر نموذج واحد فقط:

حيث كان سيّد الشهداء عليه السلام المكروب ملقى على الرمضاء، وقد قتل القوم أنصاره وأهل بيته، وهو يستغيث فلا يغاث، وهو مع ذلك يطلب شربة من ماء فلا يسقى، «فحالوا بينه وبين رحله، فصاح عليه السلام:

ويلكم يا شيعة آل أبي سفيان، إن لم يكن لكم دين، وكنتم لا تخافون المعاد، فكونوا أحراراً في دنياكم هذه، وارجعوا إلى أحسابكم إن كنتم عرباً كما تزعمون.

قال: فناداه الشمر - لعنه الله - : ما تقول يا ابن فاطمة؟

فقال: إنّي أقول: أنا الذي أقاتلكم وتقاتلونني والنساء ليس عليهن

جناح» (١) ...

ونحن لسنا في مقام التفصيل، ولكن في نظرة سريعة يذوب الإنسان أمام هذا الأدب الرفيع، والخطاب الذي يخلب اللب ويأسر القلب، كيف يخاطب سيّد الشهداء عليه السلام وإمام الحياء أعداءه، ويحاججهم وهم

(١) اللهوف للسيد ابن طاووس: ٧١.

يقاتلونهم ويهجمون على عرضه!! «إن لم يكن لكم دين ... كونوا أحراراً في دنياكم هذه وارجعوا إلى أحسابكم ...» لم يتّهمهم بجبن أو خسة أو لؤم أو وحشية أو ما شاكل ... صراحة، وإنما يذكرهم بما يزعمون.. ويلزمهم بما يلتزمون ...

ومن يخاطب عدوّه الذي يباشر قتاله، ويهجم على أهله وعياله، ويصبر ويتحمّل هذا الموقف الذي لا يصبر فيه سواه، في ساعة كان فيها غريباً عطشاناً كثيراً مكروباً، بماذا يخاطب - إذن - ابن عمّه وأخاه وثقته والمبرز بالفضل عنده، وهو في مكة بين أهله، وفي سعة من أمره؟ أيعيّره بالجبن؟!!

أيخاطبه بأسلوب لم يخاطب به أعداءه في ساعة العسرة قبيل وقوع المصيبة العظمى؟!!

النقطة الثانية: الارتباك في النقل

ربما يكون من الطبيعي أن تختلف عبارات المؤرخين والمؤلفين في صياغة حدث من الأحداث، إذ أنّهم يحكون نفس القصة كلّ بطريقته وما آتاه الله من قوّة في البيان وسلطان على اللغة والمفردات وأسلوب للتعبير عن الصور والمشاهد..

أمّا أن يقع الاختلاف في أحداث نفس القصة، فتختلف المشاهد والمواضع والأسماء والمسمّيات والوقائع.. فهذا ممّا يورث في النفس

البشريّة شيء من التلكؤ في الاسترسال مع سير الحوادث، ويبعث على التأمل والتدقيق والتريث في قبول الأحداث.. وأقلّ ما يكون أن ينفر قلبه ويشمأز ويستوحش فكره ويتوجّس..

ونحن لا نريد أن نجعل الاختلاف في النقل دليلاً كاملاً قائماً برأسه على نقض الحكاية، ويكفي أن يكون شاهداً أو يحدث ثغرة.. وإن كان ثمة من يقول: إنّ هذا دليل على أنّ حبل الكذب قصير، ولا حافظة لكذوب..

لذا فإننا سنقتصر على عرض بعض الشرائح التوضيحية من دون اطراد تفصيلي لمواضع الاختلاف:

الاختلاف الأول: الذين خرجوا مع مسلم عليه السلام

ذكر الطبري والشيخ المفيد رحمهما الله:

«أنّ الحسين عليه السلام دعا مسلماً عليه السلام وسرّحه مع قيس بن مسهر الصيداوي، وعمارة بن عبيد السلولي، وعبد الرحمن بن عبد الله الأرحبي».

وأضاف السماوي في إبصار العين بعد ذكر هؤلاء:
«وجماعة من الرسل» ^(١).

(١) إبصار العين: ٨٥.

أما الدينوري فلم يذكر في البداية إلا مسلماً عليه السلام وحده، وأن الحسين عليه السلام دعاه وأرسله «فخرج على طريق المدينة ليلاً بأهله، ثم استأجر دليلين» ...

ولم يرد ذكر لغيرهما مع مسلم عليه السلام في كلام الدينوري إلا بعد أن يترك مسلم عليه السلام الدليلين يعالجان الموت عطشاً، فيقول:
«فتركهما مسلم ومَنْ معه من خدمه!!».

أما ابن أعثم فإنه لم يصرح بوجود أحد مع مسلم عليه السلام سوى الدليلين، بل يفيد أن مسلماً إنما أخرجهما معه ليكونا دليلين وصاحبين في نفس الوقت.

قال:

«ثم أقبل في جوف الليل حتى ودّع من أحبّ من أهل بيته، ثم إنّه استأجر دليلين من قيس عيلان يدلّانه على الطريق ويصحبانه إلى الكوفة ...».

ثمّ يقول في رسالة مسلم عليه السلام: «فإنّي خرجت من المدينة مع الدليلين استأجرتهما فضلاً عن الطريق وماتا عطشاً»، فهو إلى هنا ينقل بضمير المفرد، ثمّ يقول على لسان مسلم عليه السلام في رسالته:

«ثمّ إنّنا صرنا إلى الماء بعد ذلك، وكدنا أن نهلك، فنجونا بحشاشة أنفسنا، وأخبرك يا بن رسول الله: إنّنا أصبنا الماء...».

فيروي النجاة، وإصابة الماء بصيغة الجمع، وكأنه مع جماعة وليس وحده، فيما كان قبل قليل يفيد أنه وحده.

ثم يرجع في باقي الرسالة إلى ضمير المفرد أيضاً.

ولا يقال: إنه كان يتحدث عن نفسه بصيغة الجمع، فإن هذا ليس من أدب المؤمن حينما يخاطب إمامه!

الاختلاف الثاني: الموضع الذي كتب منه الرسالة:

اختلفوا في اسم الموضع الذي كتب فيه الرسالة:

قال الشيخ المفيد رحمته الله: «بالمضيق»، ثم ذكر في نص رسالة مسلم عليه السلام:

«بالمضيق من بطن الخبت».

وقال الطبري:

«بالمضيق من بطن الخبيت».

وقال الدينوري:

«بطن الحربث»، وفي نسخة: «الحريث».

أما ابن أعثم فلم يذكر الموضع في سرد الحدث، ولكنه ذكر في الرسالة على لسان مسلم عليه السلام:

«أنا أصبنا الماء بموضع يقال له: المضيق».

وربما حمل ذلك على اختلاف النسخ أو التصحيف، وما شاكل،

غير أنه ارتباك في النقل على كل حال.

الاختلاف الثالث: الرسول الذي حمل رساله مسلم عليه السلام

ذكر الطبري والشيخ المفيد أن مسلماً كتب إلى الحسين عليه السلام مع قيس بن مسهر الصيداوي.

وذكر الدينوري أنه «كتب إلى الحسين عليه السلام مع رسول استأجره من أهل ذلك الماء» ...

فيما أغفل ابن أعثم الحديث عن الرسول وقال:

«قال: وكتب مسلم بن عقيل» ...

الاختلاف الرابع: اختلفوا في أمر الدليلين وغلطهما وعطشهما

وموتهما ...

قال المفيد رحمته الله:

«فضلاً وأصابهم عطش شديد، فعجزا عن السير، فأومئاً له

إلى سنن الطريق بعد أن لاح لهما ذلك، فسلك مسلم عليه السلام

ذلك الطريق ومات الدليلان عطشاً».

وقد صرح الشيخ المفيد رحمته الله هنا أنهما أشارا إلى سنن الطريق بعد أن

لاح لهما ذلك، ثم سلك مسلم عليه السلام الطريق، ثم ذكر أنهما ماتا.

فيما قال الطبري:

«فضلاً الطريق وجارا وأصابهم عطش شديد، وقال الدليلان:
هذا الطريق حتى ينتهي إلى الماء، وقد كادوا يموتوا عطشاً».
فهو لم يصرح بموتهما، وإنما يترك الأمر إلى رسالة مسلم عليه السلام حيث
يذكر فيه ذلك.

وقال الدينوري:

«فضلاً ذات ليلة فأصبحا وقد تاهتا، واشتد عليهما العطش
والحرّ، فانقطعا، فلم يستطيعا المشي، فقالا لمسلم عليه السلام: عليك
بهذا السمّ فالزمه لعلّك أن تنجو.
فتركهما مسلم عليه السلام بذلك الماء ومن معه من خدمه بحشاشة
الأنفُس حتى أفضوا إلى الطريق فلزموه، حتى وردوا الماء»..
والدينوري يصرّح بعجزهما عن المسير، ويفيد أنّ مسلماً تركهما على
حالهما من العطش والعجز واستمرّ بمسيره مع خدمه!! وأنهما أشارا عليه
أن يسلك سمتاً لعله ينجو، فهما لم يعرفا الطريق أكيداً كما أفاد الطبري
في قولهما:

«هذا الطريق حتى ينتهي إلى الماء».

أمّا ابن أعثم، فإنّه صرّح بموتهما وسارع إلى إنشاء رسالة مسلم عليه السلام
دون أن يذكر شيئاً عن كيفية نجاته ومن معه، ولم يشر إلى أنّ الدليلين
قد أُرشداه إلى الطريق، فقال:

«فغلط الطريق وجارا عن القصد واشتدَّ بهما العطش فماتا جميعاً عطشاً...».

الاختلاف الخامس: نص رسالة الحسين عليه السلام:

قال الطبري والشيخ المفيد رحمهما الله:

«فقد خشيت أن لا يكون حملك على الكتاب إليّ في الاستعفاء من الوجه الذي وجهتك له إلا الجبن، فامض لوجهك الذي وجهتك له، والسلام».

وقال ابن أعثم:

«بسم الله الرحمن الرحيم، من الحسين بن علي إلى مسلم بن عقيل: أما بعد، فأني خشيت أن لا يكون حملك على الكتاب إليّ والاستعفاء من وجهك هذا الذي أنت فيه إلا الجبن والفشل، فامض لما أمرت به، والسلام عليك ورحمة الله وبركاته» ...

وقال الدينوري:

«أما بعد، فقد ظننت أنّ الجبن قد قصر بك عما وجهتك به، فامض لما أمرتك، فأني غير معفيك، والسلام» ^(١) ...

(١) الأخبار الطوال للدينوري: ٢٣٠.

ولا يقال: إنَّ مضمون الكتاب واحد، وإن اختلفت الألفاظ، فإنَّ في بعض المضامين إضافات مهمة وخطيرة للغاية، كما نلاحظ ذلك في نسبة الفشل في عبارة ابن أعثم، وتحقق الظنَّ «فقد ظننت»، وتحقيق أنَّه قد قصر به الجبن «قد قصر»، والتصريح برفض الحسين عليه السلام بعد تقريره الجبن!! أن يعفيه «فإني غير معفيك» في عبارة الدينوري ...

الاختلاف السادس: من قرأ رسالة الحسين على مسلم عليه السلام؟

قال الطبري:

«فقال مسلم لمن قرأ الكتاب: هذا ما لست أتخوفه»..

وتفيد عبارته أنَّ ثمة رجلاً - كأن يكون الرسول نفسه - قد قرأ الرسالة على مسلم بن عقيل عليه السلام، فلمَّا سمع مسلم عليه السلام الكتاب أجاب موجَّهاً خطابه إلى قارئ الكتاب:

«هذا ما لست أتخوفه على نفسي»..

وقال الشيخ المفيد رحمه الله:

«فلمَّا قرأ مسلم الكتاب قال: أمَّا هذا فلست أتخوفه» ...

وهنا قرأ مسلم عليه السلام الكتاب بنفسه، ثمَّ قال ما قال، كأنه يحدث نفسه ويحيب الحسين عليه السلام بغضَّ النظر عن الحاضرين عنده.

وقال ابن أعثم:

«فلمَّا ورد الكتاب على مسلم بن عقيل كأنه وجد من ذلك

في نفسه، ثم قال: والله لقد نسبني أبو عبد الله الحسين إلى الجبن والفشل» ...

الاختلاف السابع: جواب مسلم بن عقيل عليه السلام

قال الطبري:

«هذا ما لست أخوّفه على نفسي» ..

وقال الشيخ المفيد رحمته الله:

«أما هذا فلست أخوّفه على نفسي» ...

وقال ابن أعثم:

«والله لقد نسبني أبو عبد الله الحسين إلى الجبن والفشل،

وهذا شيء لم أعرفه من نفسي أبداً» ...

أما الدينوري - وهو أقدمهم جميعاً - فلم يذكر جواباً لمسلم عليه السلام، ولم

يشر إلى أيّ تعليق صدر عنه في ردّ كتاب الحسين عليه السلام!!

* * * * *

إذا وقع الازتباك والاختلاف في النقل - ولو على نحو التصحيف - في هذه المفاصل المهمة السبعة التي تقوم عليها القصّة، من عدد الخارجين مع المولى الغريب عليه السلام والموضع الذي وقع فيه الحادث أو كتبت فيه الرسالة، والرسول الذي حملها وما جرى على الدليلين - وهو عقدة القصّة - ونصّ رسالة سيّد الشهداء عليه السلام وجواب المولى الغريب عليه السلام،

فأي شيء بقي في القصة؟!

أجل! بقي الاتفاق على أصل الحدث.. وقوع التطير والاستعفاء
وفرض السفر عليه من قبل سيد الشهداء عليه السلام ...

النقطة الثالثة: مناقشة المتن نفسه

بعد أن عرفنا ثغرتين نقتب نسيج القصة وخرقته من خلال
النقطتين الأولى، نتقل الآن لمناقشة المتن الذي احتوى القصة،
وستتناوله ضمن المناقشات التالية:

المناقشة الأولى: لماذا أخذ معه دليلين ولم يكتف بدليل

واحد؟

أول ما يواجه القارئ لهذه القصة هو الوقوف عند استئجار مسلم
ابن عقيل عليه السلام دليلين اثنين، ولم يكتف بدليل واحد، مع ملاحظة أنه
كان يسير مستخفياً! - حسب مفروض النص -، وتعدّد الدليل يفضي -
بالتالي إلى تعرّضه لخطر الانكشاف، لتراكم احتمال تسرّب المعلومات
من جهة، ولكثرة العدد المتحرّك في الصحراء المفتوحة من جهة أخرى.
هذا بالإضافة إلى كفاية الدليل الواحد، فما المسوّغ لاصطحاب
الدليل الثاني؟!

المناقشة الثانية: كيف أشار الدليلان على الطريق وهما قد

ضلاً؟

أفاد الطبري أنّ الدليلين أشارا إلى مسلم عليه السلام ومن معه وقالوا:
«هذا الطريق حتّى ينتهي إلى الماء، قال: فأقبلا به فضلاً
الطريق وجارا، وأصابهم عطش شديد، وقال الدليلان: هذا
الطريق حتّى ينتهي إلى الماء»^(١)..
كيف يجتمع القول بأنّهما ضلّا الطريق وقولهما: «هذا الطريق!»
فهما - إذن - يعرفان الطريق المؤدّية إلى الماء، ويعرفان موقعهم في تلك
الصحراء، ولو كانا قد ضلّا لما حدّدا موقعهما وموقع الماء وأشارا إلى
الطريق التي تؤدّي إليه!
أضف إلى أنّ النصّ نفسه يذكر أنّ المولى الغريب عليه السلام قد حدّد
موقعه الذي ضلّ فيه الدليلان في رسالته لسيد الشهداء عليه السلام.

المناقشة الثالثة: كيف ترك مسلم عليه السلام الدليلين يموتان؟

لم ينصّ الدينوري على موت الدليلين، وإنّما قال:
«فلم يستطيعا المشي ... فتركهما مسلم عليه السلام ومن معه من
خدمه»^(٢).

(١) تاريخ الطبري: ٤ / ٢٦٣، الإرشاد: ٢ / ٣٩.

(٢) الأخبار الطوال للدينوري: ٢٣٠.

قال السيد المقرّم رحمه الله:

«وحيث أنّه لم يسعه حملهما للتوصّل إلى النجاة، لأنّهما على وشك الهلاك، وغاية ما وضح للدليلين العلام المفضية إلى الطريق - لا الطريق نفسه! - ولم تكن المسافة بينهم وبين الماء معلومة، وليس لهما طاقة على الركوب بأنفسهما ولا مردفين مع آخر، وبقاء مسلم عليه معهما إلى منتهى الأمر يفضي إلى هلاكه ومن معه، فكان الواجب المؤكّد التحفّظ على النفوس المحترمة بالمسير لإدراك الماء، فلذلك تركهما في المكان».

وقال في الهامش تعليقاً على ما قاله في المتن:

«استنبطنا ذلك ممّا يحمله مسلم عليه من القدسيّة التي تمنعه من ترك الأولى فضلاً عمّا يراد من الدين، بل ما تقتضيه الإنسانيّة» (١).

والمفروض أنّ المسافة بين الموضع الذي ترك فيه الدليلين وموضع الماء لم يكن بعيداً جداً حتّى استطاع أن يصل له مسلم عليه ومن معه من خدمه! بحشاشة الأنفس وينجو، فلماذا لم يرجع مسلم إليه بالمال أو يرسله لهما، فينقذهما ويأخذهما معه مرّة ثانية، ثمّ لا يتطير!! أو

(١) الشهيد مسلم عليه للمقرّم: ٦٤.

يكون قد تحرّى وأدّى ما عليه من مقتضيات الشرع والإنسانية!! وهو مسلم بن عقيل عليه السلام الجواد ابن الجواد، والشهم ابن الشهم، والكريم ابن الكرام، والمقدّس ابن المقدّس.

ويبدو واضحاً من تعليقة السيّد المقرّم - حشره الله مع سيّد الشهداء عليه السلام وفي أنصاره - أنّه لم يقتنع بالنصّ التاريخي فجعل يلتبس له تأويلاً ويستنبط استنباطاً ليجعله مقبولاً، فتيجّره القارئ ولا يكاد يسيغه!

المناقشة الرابعة: موت الدليلين معاً

يفترض في الدليل أنّه يحبب الصحراء، ويعرف مواضع الماء والكلاء فيها، وأنّه قد اعتاد على العطش والصبر والتحمل والحيلة في الحصول على الماء إذا كُظّه الظمأ، وقد حدّثنا التاريخ بالكثير من قصص العرب في معالجة العطش في الصحاري والقفار التي اعتادوها واستوطنوها، فكيف مات من بين تلك الجماعة الدليلان دون غيرهما؟ والعجيب الغريب الذي ربما ترك الأفواه فاعرة.. أن لا يموت واحد منهم فقط من بين الركب المتحرّك في تلك الصحراء.. وإنما يموت اثنان.. ولا يكون الثاني إلّا الدليل أيضاً..

«ثمّ مات الدليلان معاً»!!! الدليلان فقط...

المناقشة الخامسة: قد سار مسلم عليه السلام الطريق قبلاً

إنَّ مسلم بن عقيل عليه السلام لم يكن غريباً على تلك الطرق، فقد خرج من المدينة إلى الكوفة وبالعكس، كما خرج إلى صفين وغيرها مع عمّه أمير المؤمنين عليه السلام، بل يمكن أن يقال: إنَّ الطرق والجواد بين الحواضر والمدن كانت مسلوكة معروفة مشخّصة فيها علامات ومنازل ومقسمة على المسافات بحساب الميل، فما ضرورة الدليل؟
لكن قد يقال: إنّه كان يريد أن يتنكّب الطريق، فيقال:

المناقشة السادسة: ما هي الحاجة إلى الدليل مع وجود قيس

معه؟

كان معه عليه السلام قيس بن مسهر وهاني وعمارة وغيرهما من رسل أهل الكوفة الذين جاؤوا من قبل، وكان قيس قد ذهب ورجع في هذا الطريق أكثر من مرّة يحمل من وإلى الحسين عليه السلام رسائل أهل الكوفة. ثمَّ إنَّ قيساً حمل الرسالة من وإلى مسلم عليه السلام، وهو في المضيق، فكيف لم يضلّ الطريق؟!

وقد تردّد قيس في حمل الكتب من وإلى الحسين عليه السلام على الأقلّ ستّ مرّات:

فقد بعثه أهل الكوفة إلى الحسين عليه السلام.

ثمَّ بعثه الحسين عليه السلام مع مسلم عليه السلام.

ثم بعثه مسلم عليه السلام - على هذا الخبر - إلى الحسين عليه السلام.
 ثم بعثه الحسين عليه السلام إلى مسلم عليه السلام ردّاً على كتابه من المضيق.
 ثم بعثه مسلم عليه السلام إلى الحسين عليه السلام.
 ثم بعثه الحسين عليه السلام إلى أهل الكوفة، فقبض عليه واستشهد (١).
 فهو قد تردّد في هذا الطريق ستّ مرّات على الأقلّ حاملاً معه
 رسائل خطيرة يساوي اكتشافها من قبل السلطان موته البتّة، فلا بدّ أنّه
 كان يتحرّى الحيلة والحذر وتنكّب الطريق.
 ومع وجود قيس وغيره من الرسل الذين حملوا الكتب وقطعوا هذا
 الطريق حتّى بلغوها لسيد الشهداء عليه السلام، فما الحاجة إلى استئجار
 الدليلين؟!

المناقشة السابعة: كيف اهتدى قيس إلى الطريق؟!

تفترض القصّة أنّ الدليلين قد ضلّا الطريق، وضلّ الركب معهما،
 فهم في غياهب الصحارى ومناهات الفياقي والقفار، لا يهتدون السبيل!
 ثمّ يروي لنا أنّ المولى الغريب عليه السلام قد كتب كتاباً وأرسله مع قيس
 إلى سيد الشهداء عليه السلام فانطلق الرسول بالكتاب إلى مكّة من حيث
 كانوا ورجع إلى نفس الموضع بالجواب، فهو إذن يعلم من أين تحرك وأي

(١) انظر: إِبْصَار الْعَيْن: ١٢٥ ترجمة قيس.

جادة يسلك كي يصل إلى مكة، ويعلم كيف يسلك الطريق ليعود إلى نفس الموضع من جديد ليلبغ المولى الغريب ﷺ الجواب؟
إلا أن يقال: إنه انطلق بعد أن وجدوا الجادة وعلموا موقعهم في الصحراء، فيعود الكلام إلى المناقشة الثانية.

المناقشة الثامنة: رسالة مسلم ﷺ

قالوا: «فكتب مسلم بن عقيل مع قيس بن مسهر الصيداوي إلى حسين! وذلك بالمضيق من بطن الخبيت:
أما بعد، فأني أقبلت من المدينة معي دليان لي، فجارا عن الطريق وضلاً، واشتد علينا العطش، فلم يلبثا أن ماتا، وأقبلنا حتى انتهينا إلى الماء، فلم ننج إلا بحشاشة أنفسنا، وذلك الماء بمكان يدعى "المضيق من بطن الخبيت"، وقد تطيرت من وجهي هذا، فإن رأيت أعفيتني منه، وبعثت غيري، والسلام».

قال السيد المكرم رحمه الله:

«وهنا نستفيد منزلة عالية لمسلم ﷺ في التقوى والورع في أمر الدين، وأنه لا يتخطى رأي حجة الوقت في حله ومرتحله، وإنما كتب إلى إمامه بهذه الحادثة، لأنه احتمل أن يكون هذا الحادث يغير رأي الإمام! فتوقف عن المسير ليرى ما عنده!

ويكون على بصيرة في إنفاذ أمره.

ولما قرأ السبط الشهيد عليه السلام كتاب مسلم عليه السلام أمره بالمسير إلى مقصده تعريفاً بأن هذه الأحوال لا تغیرما عزم عليه من إجابة طلب الكوفيتين، وقد ملأوا الأجواء هتافاً بأنهم لا إمام لهم غيره ينتظرونه ليقیم ودّهم، فلو لم یجبههم تكون لهم الحجة عليه يوم نصب الموازين، والإمام المنصوب من قبل الله - تعالى - لا يعمل عملاً یسبب اللؤم علیه» (١).

ربما قيل للسید عليه السلام - بكلّ خضوع وأدب - : إنّ هذا التبریر المذكور یحمل في طياته تسویغ وقوع التطیر من مسلم عليه السلام في الوقت الذي نفاه السید عنه نفيّاً باتّاً، وذلك أنّ مسلم عليه السلام قد اتخذ موقفاً وتوقّف عن المسیر لحادث موت الدلیلین، فهو - إذن - قد امتنع عن المضيّ لمجرّد وقوع هذا الحادث، وليست الطيرة شيئاً آخر غير هذا.

بل ربما كان فيه شيء أقسى من رمي المولى الغريب عليه السلام بالطيرة، وهو احتمال أن يكون هذا الحادث - وهو أوضح صورة للتطير - یغیر رأي الإمام!

وفي العبارة تصریح جليّ یؤكد أنّ المولى الغريب عليه السلام احتمل أن يكون هذا الحادث یغیر رأي الإمام عليه السلام أي أنّ مسلماً عليه السلام ظنّ أن الإمام

(١) الشهيد مسلم عليه السلام للمقرّم: ٦٤.

سيُطَيَّر كما تُطَيَّر هو.. وفيها إشعار واضح يومي إلى إمكان تغيير الإمام
لرأيه! لمجرّد وقوع حادث يتطير منه، وبالتالي إمكان وقوع التطير من
قبل الإمام عليه السلام..

كُنّا في ورطة أردنا معالجتها والخروج من الهوة وردمها فوقعنا في هوة
أعظم وأعمق وأخطر! فإنّا لله وإنا إليه راجعون..

* * * * *

هذا، بالإضافة إلى أنّ مسلماً كان نافذ البصيرة علماً بما أقدم عليه،
والقضيّة قضيةً مواريث الأنبياء، ودين ربّ الأرض والسماء، وقضيّة
سيقدم لها سيّد الشهداء عليه السلام خيرة أنصاره وأهل بيته وفلذات كبده،
والأعظم من ذلك كلّ نفسه المقدّسة، ومن كان في مقام مسلم عليه السلام
ومنزله وفقهه، بل لو كان دون ذلك - فضلاً عن مولانا مسلم عليه السلام - لما
توقّف في أمر عظيم يعلم مداه لمجرّد موت «دليلين عطشاً».

هل يتوقف ثقة الحسين عليه السلام والمبرز بالفضل عند الحسين عليه السلام في
مثل هذه القضيّة العادية المألوفة في ذلك الزمان!!
وما علاقة موت الدليلين بإنجاز المهمة، أو التنصّل عنها؟!

المناقشة التاسعة: رسالة الإمام الحسين عليه السلام

قالوا: «فكتب إليه حسين عليه السلام: أمّا بعد، فقد خشيت ألا
يكون حملك على الكتاب إلّٰي في الاستعفاء من الوجه الذي

وجّهتك له إلا الجبن، فامض لوجهك الذي وجّهتك له،
والسلام عليك»^(١).

وقال الدينوري:

«فامض لما أمرتك فأني غير معفيك، والسلام»^(٢).

* * * * *

يتحسّس القارئ للنصّ إيقاعاً فيه نكز مؤلم، وقساوة لا تلتئم مع
رحمة الله الواسعة، وقوّة فيها جفاف، وهجوم بلفظ مدمر يهزّ الشجاع
ويمرضه «الجبن»! أسوء الرذائل الأخلاقية!

عباراته.. فيها من الغضب الصاعق.. والحنق المتميّز.. والسخط
المهلك.. ما يجعل المؤمن في حيرة من انتزاع صورة لسيد الشهداء
ومعدن الرحمة وهو يخاطب أخاه وثقته بهذه اللغة وهذا الأسلوب!
لكن كيف ما كان! نحاول الآن التلويح إلى بعض النكزات التي
احتواها النصّ:

النكز الأول: حسين!

حسين! ما أحلاه من اسم.. فداه نفسي وعقلي وروحي وأهلي

(١) تاريخ الطبري: ٤ / ٢٦٣، الإرشاد: ٢ / ٣٩.

(٢) الأخبار الطوال للدينوري: ٢٣٠.

ومالي وولدي وما خولني ربّي ..

حسين اسم الإمام سيّد الشهداء عليه السلام الذي سمّاه به الله ورسوله ..
وهو الاسم المذخور له ..

الاسم الذي جعل الله في حروفه الأربعة إيقاعاً يفيض الدمعة
ويحزن القلب ويثير الزفرة .. عرفه من سمعه أو لم يعرفه .. ولك في قصص
الأنبياء خير شاهد، الأنبياء الذين بكوا فور سماعهم الاسم وثارت زفرته
قبل أن يسمعوا من الله عن طريق جبرئيل ما سيجري عليه من
مصائب ومحن عظيمة ^(١) ..

بيد أنّ الأدب الذي جرت عليه العادة من القديم أن يذكر هذا
الاسم بألف لام التعظيم .. حتّى صار الاسم المحلّى بـ «ال» علماً،
يستوحش من يسمعه مجرّداً .. وقد استعمله النبي صلى الله عليه وآله فكان يسمّيه
«الحسين» ..

فما هؤلاء القوم الأجلاف يكتبون اسمه بهذه الصيغة .. «حسين» ..
أريدون التصغير .. إن كان هذا ما يريدون فقد صغّر الله قدرهم وحظّهم
ودينهم ولعنهم ولاغفر الله لهم ولأنّاهم شفاعة جدّه، وحشرهم مع من

(١) الأثر التكويني في اسم سيّد الشهداء عليه السلام والدلالة عليه ومعانيه وتأثيراته
وآثاره يحتاج إلى بحث مستقل، وله مواد وافرة في الأحاديث الشريفة، وليس
هذا موضع إثبات ذلك.

يتولّون..

وإن كان قد كتب ذلك لغرض آخر - لا نعلمه - فهو على كلّ حال خارج عن المألوف ومنفلت من حدود الأدب..
والحسين! هو الحسين زَيْن الله به عرشه وسماواته وأرضه وأركان جنانه.. فلا تزَيْن اسمه «ال».. الحسين جمال الله وجلاله.. كيف ما سمّيته.. فداه العالمين..

النكر الثاني: لماذا أصرَّ الإمام الحسين ؑ على إرسال مسلم ؑ؟

قد يقال هنا بالإضافة إلى ما مرّ من مناقشة متن الرسالة المنسوبة للمولى سيّد الشهداء ؑ:

إذا كان سيّد الشهداء الحسين ؑ قد قرر «جبن» مسلم ؑ وفشله على رواية ابن أعثم - وتعالى الإمام الحسين والمولى الغريب مسلم ؑ عن ذلك علوّاً كبيراً - فلماذا يأبى الإمام الحسين ؑ ويأمره بالمضيّ، ويؤكّد له أنّه غير معفيه.

فإمّا أن يقال: إنّ الحسين ؑ يعرف مسلماً ؑ، وأنّه لا يمكن أن ينسب إلى الجبن والفشل، وعليه فلا بدّ له أن يستمرّ في مهمّته بشجاعته وبسالته المعهودة، فهو خلاف ما نصّت عليه الرسالة.

وإمّا أن يقال: إنّ الإمام الحسين ؑ - والعياذ بالله - يصرّ على أن يكون ممثله في الكوفة «جباناً فاشلاً» للقيام بالمهمّة الصعبة، وبهذا

يريد ناسج القصة أن يقرّر فشل حركة المولى الغريب مسلم عليه السلام ومواقفه في الكوفة مسبقاً، وقد خاب سعي من افترى .

النكر الثالث: نسبة الفشل والجزع لمسلم عليه السلام؟!

تخرّص ابن أعثم على سيّد الشهداء وقرّر للحسين عليه السلام موقفاً إذ قال قبل أن يروي جواب الإمام الحسين عليه السلام على كتاب مسلم عليه السلام:
«فلما قرأ كتاب مسلم بن عقيل عليه السلام علم أنّه قد تشاءم وتطير من موت الدليلين، وأتّه جزع»!!

وهنا أضاف ابن أعثم إلى «الجبن» و«الفشل» و«التطير»: «الجزع» أيضاً، وحاشا مثل مسلم بن عقيل عليه السلام أن يجزع، وقد وقف في الكوفة وقبلها في صفّين موقفاً «يشيب لهوله رأس الرضيع»!
أبلغ الإنسان العادي مبلغ الجزع لمجرّد موت دليلين في الصحراء لا يعرفهما ولا تربطه بهما أيّ رابطة؟!

ويجزع من أداء المهمة لهذا السبب فقط.. فقط لهذا السبب لا غير؟!

ويزعم أنّ الإمام سيّد الشهداء عليه السلام قد علم! عند قراءة الكتاب، أنّ مسلماً قد تشاءم وتطير وجزع..

أجل! التطير مصرّح به في كتاب مسلم بن عقيل عليه السلام - حسب زعمهم - والتشاؤم هو النتيجة الطبيعيّة للتطير أو السبب الأصلي له، أمّا

المجزع.. فهو استنتاج باهت مريض متهاود متهاوي، وتحليل فاسد جامد هامد من المؤرخ، بيد أنه تجزأ ونسبه إلى إمام الثقلين، إذ لم نجد له أثراً في كتاب المولى الغريب ولا كتاب سيّد الشهداء عليه السلام...

النكر الرابع: إنّ مسلماً عليه السلام وجد في نفسه من ذلك!

ذكر ابن أعثم: أنّ مسلماً عليه السلام لما قرأ كتاب الحسين عليه السلام، «كأنه وجد من ذلك في نفسه».

وهذا ما يريد الراوي المشبوه أن يقرّه لنا: أنّ ثمة مودة وحزاة بين الحسين عليه السلام وابن عمّه وصهره وثقته، ولوراجعنا نصوص الطّف التي صاغها لنا المؤرخون المغرضون لوجدناها تؤكد بشدّة على هذه القضية، وتضرب بعنف على هذا الوتر، تريد أن توحى - وتصرّح أحياناً - أنّ معسكر الحسين عليه السلام متفكّك العرى، غير متماسك، ويحاول أن يشكّك في مواقفهم وثقتهم بإمامهم، وثقة بعضهم ببعض (١).

ويكفي في ذلك قراءة قصّة شراء معاوية أمّ مسلم بن عقيل عليه السلام.. وإلاّ فما معنى أن يجد مسلم عليه السلام في نفسه؟ هل يعني أنّ مسلماً عليه السلام قد وجد في نفسه على إمامه الحسين عليه السلام، لأنّه اتهمه بالتطير والحبن،

(١) انظر: كتاب «زهير بن القين علوي خرج يتلقى الحسين عليه السلام - دواعي قيس بن عزة من وراء اتّهام زهير بالتعنن».

فهذا نصّ الكتاب المنسوب إلى مسلم عليه السلام، فلماذا يجد في نفسه ممّا كتبه بنفسه حسب قصة الراوي؟

أو أنّ المراد «وجد من ذلك في نفسه»، أي أنّه وجد ممّا ينسب إليه في نفسه، وأنّه أحسّ بعد أن قرأ كتاب الإمام الحسين عليه السلام أنّه فعل ما لا ينبغي أن يفعله، فوجد في نفسه من ذلك - أي من فعله - فهذا ما لا يمكن تصوّره، فكيف لم يحصل ذلك لمسلم عليه السلام خلال فترة ذهاب الرسول وإيابه، ولم يلتفت في مدّة تتجاوز العشرة أيّام، وبقي في هذه الفترة كلّها مصرّاً على موقفه وتطيّره!! حتّى قرأ كتاب الإمام الحسين عليه السلام؟

* * * * *

ثمّ إنّّه يقول: «كأنّه وجد من ذلك في نفسه» بعد أن قرأ الكتاب، وهذه الصياغة تحكي أنّ المؤرّخ تخيل ذلك وفق تحليله للموقف وتصوره وهي عبارة تكاد تكون صريحة مفضوحة مكشوفة من خلال صياغتها، فلا يمكن أساساً - والحال هذه - نسبة الموقف للمولى الغريب عليه السلام، وإنّما مشهد طفح من تراكم أوهام المحلّل والمؤرّخ والمصوّر للمشهد، سيّما إذا عرفنا أنّه يحكي عن تفاعلات نفسية تجيش في القلب والضمير وتتحرك في أعماق النفس والوجدان، فكيف امتدّت عين المؤرّخ وطال أنفه حتّى بلغ إليها فحكّاها من دون تصريح يكشف عنها أو يحكيها يكون

قد صدر من المولى الغريب عليه السلام نفسه؟!

* * * * *

وعلى كل حال، فإنّ هذه العبارة المنسوبة لمسلم عليه السلام في كل ألفاظها، وما نسب لسيد الشهداء عليه السلام في كتابه إليه، يقرّر أنّ مسلماً عليه السلام قد تحامل على نفسه، وأقدم على ما أقدم عليه، وهو غير مقتنع بتاتاً، وإنّما حمله على ذلك النخوة، وإثارة الحفيظة، وأنّ الدافع إنّما هو إثبات شجاعته، وأنّه لم يجبن ولم يفشل، تماماً كما يحاولون إلصاق نفس هذه القضية بشيخ الكوفة وكبيرها هاني بن عروة.

ونحن نشهد، ونشهد الله على ذلك، أنّه لم يهن ولم ينكل، بل إنّّه أقدم على بصيرة من أمره مقتدياً بالصالحين، ومتّبِعاً للنبيّين، ومطيعاً لسيد الشهداء عليه السلام وسبط سيّد المرسلين صلّى الله عليه وآله، وقد اختاره الله لهذا المقام الرفيع وكان له أهل، فصلّى الله عليه وعلى أهل بيته أجمعين.

النكز الخامس: نفي مسلم عليه السلام لما نسب إليه الإمام الحسين عليه السلام!

ذكر ابن أعثم تعليق المولى الغريب مسلم بن عقيل عليه السلام على كتاب الإمام الحسين عليه السلام فقال:

«قال: والله لقد نسبني أبو عبد الله الحسين إلى الجبن

والفشل، وهذا شيء لم أعرفه من نفسي أبداً»..

وكذا هي عبارة الآخرين:

«أما هذا فلست أخوفه على نفسي» ...

نسمع في تعبير ابن أعثم ميناً يحلف به مسلم عليه السلام، ويقول: «والله»، تعالى مسلم عليه السلام عن ذلك، كيف يقسم على خلاف نية الإمام الحسين عليه السلام، ويقسم أنه عليه السلام قد نسب له الجبن والفشل، وهو شيء لا يعرفه من نفسه أبداً..

نفي قاطع مؤبد «لا أعرفه من نفسي أبداً»، فكيف نسبه الإمام الحسين عليه السلام إلى ما لا يعرفه هو من نفسه؟! والإمام في عقيدة مسلم بن عقيل عليه السلام تماماً كما في عقيدة كلّ شيعي موالي، يعلم واقع الأمور، ويعلم ما في قلوب العباد، وتكته الصدور، بعلم الإمامة من عند الله.

فلو كانت نسبة الإمام الحسين عليه السلام حقاً، فليس لمسلم عليه السلام ولا غيره أن ينفيها نفيّاً قاطعاً، بل بأيّ نوع من أنواع النفي، وهذا ما نقطع أنّ مسلماً عليه السلام كان يدين الله به، كما ندين الله به نحن.

وإذا كان ما اعتقده مسلم عليه السلام من عدم وجود هذه النسبة فيه أبداً ألبتة، فلا ينسب ذلك للحسين عليه السلام بوجه، لأنّ الحسين عليه السلام إمام، ولا ينسب للعباد ما ليس فيهم.

على أنّ الإمام الحسين عليه السلام يعرف مسلم بن عقيل عليه السلام معرفة قريبة، بغضّ النظر عن علم الإمامة ومعرفة الإمام، فهو ابن عمّه وصهره والمقاتل القديم في عسكر أبيه عليه السلام، ودماء آل أبي طالب تجري في

عروقه، وقد قُزِرَ قبل ذلك بأيّام أنّه ثَقْتَه والمفضّل عنده وأخوه!!

النكز السادس: مؤدّى مجموع النكزين الأخيرين

لو أمعنا النظر، بل ربما لا يحتاج إلى مزيد من الإمعان، في مؤدّى النكزين الرابع والخامس، فإنّه يعني أنّ المولى الغريب عليه السلام قد غضب على إمامه ووجد عليه وكذّبه وأقسم على تكذيبه..

نستغفر الله.. والله لولا ضرورة البحث وكشف عوار النصّ القائم المظلم لما تجرّأنا على تسويد مثل هذه الكلمات الوقحة البعيدة عن الذوق والأدب والتسليم، ولكن نعتذر لمولانا سيّد الشهداء ورحمة الله الواسعة ولسفيره الأمين عند كتابة كلّ حرف وفي كلّ حين إلى أن نقوم بين أيديهم يوم يقوم الناس لربّ العالمين.. وطمعنا بعفوهم وجودهم ورأفتهم يطمئننا إذا اضطررنا الدفاع عنهم أن نتجاوز على نحو الفرض المحال حدود الأدب التي رسمتها الفطرة وبَيَّنَّتها الشريعة والدين..

النقطة الرابعة: مناقشة إمكان وقوع ذلك

إذا وردت الرواية عن أهل البيت عليهم السلام بطرق أصحابهم، فلا نقاش في الإمكان وعدمه، لأنّ ما فعله المعصوم حاكم على العقل العادي، وعلى المؤمن أن يسلم له، وهذا مفروغ عنه.

لكن ورود الموقف من خلال روايات التاريخ المشحون بالعداء

والشحناء، والكذب والافتراء على رجال الحق يدعوننا للريب فيه والتأمل، والمراجعة والتفكير أكثر من مرة قبل قبوله أو رده. ونحن نرد التاريخ ونحاكمه بناءً على ما ورد عن أهل البيت عليهم السلام، فهم الميزان في القبول أو الرد في كل الأمور، وقد عرفنا مسلم بن عقيل عليه السلام الذي عرفه لنا الحسين عليه السلام في «صكّ الولاية» ورسالته إلى أهل الكوفة، فما وافق كلام سيّد الشهداء عليه السلام قبلناه، وما عارضه وبainه وعصى على التأويل، فلا وزن له ولا تأثير.

بناءً على هذا:

نحن لا نريد أن نحكم فعل المعصوم أو المولى الغريب مسلم بن عقيل عليه السلام بعقولنا ونحدّد لهم ما يفعلونه أو لا يفعلونه، وإنما نريد أن نحكم التاريخ بما فعله المعصوم وارتضاه..

أو نحاكم التاريخ في غير ما يخصّ الأولياء بما يحكم به العقل القطعي الذي يدركه الخاصّ والعام.. فإن كان ثمة موانع تحجز عن الوصول إلى المعلومة التاريخية من المستوى الأول أو المستوى الثاني فلنا أن نتوقّف دون المانع ولا نقتحم المخاطر بفرض جموح..

ويمكن التوقّف هنا لملاحظة الموانع التي تصدّ عن الاسترسال مع

الخبز:

المانع الأول: لا يتصور صدور ذلك من مسلم عليه السلام

قد عرفنا - ممّا مرّ - المولى الغريب مسلم بن عقيل عليه السلام وشجاعته ومعرفته بما أقدم عليه، ونفوذ بصيرته وصلابة إيمانه، فلا يمكن تصوّر الجبن والفشل والتطير وصدور الاستعفاء منه لمجرّد «عارض من المألوف أن يصيب كثيراً من المسافرين في تلك الأيام» (١).

«ترى هل تخشى الموت نفس مطمئنة بالسعادة.. وهل تتطير من لقاء الموت نفس مشتاقة إلى لقاء الله ولقاء رسوله ﷺ والأحبة الماضين من أهل البيت عليه السلام؟!»

وهل فارقت الطمأنينة نفس مسلم عليه السلام لحظة ما؟! وهذه سيرته في الكوفة تشهد له بثبات وطمأنينة المستيقن من أمره لا يفوقه في مستوى ثباته إلا الإمام المعصوم عليه السلام» (٢).

ونجد في هذه الرسالة اتهاماً لمسلم عليه السلام بالجبن «وهو مناقض لتوثيقه له من أنّه ثقته والمبرّز بالفضل من أهل بيته» (٣).

المانع الثاني: لا يتصور صدور ذلك من سيّد الشهداء عليه السلام

قد سمعنا ما قاله سيد الشهداء عليه السلام في ابن عمّه وثقته والمفضّل

(١) مع الركب الحسيني: ٢ / ٥٠.

(٢) مع الركب الحسيني: ٢ / ٥٠.

(٣) مسلم عليه السلام للقرشي رحمه الله: ١١٨.

عنده، فلا يتصور أن يتهمه بالجبن والفشل والعياذ بالله.

واتهام «مسلم عليه السلام» بالجبن يتناقض مع سيرته، فقد أبدى هذا البطل العظيم من البسالة والشجاعة النادرة ما يبهر العقول - وقد استقبل الموت بثغرباسم، ولم يخضع لأولئك السفكة المجرمين ^(١) - فإنه حينما انقلبت عليه جموع أهل الكوفة قابلها وحده من دون أن يعينه أو يقف إلى جنبه أي أحد، وقد أشاع في تلك الجيوش المكثفة القتل مما ملأ قلوبهم ذعراً وخوفاً، ولما جيء به أسيراً إلى ابن زياد لم يظهر عليه أي ذل أو انكسار، ويقول فيه البلاذري: "إنه أشجع بني عقيل وأرجلهم" ^(٢)، بل هو أشجع هاشمي عرفه التاريخ بعد أئمة أهل البيت عليهم السلام» ^(٣).

والأنكى أن يكون الاتهام صدراً على لسان أعرف الخلق بالخلق الإمام الحسين عليه السلام!!

المانع الثالث: لا وجود لـ «مضيق الخبت» بين المدينة والعراق

قال الشيخ باقر القرشي - رحمه الله وحشره مع سيد الشهداء عليه السلام - :

(١) مسلم عليه السلام للقرشي رحمته الله: ١١٨.

(٢) انظر: أنساب الأشراف للبلاذري: ٢ / ٣٣٤.

(٣) حياة الإمام الحسين عليه السلام للقرشي رحمته الله: ٢ / ٣٤٣.

«إنّ مضيق الخبت الذي بعث منه مسلم برسالة إلى الإمام الحسين عليه السلام يقع ما بين مكّة والمدينة حسب ما نصّ عليه الحموي^(١)، ولم يكن هناك موضع يسمّى بهذا الاسم يقع بين المدينة والعراق، وقد نصّت الرواية على أنّه استأجر دليلين من المدينة، وخرجوا إلى العراق فضلّ الدليلان وتوفيّا في الطريق»^(٢).

المانع الرابع: لا يجتمع زهاب الرسول وعودته مع مدّة سفر

مسلم عليه السلام

قد يقال بوجود هذا الموضع بين المدينة والعراق، وأنّ عدم ذكر الحموي له لا يدلّ على عدم وجوده، أو نرجع إلى المصادر التي لم تنصّ على اسم معيّن، أو نفترض وقوع الحدث في أيّ موقع مهما كان اسمه، فليكن «المضيق» أيّ مضيق، ومع هذا الفرض فإنّ القصّة لا تستقيم، وسيتّضح ذلك بمتابعة الخطوات التالية:

الخطوة الأولى: حركة مسلم من المدينة وإقامة الإمام في مكّة

إنّ الخبر نصّ على أنّ مسلماً عليه السلام قد استأجر الدليلين من المدينة،

(١) معجم البلدان: ٢ / ٣٤٣.

(٢) مسلم عليه السلام للقرشي رحمته الله: ١١٧.

ومن المعلوم أنَّ الإمام الحسين عليه السلام كان يومها في مكة.

الخطوة الثانية: مسافة الابتعاد عن المدينة

ذكر الدينوري أنه استأجر دليلين من قيس، وسار، فضلاً ذات ليلة.. وفي هذا التعبير إشارة إلى أنهم قد ساروا ليال وأياماً «وفي ذات ليلة» ضلّوا عن الطريق، فهُم قد ساروا مسافة غير قليلة بعيداً عن المدينة.

الخطوة الثالثة: إقامة المولى الغريب في المضيق انتظاراً للجواب

مقتضى -رسالة الاستعفاء وطلب توجيه الغير للقيام بالمهمة أنَّ مسلماً عليه السلام لم يتحرّك من مكانه بالمضيق انتظاراً للجواب، لأنه كان متطيّراً من وجهه ذاك - حسب القصة -، ولا يريد الاستمرار في السفر، وهذا ما نصّ عليه الدينوري فقال: ويخبره أنه مقيم بمنزله من «بطن الحربث» ^(١).

الخطوة الرابعة: مدّة سفر الرسول ذهاباً وإياباً

لو افترضنا أنَّ المسافة هي من المدينة إلى مكة فحسب دون احتساب المسافة بين المضيق والمدينة - وهي مسافة غير قليلة كما

(١) الأخبار الطوال للدينوري: ٢٣٠.

سمعت في المقدمات السابقة - فإنَّ السفر من المدينة إلى مكة لإيصال الرسالة، ثمَّ السفر من مكة إلى المدينة - فضلاً عن المضيق - يستوعب زماناً لا يقلُّ عن عشرة أيَّام، وحسب ما ذكرناه في «الخطوة الثالثة» فإنَّ مسلماً عليه السلام كان ينتظر في نفس الموضع الذي كتب منه للحسين عليه السلام.

قال الشيخ باقر القرشي رحمته الله:

«إنَّ سفر مسلم عليه السلام من مكة إلى العراق مع مروره بالمدينة وتوديعه إلى أهله قد حدَّده المؤرِّخون بعشرين يوماً، وهي أسرع مدَّة يقطعها المسافر، فإذا استثنينا مدَّة سفر رسول مسلم من ذلك المكان ورجوعه إليه - وهي تساوي عشرة أيَّام على الأقلَّ - فيكون مجموع المدَّة في سفر مسلم عشرة أيَّام، ويستحيل أن يقطع الطريق من مكة إلى الكوفة بعشرة أيَّام» (١).

* * * * *

هذه هي النتيجة كما استخلصها الشيخ القرشي رحمته الله، ولا يخفى أن الحسابات كلّها كانت على القدر المتيقّن والمقدار الذي لا ينتابه شكّ ولا يسمح بوقوع النقاش فيه..

(١) مسلم عليه السلام للقرشي: ١١٨.

لقد خرج المولى الغريب من مكة في النصف من شهر رمضان^(١)،
 ووصل الكوفة في الخامس من شوال^(٢).. فيكون مجموع أيام سفر
 المولى الغريب عليه السلام عشرين يوماً، وهي المدة اللازم للسفر من مكة إلى
 العراق للمُجدّد، فلو افترضناه قد تأخّر - ولو أياماً مهما كانت قليلة -
 بسبب التيه في الصحراء وإرسال الكتاب وانتظار الجواب، فإنّه
 سيحمّل الحدث ما لا يحتمل! بل سيلزم المحال، كما قال سماحة الشيخ
 القرشي رحمته الله.

(١) انظر: مروج الذهب للمسعودي: ٣ / ٦٤، نفس المهموم للقمي: ٨٢، مقتل
 الحسين عليه السلام للمقرّم: ١٦٦، مقتل الحسين عليه السلام لبحر العلوم: ٢١٦، العبرات
 للمحمودي: ١ / ٢٩٦، معالي السبطين للمازندراني: ١ / ٢٢٩.

(٢) انظر: مروج الذهب للمسعودي: ٣ / ٦٤، مستدرك سفينة البحار للنمازي: ٥
 / ٢١٤.

لوازم القصّة

لقد سمعنا المناقشات الواردة في الخبر - سواء في أصل الحادثة أو في تفاصيلها - وأعرضنا عن تفصيل اللوازم الفاسدة والتوالي الباطلة التي تترتب على قبول القصّة، وذلك لأنّ البحث قد تضمّنّها، ويمكن لمن تابع البحث أن يسلكها في نظم واحد، ويرصف بعضها إلى جنب بعض ليشاهد بنفسه الهول المروع الذي سيدهمه، والجنايات القاسفة الكاظمة الجارحة القادحة الفادحة التي سيرتكبها من يقبل ذلك في حقّ المولى الغريب عليه السلام وحقّ الإمام المظلوم سيّد الشهداء عليه السلام..

النتيجة

قال الشيخ باقر شريف القرشي رحمته الله:

«إنَّ هذا الحديث من المفتریات التي وضعت للحطّ من قيمة هذا القائد العظيم الذي هو من مفاخر الأئمة» ^(١) ...

* * * * *

وقال الشيخ نجم الدين الطبسي - حفظه الله - :

«إنَّ من يراجع ترجمة حياة مسلم بن عقيل - على اختصارها في الكتب - وله معرفة بالعرف العربي آنذاك عامّة، وبالشّمائل الهاشميّة خاصّة، لا يتردّد في أنّ هذه القصّة مخلّقة، وأنها من وضع أعداء أهل البيت عليهم السلام لتشويه صورة وسمعة هذا السفير

(١) مسلم عليه السلام للقرشي: ١١٨.

العظيم» (١).

وقال أيضاً:

«إنَّ أصل الرسالة والجواب لا صحّة لهما، والظنّ قويّ في أنّ

الحادثة أيضاً لا صحّة لها» (٢).

وقد مرّ علينا آنفاً أنّ ثمة موانع وإشكلات تصدّ عن القول بوقوع

أصل الحادثة من قبيل ضرورة إخراج الدليلين واتّفاق موتهما معاً دون

غيرهما، وبأقي المؤاخذات التي لوحظت في أصل الحادثة..

(١) مع الركب الحسيني: ٢ / ٤٩.

(٢) مع الركب الحسيني: ٢ / ٥٢.

الخاتمة

مع كلّ ما مرّ من مناقشات، وما قاله المحقّقون في هذا المجال، إذا كان لابدّ من قبول الخبر والرسائل المتبادلة بين الحسين وسفيره عليه السلام - ولانرى في ذلك أيّ ضرورة، بل نرى ضرورة نفيها من رأس - فلنقل لمن يأبى أن يمسّ بعض موادّ التاريخ ولو كان فيها مسّ بقداسة القديسين:

إنّ المولى الغريب مسلماً عليه السلام كتب إلى الإمام الحسين عليه السلام بما حدث في الطريق من موت الدليلين باعتباره يرى ضرورة اطلاع الإمام عليه السلام على كلّ تفاصيل السفر، وكلّ ما يفعله من صغيرة أو كبيرة، لأنّه الثقة والمعتمد والرائد، فلا بدّ له أن يخبر الإمام عليه السلام بكلّ شيء، فقرأ سيّد الشهداء عليه السلام رسالته، ثمّ أمره بالمضيّ قدماً، دون أن يكون مسلم عليه السلام قد تطيّر أو يكون الحسين عليه السلام قد اتهمه بالجبن.

كما يظهر ذلك من كلام السيّد المقرّم في أنّه يقبل أصل وقوع الحادثة إلاّ أنّه ينكر ما ورد فيها من نسبة التطيّر والجبن لمسلم عليه السلام، ويقول:

«إنّ هذا بالخصوص هو من زيادة الوضّاعين، والموضوعات المختلفة التي لا صحّة لها بتاتاً، بعد أن أفاد أنّ كتاب مسلم للحسين عليه السلام كان استخباراً واستكشافاً للتكليف بعد حصول الحادثة لئلاّ يتخطى رأي حجة الوقت في حلّه ومرتحله» (١).
و«لقد تجلّى ممّا ذكرناه من رفع الطيرة في الشريعة الافتراء على ابن عقيل في كتابه إلى الحسين عليه السلام» (٢).

* * * * *

صلّى الله وسلّم على مسلم بن عقيل عليه السلام وعلى أمّه وأبيه، وعلى أولاد عقيل وذريّته المستشهدين بين يدي الحسين عليه السلام.

(١) انظر: الشهيد مسلم عليه السلام للمقرّم: ٦٤.

(٢) انظر: الشهيد مسلم عليه السلام للمقرّم: ٦٣ - ٧٩.

محتويات الكتاب

٥	الديباجة
١٩	المقدمة
٤٧	المدخل
٤٨	أولاً: اتّهام النصّ التاريخي
٥٠	ثانياً: السند
٥٢	الحالة الأولى: صحّة السند والمتن
٥٢	الحالة الثانية: صحّة السند وفساد المتن
٥٢	الحالة الثالثة: صحّة المتن وضعف السند
٥٣	الحالة الرابعة: فساد المتن والسند
٥٣	ثالثاً: ارتكاز المؤرّخ على بنائه العقلي
٥٤	رابعاً: أخذ ما وافق الشروط المقرّرة

- خامساً: طرح ما خالف الأصول الاعتقاديّة ٥٥
- سادساً: أن لا يخالف التاريخ حديث أهل البيت عليهم السلام ٥٧
- سابعاً: أن لا يخالف المسلّمات القطعية ٥٧
- ثامناً: أن لا يكون دفاعاً عن الظالم ٥٩
- تاسعاً: أن لا يخالف إجماع الشيعة ٦٠
- عاشراً: استكشاف بعض الأحداث من الوقائع ٦١
- مثال: ٦١
- المقدّمة الأولى: ٦١
- المقدّمة الثانية: ٦١
- المقدّمة الثالثة: ٦٢
- المقدّمة الرابعة: ٦٢
- المقدّمة الخامسة: ٦٢
- النتيجة: ٦٢
- الحادي عشر: تفصيل المختصر ٦٣
- الثاني عشر: فكّ رموز كلام أهل البيت عليهم السلام ٦٣
- الثالث عشر: ملاحظة تفرّق الحدث ٦٤
- الرابع عشر: الاستناد إلى غير المصادر العربية ٦٥
- النتيجة ٦٨

• مسلم بن عقيل عليه السلام ثائرٌ أم سفير؟! •

المقدمة.....	٧١
أسباب ضرورة معرفة مهمة مسلم عليه السلام	٧٣
السبب الأول: تفسير المواقف وفهماها.....	٧٣
المثال الأول: اقتحام القصر.....	٧٥
المثال الثاني: محاولة الاغتيال.....	٧٧
السبب الثاني: التقييم على أساس المهمة.....	٧٨
السبب الثالث: استكشاف مواقف بعض الشيعة.....	٧٩
المهمة في المصادر.....	٨١
المورد الأول: نصوص الدعوة.....	٨٣
النصوص الواردة عن سيّد الشهداء عليه السلام حين دعا مسلم بن عقيل عليه السلام ليرسله إلى الكوفة.....	٨٣
النصّ الأول: الدينوري (ت ٢٨٢).....	٨٣
النصّ الثاني: كتاب الفتوح لابن أعمش (ت ٣١٤).....	٨٥
النصّ الثالث: الطبري (ت ٣١٠) برواية الدهان عن أبي جعفر عليه السلام ، الشجري، المزي، ابن حجر، ابن بدران.....	٨٧
النصّ الرابع: المسعودي (ت ٣٤٦).....	٨٨

- النص الخامس: أبو الفرج (ت ٣٥٦) ٨٨
- النص السادس: أبو علي مسكويه (ت ٤٢١) ٨٩
- النص السابع: ابن الجوزي (ت ٦٥٤) ٩٠
- النص الثامن: تذكرة الخواص لسبط ابن الجوزي (ت ٦٥٤) ٩٠
- مضامين النصوص ٩٣
- الأمر الأول: توجيه مسلم عليه السلام إلى الرعيّة ٩٣
- الأمر الثاني: استكشاف حالة الناس ٩٣
- الأمر الثالث: الكتابة إلى الحسين عليه السلام ٩٤
- الأمر الرابع: اتّخاذ الموقف ٩٤
- الأمر الخامس: لم يكلف بالقيام ٩٤
- الأمر السادس: الوصيّة بالتقوى والكتمان ٩٤
- المورد الثاني: كتب سيّد الشهداء عليه السلام إلى أهل الكوفة ٩٥
- الكتاب الأول: كتابه عليه السلام من مكّة ٩٥
- المتن الأول: الدينوري، الأخبار الطوال ٩٥
- المتن الثاني: تاريخ الطبري ٩٧
- المتن الثالث: الشيخ المفيد رحمته الله في الإرشاد ٩٨
- المتن الرابع: الطبرسي في إعلام الوري ١٠٠
- المتن الخامس: ابن أعثم في الفتوح ١٠٠

- المتن السادس: الخوارزمي في مقتل الحسين عليه السلام ١٠٢
- المتن السابع: أبو الفرج في مقاتل الطالبين ١٠٣
- المتن الثامن: ابن شهر آشوب في المناقب ١٠٤
- المتن التاسع: ابن الجوزي في المنتظم ١٠٥
- المتن العاشر: ابن الأثير والنويري ١٠٦
- المتن الحادي عشر: ابن نما في مثير الأحران ١٠٦
- المتن الثاني عشر: ابن الجوزي في تذكرة الخواص ١٠٧
- المتن الثالث عشر: ابن خلدون في التاريخ ١٠٧
- المتن الرابع عشر: الطريحي في المنتخب ١٠٨
- المتن الخامس عشر: مقتل أبي مخنف (المشهور) ١٠٨
- المتن السادس عشر: الشبلنجي في نور الأبصار ١٠٩
- المهمة في نص رسالة الحسين عليه السلام إلى أهل الكوفة ١١٠
- ملاحظات ١١١
- الملاحظة الأولى: الكتب والرسائل ١١١
- الملاحظة الثانية: الاعتماد على ثقة الحسين عليه السلام ١١٢
- الملاحظة الثالثة: حامل الكتاب ١١٢
- القول الأول: مع الرسولين ١١٣
- القول الثاني: مع مسلم عليه السلام ١١٣

- القول الثالث: لم يذكر ١١٣
- الكتاب الثاني: كتابه عليه السلام من بطن الرمة ١١٤
- نكات تضمّنها النص ١١٦
- النكتة الأولى: أداء المهمة ١١٦
- النكتة الثانية: اعتماد الإمام عليه السلام نظرثقته ١١٧
- النكتة الثالثة: الإشارة إلى إمكان عدم وصول الكتاب ١١٧
- النكتة الرابعة: وصول مضمون الرسالة ١١٧
- النكتة الخامسة: اتّخاذ منصّة المنية منبراً ١١٨
- النكتة السادسة: معنى الانكماش ١١٨
- النكتة السابعة: مكاتبات مباشرة ١٢٠
- النكتة الثامنة: المخاطبون ١٢٠
- النكتة التاسعة: سماع المخاطبين مضمون الكتاب ١٢٢
- النكتة العاشرة: دلالات الكتاب ١٢٣
- المورد الثالث: الكتب التي أرسلها مسلم عليه السلام إلى الحسين عليه السلام ١٢٥
- المصدر الأول: ابن سعد ١٢٥
- المصدر الثاني: البلاذري ١٢٦
- المصدر الثالث: الدينوري ١٢٦
- المصدر الرابع: الطبري والشجري والمزّي وابن حجر وابن الجوزي ١٢٧

المصدر الخامس: المسعودي	١٢٩
المصدر السادس: أبو الفرج الإصفهاني	١٢٩
المصدر السابع: الشيخ المفيد والفتّال	١٢٩
المصدر الثامن: أبو علي مسكويه	١٣٠
المصدر التاسع: الطبرسي	١٣٠
المصدر العاشر: الخوارزمي	١٣٠
المصدر الحادي عشر: ابن الجوزي	١٣١
المصدر الثاني عشر: ابن الأثير	١٣١
المصدر الثالث عشر: ابن نما	١٣١
المصدر الرابع عشر: سبط ابن الجوزي	١٣٢
المصدر الخامس عشر: الذهبي	١٣٢
المصدر السادس عشر: ابن كثير	١٣٢
المصدر السابع عشر: ابن عنبه	١٣٢
المصدر الثامن عشر: الطريحي	١٣٣
المصدر التاسع عشر: المازندراني	١٣٣
وقفات سريعة	١٣٤
الوقفه الأولى: التريث في إرسال الكتاب	١٣٤
الوقفه الثانية: أخذ البيعة لسيّد الشهداء عليه السلام	١٣٥

- الوقفه الثالثة: معنى جميع أهل الكوفة معك ١٣٧
- الوقفه الرابعة: حامل الكتاب ١٣٩
- الوقفه الخامسة: مؤدّى الرسالة ١٤٠
- الوقفه السادسة: بعد أن تفرّق الناس ١٤١
- المورد الرابع: ما ورد عن أهل البيت عليهم السلام ١٤٣
- المورد الخامس: الفهم السائد في عصره ١٤٥
- النموذج الأول: رفقاء ابن زياد ١٤٦
- النموذج الثاني: فهم من سمع كتاب الإمام عليه السلام ١٤٧
- النموذج الثالث: فهم الأبرار عابس وحبيب والحنفي ١٤٨
- النموذج الرابع: فهم الناس ١٥٠
- النموذج الخامس: موقف المعارضين ١٥٢
- النموذج السادس: موقف الشيعة المخلصين ١٥٤
- النموذج السابع: ردود كبير آل عقيل على ابن زياد ١٥٤
- المورد السادس: ملاحظة الأصول الاعتقاديّة ١٥٧
- المورد السابع: نصوص العلماء والمؤرخين والمشهورينهم ١٥٩
- المفاد الأول: نصوص تدلّ على أنّه كان رسولاّ يستطلع الخبر فقط من دون أخذ البيعة ١٥٩
- النصّ الأول: البلاذري ١٦٠

- النص الثاني: ابن الأثير والنويري ١٦١
- النص الثالث: ابن سعد والذهبي ١٦١
- النص الرابع: أبو مخنف (المقتل المشهور) ١٦١
- النص الخامس: الطبري ١٦٢
- النص السادس: الشيخ المفيد والفتال ١٦٢
- النص السابع: ابن كثير ١٦٣
- النص الثامن: ابن الجوزي ١٦٣
- النص التاسع: السيد ابن طاووس ١٦٣
- النص العاشر: ابن نما والمجلسي ١٦٤
- المفاد الثاني: نصوص دلت على كونه رسولاً فقط أو على الإرسال مطلقاً ١٦٤
- النص الأول: يعقوبي ١٦٥
- النص الثاني: البلاذري ١٦٥
- النص الثالث: الطبري ١٦٥
- النص الرابع: الطبري وابن الجوزي ١٦٦
- النص الخامس: ابن طلحة والأربلي ١٦٦
- النص السادس: ابن طقطقي ١٦٦
- النص السابع: ابن عنبه ١٦٦

- النص الثامن: ابن الصباغ..... ١٦٧
- النص التاسع: تاج الدين العاملي..... ١٦٧
- المفاد الثالث: النصوص الدالة على أخذ البيعة..... ١٦٧
- النص الأول: ابن سعد..... ١٦٧
- النص الثاني: ابن قتيبة..... ١٦٨
- النص الثالث: ابن حبان..... ١٦٨
- النص الرابع: ابن عبد ربّه والباعوني..... ١٦٨
- النص الخامس: البري..... ١٦٨
- النص السادس: الشجري..... ١٦٩
- مفاد المفادات..... ١٦٩
- أدلة القائلين بـ«الثورة»..... ١٧١
- الدليل الأول: نصّ كتاب الحسين عليه السلام برواية ابن أعثم..... ١٧٣
- مناقشة الدليل الأول..... ١٧٥
- الإشارة الأولى: التقابل بين ابن أعثم وجميع المؤرخين..... ١٧٥
- الإشارة الثانية: فقدان الشواهد المؤيدة..... ١٧٦
- الإشارة الثالثة: المهمة أكبر من نصّ واحد..... ١٧٦
- الإشارة الرابعة: دلالة نصّ ابن أعثم على السفارة..... ١٧٦
- القرينة الأولى: قوله «والسلام»..... ١٧٧

- القرينة الثانية: توجّه الأمر للناس لللقائد ١٧٨
- القرينة الثالثة: صدر الكتاب وما ورد عقبه ١٧٩
- القرينة الرابعة: الأمر بالتعجيل بالخبر ١٨٠
- القرينة الخامسة: الضمير في «بايعوه» ١٨١
- القرينة السادسة: تأخر الأمر بالبيعة على الأمر بالقيام ١٨٢
- القرينة السابعة: الأمر بالقيام والبشارة بالشهادة! ١٨٢
- القرينة الثامنة: معنى الكتمان واللفظ ١٨٦
- النتيجة ١٩٤
- الإشارة الخامسة: تحريض البصريين ١٩٤
- الإشارة السادسة: الفرق بين خروج الثائر وخروج السفير ١٩٥
- الإشارة السابعة: ما فائدة الثورة والكوفة بأيدي الثوّار ١٩٥
- الإشارة الثامنة: عدم الاستيلاء على الكوفة أيام النعمان ١٩٦
- الإشارة التاسعة: لم يأخذ البيعة من أحد للقتال معه ١٩٦
- الدليل الثاني: جمع السلاح والمال ١٩٧
- مناقشة الدليل الثاني ١٩٩
- الردّ الأول: لا دليل عليه ١٩٩
- الردّ الثاني: دوافع جمع الرجال والسلاح ٢٠٠
- الدافع الأول: الإعداد لسيد الشهداء عليه السلام ٢٠٠

- ٢٠١..... الدافع الثاني: لدفع أي خطر متوقع.
- ٢٠٣..... الدليل الثالث: مسلم عليه السلام يعزم على الخروج فيمنعه هاني
- ٢٠٥..... مناقشة الدليل الثالث
- ٢٠٥..... المناقشة الأولى: تفرد ابن أعثم
- ٢٠٦..... المناقشة الثانية: النصّ أعّم من الدعوى
- ٢٠٧..... المناقشة الثالثة: تدّين هاني وطاعته
- ٢٠٨..... المناقشة الرابعة: مسلم عليه السلام أمر وليس مأموراً
- ٢٠٩..... المناقشة الخامسة: مسلم عليه السلام ليس مستعجلاً
- ٢٠٩..... المناقشة السادسة: تبرير موقف ابن زياد
- ٢١١..... الدليل الرابع: معركة القصر!
- ٢١٣..... مناقشة الدليل الرابع
- ٢١٤..... السبب الأول: اعتقال هاني وغيره
- ٢١٦..... السبب الثاني: موقف مذحج
- ٢٢٠..... السبب الثالث: الدفاع عن النفس
- ٢٢٠..... النقطة الأولى: مسلم عليه السلام هو الطلبة الأولى لابن زياد
- ٢٢١..... النقطة الثانية: اعتقال مسلم بن عقيل عليه السلام
- ٢٢٢..... رواية شاذّة
- ٢٢٥..... لوازم تبني هذا القول

اللازم الأول: التسرع والخرق	٢٢٦
اللازم الثاني: تبرير موقف ابن زياد	٢٣٠
اللازم الثالث: الإقرار بقيامين	٢٣١
اللازم الرابع: فشل الثورة	٢٣١
أسئلة	٢٣٣
السؤال الأول	٢٣٣
السؤال الثاني	٢٣٣
السؤال الثالث	٢٣٥
الفصل الأخير: مهمة مسلم عليه السلام	٢٣٧
هل قام مسلم عليه السلام بالمهمة؟	٢٣٨
الفعالية الأولى: تقييم الوضع والنظر في حال الناس	٢٣٨
مسلم يبلغ الحسين عليه السلام بخذلان الناس	٢٣٩
الفعالية الثانية: أخذ البيعة	٢٤٣
الفعالية الثالثة: الإعداد لقيام سيد الشهداء عليه السلام	٢٤٣
ملاحظات مهمة	٢٤٥
الملاحظة الأولى: عدم اعتماد الإمام عليه السلام على دعاوى الناس ...	٢٤٥
الملاحظة الثانية: الإعلان عن انطلاق القيام الحسيني لمن يهّمه الأمر	٢٤٦

الملاحظة الثالثة: فداء المولى الغريب عليه السلام وضح معالم القيام	
الحسيني.....	٢٤٦
النتيجة.....	٢٥١

• قصّة التطيّر •

المقدّمة.....	٢٥٥
نصّ القصّة.....	٢٥٩
الرواية الأولى: الطبري والشيخ المفيد.....	٢٥٩
الرواية الثانية: ابن أعثم.....	٢٦١
الرواية الثالثة: الدينوري.....	٢٦٣
مناقشة القصّة.....	٢٦٥
النقطة الأولى: معرفتنا بمسلم وبسيد الشهداء عليه السلام.....	٢٦٥
المعلومة الأولى: تنزّه المؤمن عن الطيرة.....	٢٦٦
المعلومة الثانية: شجاعة مسلم عليه السلام.....	٢٧٢
المعلومة الثالثة: معرفة مسلم عليه السلام أنّه قادم على الشهادة.....	٢٧٤
المعلومة الرابعة: خصال لاتليق بثقة الحسين عليه السلام.....	٢٧٧
المعلومة الخامسة: أدب الحسين عليه السلام في التعامل مع الأعداء	
فضلاً عن الإخوة.....	٢٧٨

النقطة الثانية: الارتباك في النقل	٢٨٠
الاختلاف الأول: الذين خرجوا مع مسلم عليه السلام	٢٨١
الاختلاف الثاني: الموضع الذي كتب منه الرسالة	٢٨٣
الاختلاف الثالث: الرسول الذي حمل رساله مسلم عليه السلام	٢٨٤
الاختلاف الرابع: اختلفوا في أمر الدليلين وغلطهما وعطشهما وموتهما	٢٨٤
الاختلاف الخامس: نص رسالة الحسين عليه السلام	٢٨٦
الاختلاف السادس: من قرأ رسالة الحسين على مسلم عليه السلام ؟ ...	٢٨٧
الاختلاف السابع: جواب مسلم بن عقيل عليه السلام	٢٨٨
النقطة الثالثة: مناقشة المتن نفسه	٢٨٩
المناقشة الأولى: لماذا أخذ معه دليلين ولم يكتب دليل واحد؟ ...	٢٨٩
المناقشة الثانية: كيف أشار الدليلان على الطريق وهما قد ضلّا؟	٢٩٠
المناقشة الثالثة: كيف ترك مسلم عليه السلام الدليلين يموتان؟	٢٩٠
المناقشة الرابعة: موت الدليلين معاً	٢٩٢
المناقشة الخامسة: قد سار مسلم عليه السلام الطريق قبلاً	٢٩٣
المناقشة السادسة: ما هي الحاجة إلى الدليل مع وجود قيس معه؟	٢٩٣
المناقشة السابعة: كيف اهتدى قيس إلى الطريق؟!	٢٩٤

- ٢٩٥..... المناقشة الثامنة: رسالة مسلم عليه السلام
- ٢٩٧..... المناقشة التاسعة: رسالة الإمام الحسين عليه السلام
- ٣٠٦..... النقطة الرابعة: مناقشة إمكان وقوع ذلك
- ٣٠٧..... بناءً على هذا
- ٣٠٨..... المانع الأول: لا يتصور صدور ذلك من مسلم عليه السلام
- ٣٠٨..... المانع الثاني: لا يتصور صدور ذلك من سيّد الشهداء عليه السلام
- ٣٠٩..... المانع الثالث: لا وجود لـ«مضيق الخبت» بين المدينة والعراق
- المانع الرابع: لا يجتمع ذهاب الرسول وعودته مع مدّة سفر
- ٣١٠..... مسلم عليه السلام
- ٣١٥..... لوازم القصّة
- ٣١٧..... النتيجة
- ٣١٩..... الخاتمة

